العِبَادَاتُ القَلْبِيَّة

من باب توحيد الألوهية من كتاب

« أنا مسلم »

الجَامِعُ لِعَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ

أعده وكتبه الدكتور

محمد أشرف صلاح

الطبعة الثالثة المزيدة

مصرح به من الأزهر الشريف

حقوق الطبع والتوزيع والاقتباس والترجمة والنشر محفوظة لكل مسلم ومسلمة

للمساعدة في التوزيع الخيري اتصل على ٠٠٢٠١٠١٤٥٩٦١٣

للاقتراحات أرسل على البريد الإليكتروني

anamuslim@windowslive.com

لمزيد من الكتب

www.Iam-Muslim.com

رقم الإيداع

الإدارة : ٠١٠٥٠١٣١٥١ المبيعات :

توزيع

دار الخلفاء الراشدين

الإسكندرية أبو سليمان ش عمر

أمام مسجد الخلفاء الراشدين

٠١٠٦٧١٤٧٦٨ -

دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية مصطفى كامل

بجوار مسجد الفتح الإسلامي

٠١٢٥٨٣٤٥٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾
[آل عمران : ٨٥]

اللهم! يا من بلَّغ أذان إبراهيم ، بالحج للعالمين .
انشر هذا الكتاب في أُمّةِ المسلمين .
وافتح به قلوب وبلاد الكافرين .
وارفع به راية الحق والدين .
وأَعِدْ به الخلافة الراشدة على نهج النبي الأمين.

أهمية العلم

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[1] .

وسائل الاجتهاد في طلب العلم

قال رسول الله ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[2] .

أخي؛ لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ ... سَأُنْبِئُكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ
ذَكَاءٌ، وَحِرْصٌ، وَاجْتِهَادٌ، وَبُلْغَةٌ، ... وَإِرْشَادُ أُسْتَاذٍ، وَطُولُ زَمَانِ

وجوب إلحاق الحكم بالدليل

قال ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء:٦٥]

فالمسلم ذو البصيرة يعرف الحق من دليله

ومن قال قولاً بلا برهان ... فقوله ظاهر البطلانِ
مخالف ما عليه أهل الحق والإيمان ... المتمسكون بمحكم القرآنِ

---

(١) رواه البخاري (٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢)، ومسلم (١٠٣٧)
(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٤) بأطول من ذلك، وصحح الألباني هذا الجزء منه في «مشكلة الفقر» (ص:٨٦)

نـــداء

إلى أئمتنا وعلمائنا...

وإلى إخواني طلاب العلم في شتى بقاع الأرض...

أدعوكم إلى التعاون على البر والتقوى

من أراد أن يضيف شيئًـا، أو يسـد ثغـرةَ أنسانيهـا الشيطـان، أو يضيفُ دليـــلًا،

أو يُقدمُ شرحًا، أو يضع تعليقًا، أو يقترح استبدال عبارةً بعبارةٍ أقوى منها،

أو يعيد ترتيب أحد الأبواب حتى يكون الكتاب أنفع لدارسيه

فليراسلنا، وله الجزاء من الله تعالى على تعاونه على البر والإحسان

والله من وراء القصد

مقدمة الشيخ سعيد عبد العظيم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد ....

فحريٌّ بالعاقل أن يهتم بما خُلق له ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٦-٥٨] فهذه هي الغاية التي لأجلها خلق سبحانه الخلق ، وبها أرسل الرسل ، وأنزلت الكتب ، ونصبت الموازين ، وتكون عليها الجنة والنار ، وهذه الغاية لابد من الاهتمام بها والحرص عليها حتى الممات ، قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] أي حتى يدركك الموت ، لا تنفك عن طاعة الله ولا عن عبادته سبحانه ، وهذه العبادة لابد فيها من نية وصحة أو إخلاص ومتابعة ، قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠]

قال العلماء : أخلصه وأصوبه ، فإذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل ، وكذلك إذا كان صوابًا ولم يكن خالًا لم يقبل حتى يكون خالصًا وصوابًا ، والخالص ما كان ابتغاء وجه الله ، والصواب ما وافق سنة رسول الله ﷺ ، والعبادة الحقة ما اجتمع فيها الحب والخوف والرجاء ، فمن عبد الله بالحب فقط فهو زنديق ، ومن عبده بالرجاء فقط فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف فقط فهو حروري.

وقد أثنى سبحانه على الخُلّص من عباده فقال تعالى : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] وكان صلوات الله وسلامه عليه يسأل ربه الجنة ، ويتعوذ به من النار، فجمع بين الخوف والرجاء ، وهو أعظم الخلق حبًا لله جل وعلا ، ومن صرف العبادة لغير الله فقد كفر ، قال تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] فالعبادة تصرف لله ، لا تصرف لأحد سواه ، فلا يخلق هو ويُعبد غيره ، ولا يرزق هو ويُشكر سواه ، ومن هنا كان تركيز جميع الأنبياء والمرسلين على هذه القضية ن فما من نبي إلا وقال لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٦٥] ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي

﴿ كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] وقد ركز القرآن المكي والمدني أيضًا على هذه القضية ، فتقديم الأهم على المهم أمر واجب في العلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى ، والعبادة شاملة لكل ناحية من نواحي الحياة ، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو أخلاقية تتعلق بالمسجد والسوق والحاكم والمحكوم ، وتكون في العسر واليسر والمنشط والمكره ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢-١٦٣] وبها نصل الأرض بالسماء والدنيا بالآخرة ، ويتواصل بها اللاحق مع السابق والعلم مع العمل ، والظاهر مع الباطن ، ولا يقبل فيها منطق أهل الجاهلية القائل : اليوم خمر وغدًا أمر . أو ما يردده البعض : ساعة لقلبك وساعة لربك . فالساعات كلها لله جل وعلا ، ونحن ننتقل من طاعة لطاعة ومن عبادة لعبادة ، ففي الحديث : « **إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمْ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسْلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا فإن له بذلك أجر** .» وقال : « **تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ** .» وقال : « **في بضع أحدكم صدقة** .» وقد ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأوثان إلى عدل الإسلام ، والعبادات عندنا توقيفية ، أي أنها تؤخذ دون زيادة أو نقصان ، ويحرم الابتداع في دين الله ، فالتو والصلاة وبر الوالدين هي هي في القرن الأول وللقرن المائة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] أي للتي هي أَسَّدُ وأعدل في كل ناحية من نواحي الحياة .

وهناك عبادات مالية وبدنية وقلبية ، والعبادات القلبية أخطر وأهم صور العبادة ، لذا فإنها تتطلب اهتمامًا خاصًا ، فالقلب ملك مؤمر والجوارح بمثابة جنوده ، من هنا تبرز قيمة هذا الكتاب : العبادات القلبية للأخ الدكتور / محمد أشرف صلاح حجازي جزاه الله خيرًا وزاده برًا وتوفيقًا ، ونفع به البلاد والعباد . اللهم آمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

سعيد عبد العظيم

أهميــة القلوب

قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ اللهَّ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ .**»[(١)]

الحمد لله كما أمر ، والصلاة والسلام على خير البشر محمد رسول الله ومن سار على الأثر .

أما بعد .....

عظيم قدر القلب :

١ - اعلم؛ **أن القلوب هي محل نظر الله تعالى وحبه،** فإن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فلا تزين ما يراه الناس من ظاهرك وتهمل ما يراه الله من باطنك، وهو قلبك.

٢ – **القلوب هي محل حب الله تعالى،** فإن العبد يحب ربه بقلبه، وإن الربَّ يحب من العبد قلبه؛ لأنه يحب من العبد طاعته، وأعظم الطاعات طاعات القلب.

٣ – **القلوب هي محل أعظم العبادات ومحل العلم والتقوى** قال ﷺ : «**التَّقْوَى هَا هُنَا** » **وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ**[(٢)]

٤ – **القلوب هي محل التكليف** فإن المُكَلف هو القلب، فإذا أطاع القلب ربه؛ أمر سائر الجوارح بالطاعة، وقد يلتزم القلب الطاعة ولا يستطيع البدن فعلها كأن يلتزم الجهاد، وأن لا يأكل إلا من ذبائح المسلمين؛ ثُمَّ هو مريض لا يستطيع المدافعة فيسقط عنه الجهاد بالعذر، وهو كذلك فقير لا يستطيع شراء اللحم، لكن يكتب له فضل الجهاد وهو لم يتعناه، ويكتب له تحري أكل الحلال وهو لا يقدر عليه، **فالطاعة هي في الأصل طاعة القلب، وتؤديها الجوارح إن استطاعت ، فإن القلب هو قائد الجوارح .**

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤)

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤)

القلب صالح أو طالح :

١ - **اعلم أنه في الجسد مضغة إذا صلحت** صلح الجسد كله **وإذا فسدت** فسد الجسد كله ألا وهي **القلب،** قال رسول الله ﷺ : « **أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ .** »[(١)] فإن صلحت أعمال القلوب؛ صلحت كل الأعمال الظاهرة القولية والبدنية والمالية، وإن فسد القلب؛ فسدت كل الأعمال.

٢ - **القلب ينجي الإنسان أو يرديه؛** فمن القلوب من فسد **بالقسوة** فهلك، ومنها من صلح **بالرحمة** فنجا.

مثال القلب القاسي: أخبر ﷺ : « **دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ .** »[(٢)]

مثال القلب الرحيم: أخبر ﷺ : «**أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنْ الْعَطَشِ؛ فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا ـ يعني سقته ـ ؛ فَغُفِرَ لَهَا** »[(٣)]

٣ - **القلب هو الذي تتنزل عليه رحمة الله أو عذابه،** قال تعالى في شأن أصحاب الكهف: ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ** ﴾ [الكهف:١٤]، وقال تعالى في شأن أم موسى عليها السلام: ﴿**رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا**﴾ [القصص:١٠] وهذا لِـمَ أراد الله بهم من الخير. وقال تعالى عن أعدائه: ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ**﴾ [الحشر:٢]، وهذا لِـمَ أراد الله بهم من العذاب.

٤ - **سمي القلب قلبًا لكثرة تقلبه** ولا يُقَلِّبُهُ إلا الله تعالى فهو مالكه والمتصرف فيه، قال تعالى: ﴿**وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ**﴾ [الأنفال:٢٤]

---

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).
(٢) رواه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٢٤٢).
(٣) رواه البخاري (٣٣٢١)، ومسلم (٢٢٤٥) واللفظ عنده.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا قَالَ نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**» [1]

أعمال القلوب هي عبادات القلوب :

❁ وهي الطريقة الوحيدة للوصول إلى **السعادة** سعادة الدنيا والآخرة، وبها يدخل **جنة الدنيا** التي من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وبها يرتقي في **درجات الجنة**، وهي السبيل الوحيد **لإصلاح القلوب** والوصول إلى **القلب السليم** الذي يصلح للقاء الله ويصلح لدخول الجنة، وبها يتم **تجديد الإيمان**، وهي **سلم الوصول إلى مضاعفة الأجور**، وهي **أصل الأصول في عبادة الله وإتباع الرسول**، وهي أعظم أسباب **القرب من الله**، وهي أصول التزكية ، وهي أصول الإيمان وكل ما سبق من الصفات يصلح أن يكون اسمًا لهذا الكتاب **(كتاب العبادات القلبية)**

---

(1) صحيح : رواه الترمذي (٢١٤١)، وابن ماجه (٣٨٣٤)، وصححه الألباني .

أهميـة عبـادات القلـوب

١- العبادات القلبية هي أصل توحيد الله ومعرفته:

- وزيادتها تؤدي إلى زيادة الإيمان وزيادة ثواب الأعمال.
- ونقصانها يتبعه نقص في الإيمان ونقص في ثواب الأعمال.

٢- لماذا نضع عبادات القلـوب في كتب العقيدة ؟ وعبادات الجوارح في كتب الفقـــه ؟

- لأن زوال عبادات القلوب بالكلية يؤدي إلى زوال الإيمان بالكلية، وهو الكفر أو النفاق.
- أما زوال عبادات الجوارح بالكلية فلا يؤدي إلى زوال الإيمان بالكلية، كالصلاة والصيام والزكاة والحج إن تركها تكاسلًا أو بخلًا، وبشرط أن يكون أقرَّ بفرضيتها ولم يجحدها ولم يستحل تركها، فإن مثل هذا ينقص إيمانه جدًّا لكن لا يزول بالكلية.

وإنما يُقتل تارك الصلاة عند جمهور الفقهاء؛ لأنه أتى بتركها حدًا من حدود الله، فيستتاب حتى يصلي وإلا قتل، لا لأنه مرتد أو خرج من الملة بذلك على الراجح من أقوال أهل العلم.

- وليس في ترك عبادات القلوب تكاسلًا أو بخلًا، وتركها لا يعني إلا جحدها؛ لأنه ليس في فعلها مشقة بدنية، وزوالها يعني زوال الإيمان، فإن الله جعل حبه أساس الملة والدين ومن لم يحبه أبدًا خرج من الدين، وجعل خوفه شرط الإيمان ومن لم يخافه فليس بمؤمن، ومن ابتغى غير الله بعمله ولم يخلص نيته لله فقد أشرك به تعالى، ومن لم يخلص في الشهادتين كان منافقًا نفاقًا أكبر، ومن توكل على غير الله فقد أشركه مع الله وهكذا.

❁ **فوجود أصل عبادات القلوب عند العبد شرط في وجود الإيمان عنده.**

ـ واستكمالها يعني استكمال الإيمان؛ فإن استكمالها يعني بالضرورة استكمال كل

عبادات الجوارح ويعني ترك كل المناهي.

ـ ووجود القدر الواجب منها يعني وجود القدر الواجب من الإيمان.

ـ وإن إتمام أعمال القلوب ووجود القدر المستحب منها يعني زيادة الإيمان، ووجود القدر المستحب منه، وهو درجة المقربين.

ومن العبادات المستحبة: الرضا بالقضاء، والخشوع في الصلاة، والشوق إلى لقاء الله.

٣ - العبادات القلبية أساس النجاة من النار والفوز بالجنة:

فالتوحيد عبادة قلبية خالصة، والتوحيد الخالص ليس له إلا الجنة، قال ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ**»[(١)].

وكل ما جاء في العبادات الظاهرة أن جزاؤه الجنة ككافل اليتيم مثلًا أو الحج المبرور، إنما كل ذلك بشرط إخلاص التوحيد لله الذي هو عملٌ قلبي.

٤ - صحة أعمال القلوب سبب لمضاعفة الأجور:

❁ إن صحة عبادات القلب واكتمالها في قلب المُكَلَّف سبب لمضاعفة أجر العبادات البدنية والقولية والمالية إلى مائة ألف ضعف، كما جاء في الحديث أن درهم سبق مائة ألف درهم، وسبب ذلك أن المتصدق بالدرهم -وهي العبادة المالية- أداها بكمال الحب مع تمام الذل لله ومنتهى التوكل عليه لتحصيل الثواب، قد حَسَّن الظن بربه وراقبه في عمله حتى كأنه يراه، لم يرى المخلوقين من حوله فيرائيهم، ولم يرى نفسه فاعلًا فيركن لفعله، بل رأى الله تعالى متفضلًا واهبًا خالقًا له ولعمله، بل هو الذي منَّ عليه بالمال ثم بإيجاد الفقير وجعله في طريقه، وزَينَّ له العمل الصالح، وزَهَّدَه في

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥).

قروشٍ فانية، ورَغَّبَه في جنة عالية، فلم يجد من لعاعة الدنيا إلا هذا الدرهم ولو كان يملك مائة ألف لأدَّاهم طواعية؛ ليشتري بهم بيته في الدار الباقية، فأصبح هواه تابعًا لما يريده مولاه، فأعطاه مولاه فوق ما يتمناه، فأعطاه بدرهمه أكثر مما يُعطي مائة ألفٍ آخرين، ورفع درجته في عليين وأورثه منازل الصالحين، وجعله كما جعل درهمه من السابقين، فإياك نسأل أن تلحقنا بهم يا رب العالمين آمين. آمين.

قال ﷺ : «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ» قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: «كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا**»[(١)].

٥ - عبادات القلوب أساس لنيل الدرجات العالية من الجنة :

فقد فاز الأنبياء بالدرجات العالية من الجنة لتميزهم بعبادات القلوب.

فإبراهيم عليه السلام كان عظيم **التوكل** .

وأيوب عليه السلام كان عظيم **الصبر** .

وعيسى عليه السلام كان عظيم **الزهد** .

وآدم عليه السلام كان عظيم **التوبة** .

ونبينا **محمد** ﷺ قد **جُمع له ذلك كله** .

٦ - عبادات القلوب أساس لنيل درجات الدين :

فدرجات الدين هي الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان.

والإحسان هو أعظم مرتبة في الدين ومبتغى العاملين وجهاد الصالحين.

والإحسان مبنيٌ على المراقبة لله وهي عبادةٌ قلبيةٌ صرف.

---

(١) حسن: رواه النسائي (٢٥٢٧، ٢٥٢٨)، وأحمد (٨٧١٠)، وحسنه الألباني في «صحيح ابن خزيمة» (٢٤٤٣).

فقد عرَّف النبي ﷺ الإحسان فقال: «**أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

ـ فلا يصل العبد إلى الإحسان إلا بإتمام عبادات القلب.

٧ – عبادات القلب أساس قبول عبادات الجوارح:

عبادات الجوارح لا تصح إلا بعبادات القلب.

فعبادات الجوارح لا تصح إلا بالنية، والنية محلها القلب، وهي من عبادات القلوب، وإن فسدت النية فسد العمل كله، والنية تفسد بالرياء ، والرياء يحبط ما كان فيه من العمل.

٨ - عبادات القلب تعوض عن عبادات الجوارح عند عدم الاستطاعة:

❁ قال ﷺ : «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ؛ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**»(٢). فمن لم يستطع الغزو وعزم عليه إن استطاع، أخذ أجر الغزاة في سبيل الله، فإن العزم والنية من عمل القلب الذي يحل محل الفعل، وإن نية المؤمن خير من عمله.

❁ قال ﷺ : «**مَنْ سَأَلَ الله الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ؛ بَلَّغَهُ الله مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»(٣)، فصدق السؤال هو من عمل القلب، والله مطلع على ذلك.

❁ قال ﷺ : «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(٤)، فتغيير المنكر بالقلب يحل محل تغييره باليد واللسان عند عدم القدرة على ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٨، ٩).
(٢) رواه مسلم (١٩١٠).
(٣) رواه مسلم (١٩٠٩).
(٤) رواه مسلم (٤٩).

٩ - عبادات القلوب يحتاجها المسلم في كل عبادة :

❁ فالمسلم يحتاج أن يعرف فقه الصلاة والطهارة، لكنه لا يجب عليه أن يعرف فقه صلاة المريض أو صيام المسافر إلا إذا مرض أو سافر، ولا يجب عليه معرفة فقه الزكاة إلا إذا ملك النصاب، وهو المقدار الذي يجب عليه إخراج الزكاة، وهو ٨٣ جرام ذهب، ولا يجب عليه معرفة مناسك الحج إلا إذا ملك الاستطاعة وهي المال والأمان والصحة.

❁ لكن المسلم يحتاج إلى العبادات القلبية في كل وقت وفي كل عبادة، فعليه أن يؤدي كل العبادات الظاهرة بتمام الحب مع كمال الذل، مع الافتقار إلى الله وإلى ثوابه.

❁ والمسلم يحتاج العبادات القلبية في علاقته مع الله، فيجب عليه أن يحبه، ويخافه، ويرجوه، ويحمده، ويتوكل عليه.

❁ والمسلم يحتاج إلى العبادات القلبية في علاقته مع أهله وإخوانه من حبهم في الله، والصبر على أذاهم، والتواضع لهم، وعدم الحسد لهم.

١٠ - عبادات القلوب ليس لها ميعاد للأداء بل تؤدى في كل وقت :

فإن العبادات البدنية والمالية لها أوقات معلومة، فالصلوات لها خمس أوقات مفروضة، ولها أوقات كراهة، والصيام منه المفروض في رمضان، ومنه المحرم في الأعياد، والحج في يوم عرفة ويوم الحج الأكبر وأيام التشريق.

لكن عبادات القلوب تُؤدى في كل وقتٍ حتى **تصير حالاً ملازمًا للعبد** في صحته ومرضه وصحوه ونومه وفراغه وشغله، فحب الله والخوف منه والرضا عنه وتعظيمه والافتقار إليه والشوق إلى لقاءه؛ لا ينفك عن العبد الصالح، وهو حالٌ ملازم له.

فإن التاجر في متجره والصانع في مصنعه قد تنقطع عنه عبادات الجوارح، لكنه لا يزال يحب الله ويخافه ويعظمه، فتظل تكتب له الحسنات في كل لحظة يشعر فيها القلب بذلك، فإن كان هذا حالٌ للعبد لا ينفك عنه، لم ينفك عنه عداد الحسنات.

❁ أليس إذا فرغ القلب من تلك العبادات ساعة كان من الغافلين؟

❁ وإذا فرغ القلب تمامًا من تلك العبادات كان من المعرضين الهالكين!!

١١ - العبادات القلبية تستمر بعد انتهاء هذه الحياة :

❁ **في القبر** : أليس إذا مات العبد أتاه ملكان فسألاه عن التوحيد: «من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟» والتوحيد من عمل القلب، والمؤمن يجيب أحسن إجابة وهو في قبره بتثبيت الله له، بينما يعجز عن ذلك الكافر والمنافق بإعراض الله عنه، جزاءً وفاقًا لما كان عليه حالهم في الدنيا.

❁ **ويوم القيامة** : أليس يفرح المؤمنون برؤية ربهم؟ ويحمدونه ويعظمونه وكل ذلك من عمل القلب، ويفرحون بالورود والشرب من حوض رسول الله ﷺ والمسلمون يحبون رسولهم في الله ويقبلون عليه، وحبه ﷺ إنما هو من عمل القلب.

❁ **وفي الجنة** : أليس يُلهمون التسبيح كما يُلهم الناس النفس في الدنيا؟ ويحبون ربهم ويرضون عنه ويرضى عنهم وكل هذا من عمل القلب.

١٢ - فساد القلب سبب لحبوط العمل :

❁ ألَا ترى إلى أول من تُسعر بهم النار، إنهم أناس كان ظاهرهم السبق في العبادات البدنية والقولية والمالية: إنهم المجاهد حتى قُتِلَ، وإنهم قارئ القرآن والمعلم له آناء الليل وأطراف النهار، وإنهم المتصدق ليل نهار ذات اليمين وذات اليسار ولكن بفساد قلوبهم، وغلبة إرادة الدنيا عليهم، وطلب نظر المخلوقين إليهم تركهم الله وأعمالهم؛ فهو أغنى الشركاء عن أن يكون له شريكٌ من دونه، وما من عملٍ ابتغى العامل به من هو دون الله معه؛ إلا تركه الله لذلك الأدنى ليُجازيه به، لينظر ماذا يُعطي هذا الشريك الأدنى لذلك الفاعل من ثواب في الدنيا والآخرة.

قال ﷺ : «**أَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ: رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يَقْتَتِلُ فِي سَبِيلِ الله، وَرَجُلٌ**

كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ الله لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ الله لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ الله: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ، فَيَقُولُ الله لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ الله لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ الله تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله، فَيَقُولُ الله لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ الله تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ الله: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى رُكْبَتِي، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ الله تُسَعَّرُ بِهِمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

❁ فيا لخسارة الـمُرَائِينَ حين يقدمون على أرحم الراحمين فيجدوا أعمالهم ضاعت مع الضائعين، فلا يثبت لهم منها شيء، وقد أصبحت هباءًا منثورًا في ليلة ظلماء شديدة الريح، لا يبقى عندهم من أعمالهم شيء، ومن كان حاله كذلك فالنَّار أولى به، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

١٣ - معاصي القلب أكبر من معاصي الجوارح:

❁ ألا ترى أن: الاستكبار، والشك، وعدم الانقياد، والإباء، والرَد، والجحود، والاستحلال؛ كلها من معاصي القلب؟ وكلها مخرجة من ملة الإسلام، وصاحبها في النار خالدًا مخلدًا فيها.

❁ أما معاصي الجوارح كالزنا وشرب الخمر والسرقة، عند أهل السُّنَّة لا تُخرج من الملة حتى وإن مات صاحبها مصرًا عليها، فهو إلى مشيئة الله، إن شاء عذبه بقدر

(١) رواه الترمذي (٢٣٨٢)، وأصله عند مسلم (١٩٠٥).

معاصيه، وإن شاء عفا عنه، ثم مصيره إلى الجَنَّة.

ولكن ليسمع كل سامع أن: معاصي الجوارح هي الباب لمعاصي القلوب.

وأن الكبائر هي البوابة الكبرى للجحود والاستكبار، وأخوف ما يُخاف على صاحب الكبيرة أن ينزلق إلى الاستحلال فلا يخرج من النار.

❁ **ومن معاصي القلب ما لا يخرج من الملة**، مثل: يسير الرياء، ويسير العجب؛ اللذان يحبطان العمل الذي وقعت فيه هاتان الآفتان، **ومنها**: الكبر على الناس، والفخر بالأنساب، والفرح بأذى المسلمين، والشماتة بمصائبهم.

❁ **ومن معاصي القلب ما هو مكروه**، كالانشغال عن الله بالمباحات من أمور الدنيا.

١٤ - أعمال القلوب للعمل لا للعلم فقط:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم خشية.**» [1]

❁ فنحن لا نقرأ أعمال القلوب لكي نتعلمها فقط، وإنما لنعمل بها، ففرقٌ بين من يعرف صفات الأصحاء وهو مريض ومن هو صحيحٌ بالفعل، وفرقٌ بين من يعرف أحوال الغِنَى وهو فقير وبين من هو غنيٌ بالفعل.

❁ ولابد من فعل العبادات الظاهرة التي تؤدى فيها العبادات القلبية، فالخشوع محله الصلاة ولا يدم كثرة السجود حتى يصبح الخشوع هو حالك، فلا تكتفي بالحديث عن الخاشعين بل المهم أن تكون أنت أولهم، بل تحاول أن تكون أول الناس في كل عبادة قال تعالى يحث المؤمنين ومخبرًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣].

❁ فبالاجتهاد في الطاعات تصل إلى تلك المقامات، وبدوام الدعاء، وإظهار الفقر لله، والتذلل بين يديه، والرغبة إليه أن يعطيك هذا الفضل، وأن يملأ قلبك بأنواع عبادته؛ عسى الله أن يمن علينا بصلاح قلوبنا وتزكية نفوسنا.

---

(1) رواه أحمد في (الزهد) (١٥٨).

ما هو العمل المترتب على العلم ؟

❁ إن كل مسألة من مسائل الإيمان وأركان الإسلام التي يتعلمها الإنسان يترتب عليها **عملٌ قلبي، فخضوع القلب** بها، واعتقاد العبد أنه **يلزمه إتباعها**، والعزم بقلبه أنه لو جاء وقتها **لعمل بها**، كل هذا من العمل المترتب على العلم.

❁ فإن عَلِمَ أن **الملائكة** خُلقت من النور، فعمله هو التصديق بذلك، وهو يُثابُ على تصديقه، وإن علم أنهم لا يفترون عن عبادة الله اجتهد أن يتشبه بهم في عبادتهم، وإن علم كيفية صفوفهم عند ربهم كما قال النبي ﷺ : «**أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**»[(١)]، اجتهد أن يصف مثلهم في صلاته وعند جهاده.

❁ وإن تَعَلَّمَ اسم الله **السميع** وأنه تعالى يسمع كل مخلوقاته في أنحاء أرضه وسمائه رغم اختلاف اللغات وتباين الطلبات واختلاط الأصوات، فلا يختلط عليه شيءٌ من ذلك بل سرَّهم وعلانيتهم عنده سواء، دفعه ذلك العلم ألا يتكلم إلا بما يرضي الله وأن يُنقي سريرته التي يطلع عليها الله.

١٥ - تفاضل الناس بما عندهم من أعمال القلوب :

هؤلاء آبائي فهل في الدنيا مثلهم ؟

قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! رِجَالٌ آمَنُوا بالله وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٤٣٠).
(٢) رواه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).

❁ قد كان الشافعي يختم القرآن كل يومٍ مرة، وكان يختمه مرتين في رمضان، وقد كان كثير من السلف لو قيل له القيامة غدًا لم يجد ما يزيده في جدول أعماله الصالحة، فلم يكن في يومه دقيقة يضيعها في غير عبادة الله، فقد كان بعضهم يجفف الخبز ويطحنه ويسفه حتى لا يضيع الوقت في مضغه، وكان أحدهم لا ينام إلا عندما تغلبه عينه وهو ساجد، وكان أحدهم يبلل الوسادة بدموعه من خشية الله ولا تشعر به امرأته وهي إلى جواره.

❁ ورغم ذلك كان أحد الصالحين يعد عمره كساعة من عمر الإمام أحمد، ومنهم من كان يعد أعمال عمره الصالحة بأقل من أعمال يوم واحد من حياة أحمد بن حنبل، رغم ما كان عندهم من أسباب مضاعفة الآجر من: حب الله، وخوفه، والتوكل عليه، وحسن رجائه، وهم الذين نقلوا أركان هذه العلوم العظيمة إلينا.

❁ فأين أنت من هؤلاء الصالحين ؟

وهل ترى أن طاعات عمرك تساوي يومًا من أعمارهم ؟

❁ وفي الطرف الآخر تجد أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يِزَن إيمانه إيمان الأمة بأسرها، وكم في الأمة من أمثال أحمد بن حنبل يزنهم أبا بكر.

❁ فإن بلغت المنتهى في أعمال القلوب كنت كأولئك الصالحين، فأين منزلة خيارهم؟ بل أين منزلة أبا بكر؟ إنه لم يسبق السابقين بكثرة صلاة ولا صيام، وإنما سبقهم بشيءٍ وَقَرَ في قلبه جعله يأخذ على العمل الواحد أجرًا غير محدود، أكبر بكثير من العشرة أضعاف أو السبعمائة ضعف، وإنما ذلك بسبب أعمال قلبه.

❁ فإنه اجتمع له في يومٍ واحد من الأعمال ما يوُجب له الجنة، فقد أصبح صائمًا، وصلى على جنازة، وعَادَ مريضًا، وتصدق، وكل هذا كان من قبل صلاة الفجر؛ لأن النبي ﷺ سأله بعدما فرغ من صلاة الفجر عن هذه الأعمال الصالحة، ومن أدراك أن النبي ﷺ لو سأل عن أكثر من ذلك فقال: من فعل كذا من الصالحات غير ما سبق؟

لأجاب أبو بكر: أنا يا رسول الله.

سأل رسول الله ﷺ يومًا: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه: **أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه: **أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه: **أَنَا، قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه: **أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله** ﷺ: **مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[1].

❁ هؤلاء آبائي فهل أنجبت الأمم مثلهم ؟

❁ وهؤلاء عشيرتي فهل في المجد من سبقهم ؟

❁ وهؤلاء أهرامي إن افتخر الناس بأهراماتهم ؟

وإنما تُعطر المجالس بذكر أمثالهم.

(١) رواه مسلم (١٠٢٨).

أنــواع القلــوب

١ – القلب السليم.

٢ – القلب المريض.

٣ – القلب الميت.

أولاً : القلب السليم :

• هــو القلب الذي خــلا من كل **شبهة** فأصبح يعبد الله باليقين كأنه يراه.

• وهو القلب الذي خلا من كل **شهوة** حتى أصبح مراده تبعًا لما يحبه الله .

• وهو القلب الذي خلا من كل **نواقض الإيمان،** فلا شك فيه، ولا استكبار، ولا إباء، ولا جحود، ولا نكران.

• وهو القلب الذي **تحقق بكل العبادات القلبية،** فامتلأ بحب الله، والخوف منه، والخشية منه، والتوكل عليه، والإخلاص له، والتوبة إليه، والصبر على قضائه، والصبر عن محارمه، والصبر على طاعته، والافتقار إليه، وحسن الرجاء فيه، والاستعانة به، والاستغاثة به، والاستعاذة به، والشكر له.

❁ واعلم أنه لن يفلح يوم القيامة إلا من أتى الله بقلبٍ سليم، خالٍ من الغل والحقد والحسد، خالٍ من الهوى والشهوات والشبهات، قد امتلئ بحب الله، **سبيله الإخلاص ومتابعة الرسول،** وصاحب هذا القلب **يدخل الجنة لأول وهلة.**

والقلب المهتدي يعطيه الله ما لا يعطى غيره

فإن الله يمن عليه **بالإلهام ، والتحديث ، والفراسة ، والرؤيا الصالحة.**

١ – **الإلهام :** قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص : ٧] فهذا الإلهام لها لم يأتها إلا بعد صلاح قلبها.

٢ - **التحديث** : قال ﷺ : «**لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ**»[(١)] .

ولم يصلح قلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه للتحديث إلا بعد خلوه من كل الآفات وملئه بكل الطاعات.

٣ - **الفراسة** : وكانت لا تخطئ لعمر بن الخطاب فراسة، فكان لا يخطئ في تصنيف الرجال، وكان لا يختلط عليه الطيب والخَبِيبِ.

٤ - **الرؤيا الصالحة** : وهي جزء من ستة وأربعين جزءًا من أجزاء النبوة، قال ﷺ : «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[(٢)] .

اللهم إنَّا نسألك باسمك الأعظم الذي إذا دُعيت به أجبت، وإذا سُئِلتَ به أعطيت؛ أن تعطينا قلوبًا سليمة، وندعوك أن تُصلح قلوبنا حتى تَصلح للعرضِ واللقاء.

اللهم آمين. آمين.

صلاحُ القلبِ صلاحٌ للفردِ...

وصلاحُ الفردِ صلاحٌ للجماعة المؤمنة :

فإذا صلحت قلوب طائفة؛ أمكن لهذه الطائفة أن تقوم بواجب العبودية لله، فتقيم حضارةً عظيمة، وتدعو الناس للدخول في تلك الحضارة بالجهاد.

فالسبيل الوحيد لإقامة عبودية الجهاد التي هي ذُرْوَةُ سَنَامِ الإسلام؛ هو إصلاح القلوب حتى تكون قلوبنا كقلوب الصحابة عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، حتى يكون هذا القلب أقرب ما يكون من قلب رسول الله ﷺ .

---

(١) رواه البخاري (٣٦٨٩).

(٢) رواه البخاري (٦٩٨٩)، ومسلم (٢٢٦٣) بلفظ «سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ»، وعند مسلم (٢٢٦٥) بلفظ: «جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا».

❁ فأعمال القلوب عبادة تنفرد بها الشريعة الإسلامية، فلما أحسن سلفنا هذه العبادة استووا على عرش الحضارة العالمية، وكذلك سنكون لو عاد الناس وصرفوا جهدهم لإصلاح قلوبهم.

ثانيًا : القلب المريض :

● هو القلب الذي غلبت عليه **الشهوات والشبهات** ففقد صحته وسلامته، قال تعالى في القلب المريض بالشهوة: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب : ٣٢].

١ - وإن القلب المريض **بالشبهات** يشك في نفسه، وفي ربه، وفي دينه، وفي المؤمنين، أو يتكبر على أوامر الله، أو يكذب بشرع الله.

٢ - فإن القلب المريض **بالشهوات** لا غرض له إلا الأغراض الدنيوية، والشهوات البهيمية، مثل شهوة البطن والفرج.

٣ - والقلب المريض لا يريد إلا الإرادات الشيطانية من حب الكبر، والعلو، والرياسة، والمال، والنساء.

٤ - والقلب المريض يشتهي نظر الناس إليه، ويشتهي أن يرتفع عليهم بعمله ليمن به عليهم.

علاج القلب المريض:

١ ـ علاج الشبهات بمعرفة الأسماء والصفات :

فإن الشبهة تأتي بالشك، أو الكبر، أو الإباء، أو التكذيب.

فإذا عرفت عظمة الله وجلاله وواسع علمه وعظيم حكمته وقدرته، وأنه تعالى مُنزهٌ عن كل نقصٍ وعيب؛ زَال من القلب كل شكٍ واستكبارٍ وإباءٍ، وانقادت النفس لطاعته وذلت لعظمته واستسلمت لمشيئته.

٢ ـ علاج الشهوات بمعرفة عبادات القلوب :

علاج الشهوة في حب الله، والخوف منه، وحسن الرجاء فيه، ومراقبته في السر والعلن، ومحاسبة النفس، والصبر عن المحرمات، والصبر على الطاعات، والاستعانة بالله في كل ذلك.

وعلاج القلب المريض هو **التزكية** قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة : ٢].

والتزكية هي: التخلية والتحلية :

❁ وهي **التخلي** عن كل تلك الإرادات الفاسدة، والتطهر من تلك النجاسات والأمراض الباطنة.

❁ وهي **التحلي** بأنواع العبادات، وأعظمها العبادات الباطنة -عبادات القلب-.

• وإنه لن يخلو قلبك من الإرادات الفاسدة؛ إلا إذا ملأته بالعبادات النافعة، فإذا دخل الخير طرد الشر؛ حتمًا ولابد .

• فإذا دخل حب الله قلبك طرد منه كل حبٍ لسواه، وتعلقٌ بما تهواه، وزال عنك الإخلاد إلى الدنيا الزائفة، والتثاقل إلى الأرض الموحلة، وأثمر الحب خوفاً، والخوف إخلاصًا، والإخلاص توكلًا، والتوكل رجاءًا، والرجاء شوقًا، والشوق إنابةً، والإنابة توبةً، والتوبة افتقارًا، والافتقار ذُلًّا، والذل زهدًا، والزهد ورعًا، والورع صبرًا، والصبر شكرًا، والشكر جَنَّةً ونعيمًا وروحًا وريحانًا وولايةً وقربًا، فأصبَحَتْ قدمك في الدنيا وقلبك تحت العرش.

• فأصبح مرادك تبعًا لمراده، وحبك تبعًا لمحابه، وفعلك تبعًا لأمره، فترتفع إلى مستوى ما خلقك الله له من توحيده، وعبادته، وتَعَلَّق قلبُك بعظمته.

• فقد أفلح سلفنا الصالح حين اهتموا بقلوبهم فعالجوها مما بها من الآفات والعيوب، حتى برعوا في معرفة أدوية القلوب، حتى أصبحت قلوبهم طاهرة كأعمالهم، وأصبح باطنهم ناصع كظاهرهم.

حتى تصل إلى انشراح الصدر :

• ولقد طلب نبي الله موسى عليه السلام هذه المنزلة، قال تعالى مخبرًا عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [طه : ٢٥]

• ولقد شرح الله صدر نبيه محمد ﷺ، وأعطاه تلك المنزلة قبل أن يسألها، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح : ١].

• وَمَنَّ الله بها على أصحاب محمد ﷺ ، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٢٢].

• فإذا انشرح صدرك لم يضيقه مكر عدوك، ولا ظلمه، ولا أذيته، ولا حقده، ولا حسده بفضل الله وَمَنِّه، ولرأيت فعل الله في كل ذلك، ورضيت عن قضائه، وأحببت اختياره لك؛ لما ترى فيه من الحكمة البالغة وحُسنَ العاقبة.

أسباب فساد القلب

١ – انشغال القلب بغير الله :

❁ انشغال القلب بتحصيل المال ليل نهار.

❁ انشغال القلب بتحصيل المناصب، فينخلع قلبه عند كل طارق أو هاتف، فربما يكون خبر بولاية أو وزارة، وربما يكون خبرٌ بتنحيةٍ أو إقالة.

❁ انشغال القلب بالنساء وحرصه أن ينظر إلى عوراتهن بكل طريقة وفي كل وقت.

❁ انشغال القلب بحب الدنيا وطول الأمل فيها.

❁ انشغال القلب بحسد الناس.

❁ انشغال القلب بالبحث عن عيوب الناس، وكراهيتهم، والغل لهم، وحب الانتقام منهم.

٢ - الذنوب :

قال ﷺ : «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [المطففين : ١٤]»[(١)] .

قال الحسن البصري : «هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب».

٣ - مخالطة الناس في غير الخير :

❁ فلا تخالط الناس إلا المخالطة المحمودة، فتزور مريضهم، وتواسي فقيرهم، وتُعَلِم جاهلهم، وتجالس عالمهم، وتصلي الجماعة معهم، وتسعى على يتيمهم، وتجهز إفطار صائمهم وتحج معهم.

❁ فمن لم يستطع إلا مخالطة الناس في العمل والتجارة؛ فليكن قلبه **الحاضر الغائب، القريب البعيد**، وليكن معهم ببدنه وينأى عنهم بقلبه، فبدنه يعمل على الأرض وقلبه في الملأ الأعلى ساجدًا تحت العرش .

٤ - كثرة الطعام والشراب :

❁ قال الفضيل بن عياض: «خصلتان تُقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل».

❁ قال الشافعي: «ما شبعت منذ ستة عشر سنة إلا مرة، فأدخلت يدي فتقيأتها؛ لأن الشبع يثقل البدن ويُقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويُضْعِفُ عن العبادة».

❁ قال أبو سليمان الداراني: «لكل شيءٍ صدأ وصدأ القلب الشبع».

٥ - كثرة النوم

وأبشعه من نام عن الفرائض.

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٤٤)، والترمذي (٣٣٣٤)، وأحمد (٧٨٩٢)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤٢).

علاج قسوة القلب

١ - **ذكر الله** بحضور القلب.

٢ - **ذكر الموت**، فمن ذكر الموت قصر أمله وكثر عمله وقل ذنبه.

قال سعيد بن جبير: «لَوْ فَارَقَ ذِكْرُ المَوْتِ قَلْبِي لخَشِيت أَنْ يَفْسُدَ عليَّ قَلْبِي»[(١)].

٣ - **زيارة المقابر** والاعتبار بحال الموتى ومصارعهم.

٤ - **زيارة المرضى** والاعتبار بعجزهم وألمهم.

٥ - **زيارة الصالحين** والاعتبار بسمتهم.

٦ - **قراءة كتب الصالحين** والاعتبار بهديهم.

ثالثًا: القلب الميت:

• هو الذي لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا؛ إلا ما أُشرب من هواه، فهو كالكوز المنكوس إذا صُب عليه الخير لا يقبله وينحدر عنه، **فهو لا يعرف ما الرحمن، ولا يطلب جنة الرضوان**، همه الشهوات، ولا يعرف الصلوات، همه الدنيا، صخَّابٌ بالأسواق، جيفةٌ بالليل، حمار بالنهار، همه الدرهم والدينار، لا يعرف لله ﷻ قدرًا، ولا للنبي مقدارًا ﷺ.

• وموت القلب أشد من موت البدن؛ لأن ميت القلب لا خير فيه ولا فائدة، وأما ميت البدن فربما يكون من أهل الجنة، قال ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد في الزهد (٣٧١).
(٢) رواه البخاري (٦٤٠٧).

العبـادات القلبيــة

١- حب الله.
٢- الخوف من الله.
٣- الإخلاص.
٤- التوبة والإنابة إلى الله.
٥- التوكل على الله.
٦- الرجـاء.
٧- حسن الظن بـالله.
٨- مجاهدة النفس.
٩- المحاسبة.
١٠- المراقبة.
١١- الصبر.
١٢- الحمد والشكر.
١٣- الاستعانة.
١٤- الاستغاثة.
١٥- الاستعاذة.
١٦- التقوى.
١٧- الـورع.
١٨- الزهد.
١٩- الافتقار إلى الله.
٢٠- الإخبات لله.
٢١- الاستسلام والذُلّ لله.
٢٢- التواضع.
٢٣- الخشوع.
٢٤- اليقين.
٢٥- التفكر في آيـات الله.

١- حب الله

❁ حب الله أصل كل العبادات.

❁ وهو أساس الملة والدين.

❁ وهو أول الفرائض وأعظم الأعمال.

❁ وهو حياة القلوب، ولا يحيى القلب إلا به، فمن لم يحب الله فقلبه ميت.

❁ وهو بهجة النفوس، وهو قرة العيون.

❁ فبحب الله يطمئن الإنسان ويجد السكينة والراحة.

❁ وحب الله أعلى نعيم الدنيا والآخرة.

وإنما طلب المؤمنون رؤية ربهم في الجَنَّة لحبهم له ومع رؤيته تكتمل محبته، وإن لذة النظر إلى وجه المحبوب «الله العظيم» أعظم من كل نعيم الجَنَّة، فضلًا عن نعيم الدنيا.

❁ حب الله هو روح الإيمان، وروح الطاعات، وهو الدافع لها، وكل أعمال القلوب بعد ذلك ثمرة من ثمار حب الله.

❁ وإذا زال حب الله من القلب بالكلية زال الإيمان بالكلية.

❁ ومن لم يذق حلاوة حب الله تعالى فبسبب موت قلبه وخبث نفسه.

الحب الواجب والحب المستحب

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : «ومحبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على درجتين:

الدرجة الأولى: فرضٌ لازم:

هي أن يحب الله محبة توجب له محبة ما فرضه الله عليه، وبغض ما حرمه الله عليه، ومحبة رسوله المبلغ عنه أمره ونهيه، وتقديم محبة رسوله على محبته لنفسه وأهله وماله، وتوجب عليه محبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم بإحسان، وبغض الكفار والفجار، والرضا والتسليم بكل أوامر الدين.

فالمحبة الواجبة تقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات.

وهذا القدر لابد منه في تمام الإيمان الواجب، ومن أخل بشيءٍ منه فقد نقص إيمانه الواجب بحسب ذلك، قال تعالى في الرضا والتسليم بأحكام الدين: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء:٦٥]

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين:

هي أن ترتقي المحبة إلى محبة ما يحبه من نوافل الطاعات، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات، وإلى الرضا بما يقدره من المصائب التي تؤلم النفوس.

قال ﷺ : «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[(١)] .

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

كيفية أداء العبادة :

❁ تؤدي العبادة مع تمام الحب وغاية الذُّل .

❁ فأنت تحب الطعام والشراب والزوجات والأولاد والمال، وتخاف من العدو والغرق والحرق.

❁ لكنك لا تحب من كل وجه وتخاف من كل وجه أحدًا إلا الله.

❁ فإن الكمال في أداء العبادة هو أداؤها بكمال الحب مع تمام الذُّل لله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة : ١٦٥]، ويجب أن يقترن حب الله تعالى بالذُّلِ له سبحانه، وهذا الذُّل هو سبب عزة المؤمن التابعة لعزة الله.

حـلاوة الإيمـان

❁ **حلاوة الإيمان هي الاستلذاذ بفعل الطاعة** وتحمل المشاق في سبيل الله، وهي السرور والبهجة والفرحة يجدها العبد في قلبه بعد فعل الطاعة.

❁ **وهي** الإجلال والهيبة والإقبال على الله والشعور بمعيته سبحانه.

❁ ولا يشعر العبد بحلاوة الإيمان إلا بحب الله، وحلاوة الإيمان لا تدخل في القلب إلا باكتمال محبة الله، فبدون محبة الله لا يشعر المؤمن بحلاوة الإيمان.

❁ وحلاوة الإيمـان لا تُوصف حتى يحصلها الناس؛ لأنه لا يدركها إلا من أحب الله بكل كيانـه، فتمـلأ هذه المحبة قلبـه، وتشغل فكره، فينشغل بذكر الله الخـالق عن ذكر المخلوقين.

❁ ومن مظاهرها الفرحة تكون في قلب المؤمن عند إتمام الطاعة، وهذه الفرحة لا تدانيها فرحة جمع التجار لأرباحهم، ولا فرحة أهل الشهوات بشهواتهم، قال تعالى: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [يونس: ٥٨].

قال ﷺ: «**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ**»(١).

يعني يفرح عند فطره لتوفيق الله له لإتمام الطاعة حتى نهايتها.

لا تدرك حلاوة الإيمان إلا بثلاثة شروط:

أولًا: أن يكون الله ورسوله أحب للعبد مما سواهما.

ثانيًا: أن لا يحب المرء شيئًا إلا لله.

ثالثًا: أن يكره الكفر أشد من كرهه إلقاء نفسه في النار.

قال النبي ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٧٤٩٢)، ومسلم (١١٥١).

(٢) رواه البخاري (١٦، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣).

الشرط الأول: أن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما:

❁ **السِوىَ**: هو ما يحبه الإنسان بطبيعته من زهرة الدنيا كالمال والولد والزوجات والمناصب، وإن كان من المباحات.

❁ فإن محبة الله ورسوله التي تُثمر حلاوة الإيمان لا يكتفي فيها بأصل الحب، بل يجب أن يكون عند العبد من قوة الحب لله ورسوله ما يقدم ذلك الحب على حب كل شيء، مثل حبه لولده ووالده والناس أجمعين **بل يقدم حب الله ورسوله على حبه لنفسه.**

لا شيء أعظم من حب الله:

❁ ومعلوم أن أحب الأشياء إلى العبد هي نفسه وحياته، ولكن إذا آمن العبد وصدق إيمانه أصبح حب الله عنده أعظم من حبه لنفسه وماله وولده ووالديه وإخوانه وزوجاته ومساكنه.

❁ وهذه الدرجة من المحبة لا توجد إلا بين المؤمنين وبين ربهم ﷻ؛ **فهم أشد حبًا لله،** قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ**﴾ [البقرة: ١٦٥].

❁ وهذه المحبة تقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد لله.

❁ ومن لوازم تلك المحبة أن تغار لله، **فتتمنى أن يحبه كل الخلق مثلك،** ويضيق صدرك أن ترى الناس معرضين عنه، لم يذوقوا حلاوة حبه.

الدليل على حب العبد لله:

❁ من ادعى حب الله أمتحنه الله بمتابعة رسوله ﷺ وجعلها دليلًا على حبه لله، قال تعالى: ﴿**قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١].

❁ فمن أحب الله وأطاعه لزمه أن يحب الرسول ﷺ ويطيعه.

❁ ومن ادعى محبة النبي ﷺ ثم لم يُتَّبِعه ويطيع أمره ويجتنب نهيه ويقدم قوله على قول كل أحد؛ فقد كذب في حبه للنبي ﷺ، ومن ثَمَّ كذب في حبه لله تعالى.

الشرط الثاني: أن لا يحب المرء شيئًا إلا لله.

الحب في الله من كمال محبة الله :

❁ فيحب ما يحبه الله من **العمل الصالح**، ويحب من يحبهم الله من **الصالحين** .

❁ ومحبة الله تستلزم محبة طاعته، فالمحب يحب ما يحبه محبوبه، والله تعالى يحب من عباده أن يطيعوه.

❁ ومحبة الله تستلزم محبة أهل طاعته كأنبيائه ورسله وأوليائه وأئمة الدين والصالحين من عباده، وتكون محبتهم من أجل طاعتهم، لا لقرابة أو نسب أو نفع دنيوي، **وهذا هو الحب في الله** .

❁ **وعلامة صدق الحب في الله** أن لا يزيد ببر المحبوب ولا ينقص بجفائه، فإن كان يزيد بالبر وينقص بالجفاء فهو حب للدنيا لا يغني عن صاحبه شيئًا يوم القيامة.

فلا يحب شيئًا إلا لله :

حتى يصبح حبه لما يحبه الله أعظم عنده من حبه لهوى نفسه، فيصبح هواه تبعًا لما يحبه مولاه، ومن كان كذلك كان مؤمنًا حقًّا، **وتلك درجة الولاية لله** .

❁ فتكون حياته كأنها « وقف لله »، فلا تكون له لذة ولا فرحة ولا همٌّ ولا عمل إلا إرضاء الله وإتباع أوامره وفعل محابه.

❁ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يحبون بعضهم بعضًا في الله حتى كانوا يؤثرون إخوانهم على أنفسهم تقربًا لله، وهذا من صدق الحب في الله، حتى أن أحدهم لم يكن يظن أنه أحق بماله من أخيه، قال تعالى: ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ [الحشر : ٩]، وسيعود هذا الخُلق غريبًا كما سيعود الإسلام كله غريبًا.

فإنا نشهدك يا الله! أنَّا نحبك، ونحب نبيك، ونحب أصحاب نبيك، أكثر من أنفسنا، وأبنائنا، وآبائنا، وأموالنا، ونسائنا، والناس أجمعين.

اللهم! اجمعنا بنبيك ﷺ وقد آمنا به ولم نره، ولا تفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مدخله.

المرء مع من أحب :

سئل النبي ﷺ عن المرء يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال النبي ﷺ : «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»(١) .

❁ فالمؤمن في الجَنَّة أقرب ما يكون إلى الله؛ لأنه كان يحب الله، وهو جار لرسول الله ﷺ ، لأنه كان يحب رسول الله ﷺ ، وإن سرير عرش أحدهم ليطير حتى يقابل سرير أخاه الذي أحبه في الدنيا، فيتذكران أوقات الطاعة والجهاد ومتى غفر الله لهم ونالوا تلك الكرامة ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

❁ فحب الإخوان في الله ليدوم حتى بعد انتهاء الحياة ليستمر في الجنة، وإن المؤمن ليلحق بمن يحب من إخوانه يوم حر القيامة فيستظل معهم تحت ظل العرش قال ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»(٢) .

❁ فإن صدقت في حبك لله وفي الله كنت مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

❁ وأعظم من تحب هو الله، فيجعلك الله معه، ويكون الله معك معية رعاية وتكريم وحفظ في الدنيا، ويدخلك الجَنَّة في الآخرة لتكون أقرب شيء إليه.

الشرط الثالث: أن يكره ضد الإيمان وهو الكفر أشد من كرهه لإلقاء نفسه في النار:

فإن كراهية الكفر من كمال محبة الله :

❁ ولو خيِّر بين الكفر وبين موته بإلقاء نفسه في النار لاختار النار ولا يكفر.

❁ ولوازم ذلك أن يكره من كَفَرَ بالله وأشرك به وفسق عن طاعته؛ لأجل ما فعلوه

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٨، ٦١٦٩، ٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١).

(٢) رواه البخاري (٦٦٠، ١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

من الكفر والفسوق الذي يسخط الله، ولو كان هؤلاء من أقاربه وأهله، فإنه يبغضهم بقلبه ولا يعطيهم الدنية في دينه، ولا يداهنهم على أمر الله، بل يعتز بعقيدته ويجهر بشعائر دينه.

الحب في الله والبغض في الله :

❁ وكلما قويت محبة الله في قلب العبد أصبح لا يحب شيئًا إلا في الله، وأصبح لا يوالى إلا أولياء الله وينصرهم، وأصبح يبغض أهل معصيته ويعاديهم في الله ويجاهدهم، وأصبح لا يعطى ولا يمنع إلا لله.

❁ وكلما قويت محبة الله في قلب العبد قويت هذه الأعمال واكتمل توحيده، وكلما نقصت محبة الله في قلب العبد نقص توحيده أو عَدِم، والناس بين مُقِل ومُستكثر، أو محروم.

❁ ولن يصل العبد إلى حلاوة الإيمان بكثرة الصلاة والصيام فقط؛ إلا أن يحقق الحب في الله والبغض في الله، فلن يذوق حلاوة الإيمان إلا **إذا أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، وأعطى لله، ومنع لله.**

❁ بل لن يصل إلى **الإيمان الكامل حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به رسول الله** ﷺ

أما عكس ذلك من الحب لغير الله :

فإن الحب لغير الله ينقطع يوم القيامة وينقطع كل سببٍ ووسيلةٍ وصلةٍ ومودةٍ كانت لغير الله، **فما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل.**

❁ فمن اتخذ من دون الله أولياء أو كبراء أو متبوعين أحبهم كحبه لله، ووالى لهم، وعادى لأجلهم، على عكس مراد الله، خانته هذه المودة أحوج ما كان إليها، وانقلب هذا الحب عداوة يوم القيامة، وتبرأ بعضهم من بعض، وتبرأ المتبوعين من أتباعهم، وكفر بعضهم ببعض، ولعن بعضهم بعضًا، وحبط عملهم وإن كان كثيرًا، وإن اشتد تعبهم فيه، فيصيبهم أعظم الحسرات حين يرون سعيهم ضائعًا، وقد سعد أهل السعي النافع بسعيهم وإتباعهم لرسولهم ﷺ.

الأنـداد

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

❁ من المشركين من يحبون الله، لكنهم اتخذوا أندادًا وشركاءً يحبونهم كحبهم لله.

❁ ولكن المؤمنين يحبون ربهم أشد من حب المشركين لشركائهم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾.

❁ وإن المؤمنين يحبون ربهم أشد من حب المشركين لله، فإنه لما توزعت محبة المشركين بين محبة الله ومحبة الأنداد صار حب الله ضعيفًا في قلوبهم.

❁ لذلك يحرم اتخاذ أندادًا يحبهم كحب الله، حتى لو كان أصل حب هذه الأنداد من المباحات، مثال أن يحب الرجل زوجته حبًّا عظيمًا كحبه لله، فتطلب منه ما لا يقدر عليه، ويأسره حبها، فلا يستطيع مخالفة أمرها، فيطلب المال من كل وجه، ولا يبالى أمن حلالٍ أم من حرام؟ فيعصي الله ليطيع الذين يحبهم من دون الله.

❁ وربما كانت الأنداد موتى الصالحين، فيدفعه حبهم إلى أن يدعوهم من دون الله، فيشرك بذلك الشرك الأكبر، عياذًا بالله.

❁ وربما كان الأنداد هم الرؤساء والكبراء والمتبوعين يتبعهم على عكس مراد الله في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله؛ فإن صدقهم وأتبعهم خرج بذلك من دين الله، فإنه جعلهم بطاعته لهم أربابًا، وساوى بينهم وبين الله، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

الأسباب الجالبة لمحبة الله

١ - قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه .

٢ - التقرب إلى الله بالنوافل والطاعات بعد الفرائض .

٣ - دوام ذكر الله على كل حال باللسان والقلب .

٤ - إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى .

٥ - مشاهدة القلب لأسمائه الحسنى .

٦ - مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة .

٧ - انكسار القلب بين يدي الله .

٨ - الخلوة بالله وقت نزوله في الثلث الأخير من الليل والتلذذ بدعائه وتلاوة كتابه وختام الليل بالاستغفار والتوبة .

٩ - مجالسة المؤمنين الصادقين والتقاط أطيب كلامهم .

١٠ - مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله .

١١- التفكر في رؤية أهل الجَنَّـة لربهم وزيارتهم له واجتماعهم به يوم المزيد .

﴿ ١ ﴾ قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه :

❁ فالتدبر أن تقف عند كل آية، وكل كلمة، وكل حرف، تتدبر ما فيه من المعاني التي يريدها الله؛ فإنك **تجد فوائد ومعاني في الآية في كل مرة تقرأها** فيها، غير ما وجدت من المعاني في المرة التي قبلها.

❁ وأخص ذلك يحصل عند تدبر القرآن في الصلاة، وبخاصة في قيام الليل.

❁ وقد قام النبي ﷺ بآية واحدة يرددها حتى أصبح ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [المائدة : ١١٨] (١).

مثال التدبر في القرآن :

التدبر في قوله ﷻ : ﴿ **إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [المائدة:١١٢-١١٤].

● قول الحواريون : ﴿ **هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ** ﴾ هذا القول ينافي الإيمان، ويدل على الجهل بعظمة الرحمن.

● قول الحواريون : ﴿ **نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا** ﴾ فطلبوا الأكل قبل طلب الهداية والاطمئنان والإيمان، فتشعر أن اهتمام هذا الطالب بأمر قلبه وآخرته اهتمامًا ضعيفًا جدًّا مُؤخرًا إلى ما بعد الأكل، وهذا نقص شديد في الإيمان وتخبط في ترتيب الأولويات.

● فطلب عيسى عليه السلام المائدة حتى لا يُفتنوا عن دينهم، فبدأ بالدعاء والتوسل إلى الله بألوهيته وربوبيته قال: ﴿ **اللَّهُمَّ رَبَّنَا** ﴾ فتوسل إليه بما يحب من ألوهيته وربوبيته.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٣٥٠)، والنسائي (١٠١٠)، وأحمد (٢٠٩٨٤)، وحسنه الألباني.

• وطلب الدين والإيمان أولًا؛ لأن طلبه **للعيد** من الإيمان، فإن العيد أحد شرائع الدين، والعيد من العبادات التوقيفية ﴿**تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا**﴾ يعني من العبادات التي لا يشرعها إلا الله، ولا يجوز للمخلوق أن يشرع للمخلوق عيدًا من دون تشريع الله.

• وطلب الآية والهداية ليصلوا إلى اطمئنان القلب بقرب الرب ﴿ **وَءَايَةً مِّنكَ** ﴾.

• ثم طلب الأكل في نهاية الآيات، وهو طلبٌ ضمني على استحياء ضمن قوله: ﴿**وَٱرْزُقْنَا**﴾.

• فكان عيسى النبي عليه السلام يعلمهم كيف يتأدبون مع الله وكيف يطلبون منه، ويعلمهم أولويات الطلب، فالباقية قبل الفانية، والآخرة قبل الدنيا، والإيمان قبل الملذات.

• فانظر إلى الفرق الشاسع بين الأدب العالي في كلام رسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام لربه وبين كلام الحواريين.

❁ **ثم قارن حال أولئك الحواريين بحال أصحاب نبينا محمد** ﷺ يوم طلب منهم البيعة على القتال يوم بدر، فقالوا: «**لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾** [المائدة:٢٤]، **وَلَكِنْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنكُونَنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَمِنْ خَلْفِكَ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْكَ، سِرْ بنا على بركة الله فوالله لإن بلغت بنا برك الغماد لسرنا خلفك ما تخلف منا رجل واحد**»[(١)].

❁ **شتان ما بينهما .**

• فإنا نشهدك يا الله! أنَّا نحب هؤلاء القوم، أصحاب نبيك ﷺ ، ونتمنى لو كنا معهم، ننصر نبيك ونُقتل تحت قدمه، ونسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تحشرنا في زمرة أصحابه، كما أخبر نبيك ﷺ بأن «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[(٢)].

• فمن قرأ القرآن هكذا -بالتدبر والتفهم- ودارت في خلده كل تلك المعاني، **أحب القرآن وأحب الذي أوحاه وأنزله وتكلم به .**

---

(١) رواه البخاري (٤٦٠٩) بلفظٍ قريب.
(2) رواه البخاري (٥٧٠٢).

﴿ ٢ ﴾ التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض :

❁ فإن أحب شيءٍ إلى الله هو الفرائض تليها النوافل.

❁ وكلما كان العبد صادقًا في حبه لربه اجتهد في أداء محبوباته من الفرائض، ثم داوم على النوافل، وبذلك يثبت صدق حبه **ويصل إلى ولاية ربه** فيحبه ربه ويتولاه.

❁ فمن آمن ثم أدى الفرائض ثم داوم على النوافل، فإنها طريق الولاية. والولاية أصلها الإيمان وطريقها التقوى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣].

❁ فإن العبد حين أدى الفرائض صار **مؤمنًا** وأحب الله منه إيمانه، فلما أدى النوافل وداوم عليها صار **وليًا** فأحبه الله حبًا كاملًا من كل وجه.

❁ فأصبحت كل حواسه: سمعه وبصره ويده ورجله تابعةً لمراد الله، فهو لا يحرك ساكنًا ولا يفعل شيئًا ولا يترك شيئًا إلا لله وبالله، فهو لا يفعل شيئًا إلا لله **إخلاصًا** له تعالى، ولا يفعل شيئًا إلا بالله **استعانةً** به تعالى.

❁ **فلما اكتملت ولايته تولاه الله** ، وقال في الحديث القدسي: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**»[1].

❁ ومحبة الله للعبد رزقٌ منه تعالى إلى الصادقين من عباده فقط، الذين اجتهدوا في طلب محبته، والله لا يعطيها للغافلين.

العبادة هي الطريق الوحيد للمحبة

❁ والأوعية التي يستقبل فيها العبد رزق المحبة هي العبادات، فليتحرَّ مواسم الخير والاجتهاد في الطاعة كالعشر الأواخر من رمضان والعشر الأوائل من ذي الحجة،

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

وليتحرَّ أفعال البر من الحج والعمرة والجهاد والصدقة، وليتحرَّ أماكن الخير كمكة المكرمة والمدينة المنورة ومنى وعرفات، وليتحرَّ ساعات القرب في الثلث الأخير من الليل.

❁ فإحسان العبادة هو الطريق الوحيد الذي يُرقيه ليقترب من رضا ربه وبارئه ﷻ، فيشعر بلذة حبه.

❁ وقد لا يجد العبد حلاوة الإيمان عند بداية سلوكه إلى ربه، فليس له سبيل إلا المواظبة على الطاعات والاستمرار في دق الباب، ولا يحيد عن باب ربه ينتظر أن يُفتح له، فإن أذن الله له أن يدخل وصل إلى الدرجات العلا من أعمال القلوب التي يدخل بها جنة الدنيا، التي هي المفتاح لجنة الآخرة.

❁ فالتكاليف، لابد من **إجبار** النفس عليها في **البداية**، حتى يشعر **بلذتها** في **النهاية**، فالنفس الأمارة بالسوء تميل إلى الكسل واللعب، والمؤمن لابد أن يروض نفسه حتى تنقاد لله وتألف الطاعة، فحينها يجد القرب ولذة الحب، فيدفعه الحب إلى مزيد من الطاعة والقرب.

❁ **وسبب وجود المشقة في العبادة** سببين هما: حال القلب الناقص، وتأدية العبادة على حالٍ ناقص.

وعلاج الشعور بمشقة العبادة :

❁ إكراه النفس على تأديتها، والمواظبة عليها وتحسينها، فيؤديها بالخشوع مع تمام الحب وكمال الذل، مع تمام الرغبة إلى الله، وصدق التوكل عليه، والإخلاص، والصبر، فتكمل بذلك العبادة في ذاتها، فتؤدي إلى حصول لذة حب الله في قلب العبد، فيتحول حاله من الصبر عليها إلى الاستمتاع بها، ويتحول من استعجال الفراغ منها إلى تمني عدم انتهائها، ويصبح حب الله هو الذي يدفعه للعبادة التي يجد فيها قرة عينه.

عظيم قدر الصلاة:

فقد قال رسول الله ﷺ: «**وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»(١)، وقال: «**يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ؛ أَرِحْنَا بِهَا**»(٢)، ولم يقل: أرحنا منها، فهو ﷺ لم يؤدها كتكليف لابد منه لدخول الجنة فقط، ولكنه يؤديها لأن فيها انشراح صدره وشفاء قلبه وراحة فؤاده، فبها تهون مصاعب الحياة وابتلاءاتها.

الصلاة في القبر:

❁ فمن الناس من كان يتمنى أن يصلي في قبره، كثابت البناني، فهو يخاف أن تذهب عنه قرة العين التي كان يجدها في الصلاة بعد موته، فكان يتمنى أن تستمر معه قرة العين بعد الموت في قبره، والتي كانت تحصل له بالصلاة.

❁ وقد مر رسول الله ﷺ برسول الله موسى عليه السلام وهو يصلي في قبره قال ﷺ: «**مَرَرْتُ عَلَى قَبْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**»(٣).

❁ وصلاة الرجل في قبره من باب السعادة والمبالغة في الإكرام لمن أحب الصلاة على الدوام.

رجلٌ قلبه معلقٌ بالمساجد:

❁ فشتّان بين قلبين: قلبٌ يَكسل عنها ويتأخر في الذهاب إليها؛ فإذا قام إليها أسرع في أدائها ينقرها نقرًا حتى يسرع بالعودة إلى الأودية التي تشتت فيها قلبه من الأعمال والتجارات، وهو في صلاته ينتقل بقلبه بين فلان الذي عليه الديون يريد تحصيلها والحاجة الفلانية التي يريد قضاءها، والزوجة التي يريد إرضاءها، والدار التي يريد إصلاحها، والتجارة التي يخشى كسادها، والمناصب التي يخشى زوالها، قد

---

(١) صحيح: رواه النسائي (٣٩٣٩، ٣٩٤٠)، وأحمد (١١٨٨٤)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٨٥)، وأحمد (٢٢٥٧٨، ٢٢٦٤٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٩٢).

(٣) رواه مسلم (٤٣٨٠).

جعل نفسه لعبة تتقاذفها شياطينها، وأدخل نفسه في غفوة، وأصبح قلبه لاه لا ينتبه منها إلى على قول الإمام: «السلام عليكم ورحمة الله».

وقلبٌ يسرع إليها ثم إذا أدّاها تدبر في القراءة وتمهل فيها لم يرد إنهاءها لما يجد فيها من اللذة من اجتماع قلبه على ربه تعالى، والشعور بقربه ومعيته ومراقبته فيتعلق قلبه بها، لا يقطع عليه حبل اتصاله بالله إلا قول الإمام: «السلام عليكم ورحمة الله»، فلا يكون همه بعد الصلاة إلا «متى تحين الصلاةُ التالية؟» حتى يرجع إلى المسجد فيرجع إليه قلبه. قال ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ...**» منهم «**وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ**»[1].

غُربة المؤمن وسط أهله:

❁ وهذا المؤمن في الحقيقة لم ينقطع اتصاله بربه، فإنه إذا خرج من المسجد لشؤون الحياة؛ خرج ببدنه وبقى قلبه في المسجد، فيشعر بالوحشة والغربة بين الناس حتى يعود إلى المسجد، فيعود إلى قلبه ويجتمع شمله وتستقر نفسه، فتجده يذكر بالضبط عند أي آية وفي أي سورة وقف في الصلاة الماضية ليستكمل القراءة في الصلاة الحالية، لا كَمَنَ تسأله بماذا قرأ الإمام فيجيب: «بشيءٍ من القرآن غير أني لا أذكره بالتمام»، ولا حول ولا قوة إلا بالملك العلام.

لن يقوم بهذا الدين دراويش:

❁ وهذا الذي تعلق قلبه بالمسجد ليس بالضرورة أن يكون من العاطلين أو من الذين يأكلون من أموال المتصدقين، فقد كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه إذا شوهد في مكان تجارته وسط غلمانه ومساعديه، يقول من رآه: «هل هذا يحسن يصلي؟» لشدة ما يرى من إحكام قبضته على الدنيا وكأنه يجرها من قرنيها، فإذا ذهب يصلي إمامًا للحرم

---

(١) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

المكي، قال أحدهم: «من ينفق على هذا ؟» لشدة ما يرى من خشوعه وبكائه.

«كأنه بالله من العارفين وبأمر الدنيا من الجاهلين».

❁ وقد سبقنا رجال كانوا أئمة في أمر الدنيا والآخرة، وأخبر الله أن الدرجات العليا من الجنة قد أُعِدت لهم، حالهم يَصُعُبْ على أصحاب القلوب المريضة فِهمُهُ، ووصفهم يصعب على أبناء الدنيا شرحه، قد تعلقت قلوبهم بمساجدهم وقد خالطوا الناس بأبدانهم دون قلوبهم، يشعرون إذا خالطوا الناس بوحشة الغريب يريد أن يرجع إلى أهله ووطنه قال ﷺ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»[(١)]، فهم لم ينقطعوا عن الناس، قال >: «**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ؛ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»[(٢)]، ورغم ذلك أتتهم الدنيا وهي راغمة، وهي كارهة أن تملكها مثل تلك الأيدي الطاهرة، فأمسكوها من لابتها وأنفقوها في مرضاة خالقها، فنعم المورد ونعم المآل، ونعم الأخذ ونعم العطاء، فكما سَلِمَتْ قلوبهم منها في الدنيا، كذلك يسلمون من السؤال عنها في الآخرة حين يُسأل الناس عن أموالهم كيف جمعوها وفيما أنفقوها.

قرة العين :

• ولا تحصل قرة العين إلا بالله بالشعور بالقرب منه والشوق إليه ومراقبته، وإنما الصلاة هي السبيل الموصلة إلى كل ذلك النعيم.

• وكذلك تحصل قرة العين بغيرها من الطاعات كالجهاد والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن الناس لتشفق على المجاهد كيف يترك ماله وولده وزوجته وبيته، والمجاهد لا يشعر بما يقولون، بل هو يجد راحة قلبه في طاعة ربه، وإنما

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٣٢)، وأحمد (٥٠٠٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٩)، ورواه الترمذي (٢٥٠٧) بلفظ: «المسلم...».

هو الذي يشفق على الناس لما هم فيه من كدر قلوبهم الناتج عن دوام فقرهم إلى الدنيا، **فهم يشفقون عليه وهم الذين يستحقون الشفقة في الحقيقة .**

﴿ ٣ ﴾ دوام ذكر الله على كل حال باللسان والقلب :

❁ **فدوام ذكر المحبوب دليل على صدق محبته .**

❁ **ونصيبه من المحبة على قدر نصيبه من ذكر من يحبه .**

❁ **وذكر القلب هو المقصود الأعظم** ، وإنما كان ذكر اللسان معينًا له، وذكر القلب أن يظل محبًا لله خائفًا منه متوكلًا عليه راجيًا له؛ فيثمر ذلك مزيدًا من الحب له، أما ذكر اللسان فقط والقلب لاهٍ فإنه لا يورث محبةً ولا قربًا.

❁ **ومن فوائد ذكر القلب لله :** أن العبد يفكر فيمن يذكره فيحبه ويشتاق إلى لقاءه، ويفكر فيما يرضيه فيفعله، ويفكر فيما يسخطه فلا يقربه.

❁ **ولأهمية الذكر :** فقد شرع الله لأجله العبادات العظيمة، فالصلاة شرعت للذكر، والحج كذلك.

❁ ومما يدفعه لمداومة الذكر يقينه **بثواب ربه للذاكرين** بالدرجات العالية من جنات النعيم، وبأن ربه سيذكره في الملأ الأعلى بين الملائكة والنبيين، وهذا أشرف شيء يمكن تخيله.

• فإذا استشعرت أن الله سيذكرك باسمك هناك ويرحمك ويثني عليك ويُعلي شأنك ويأمر الملائكة أن تثني عليك إذا ذكرت ربك ذكرًا كثيرًا، إذا استشعرت هذا دفعك لمزيد من حبه وذكره تعالى، فلا تفتر عن ذكره ولا ينشغل قلبك بغيره.

﴿ ٤ ﴾ إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى :

❁ وشرع الله يتضمن فعل الطاعات كما في السبب الثاني، وكذلك يتضمن ترك المنهيات التي غالبًا ما تهواها النفس، خصوصًا عند اللحظات التي يشتد فيها الهوى جدًّا ويغلب ويكون قاهرًا للإنسان، تلك اللحظات التي يُهزم فيها كثيرٌ من الناس

لهـواهم، فينقـادون له، وقليـل منهم من يصبر ويقهر هـواه، ومن قهر هـواه وجد لذة حب الله مباشرة في قلبه.

مثال من قهر هواه في شهوة النساء :

❁ فيوسف نبيُ الله عليه السلام كان شابًا قويًا في تمام شبابه وقوته وجماله، وكانت عنده شهوة مثل فحول الرجال، وكانت عنده أسباب المعصية، فهو :

١- غريب بعيد عن الأهل، وعن من يستحي منهم.

٢- وقد طالت عزوبيته وزاد احتياجه للزواج.

٣- وهو عبد لا يجد ما يتزوج به النساء، ولا يتوقع تغير حاله من قريب.

٤- والمرأة هي التي تطلبه.

٥- وهي التي تملك القصر.

٦- وهو من خدمها.

٧- وهي شديدة الجمال والشباب.

٨- وقد هيأت نفسها بأنواع الزينة.

٩- وهيأت المكان.

١٠- وأغلقت الأبواب.

١١- وصرفت الحُجَّاب.

١٢- وأبعدت كل من يمكنه أن ينقل الخبر.

١٣- وقد كانت متسلطة على زوجها فكان هو الذي يخشاها، فأَمِنُوا جميعًا من عقابه لذِلَة طباعه.

١٤- ثم هي تخلع ستر الحياء وتجذب أجمل الأنبياء، بل تهتك منه الثياب،

فقدغلبها الهوى وأذهب عقلها، وأغرق في سُكْر المعصية فؤادها ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر : ٧٢].

فما فعل نبي الله يوسف أمام هذا كله ؟

❁ ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف : ٢٣].... هيهات... هيهات.

- فمقام النبوة أعلى من أن يُنجس صاحبه.
- ومقام الولاية أنقى من أن تدنس جوانبه.
- وإنه الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، كيف يُذَِّلُّ بالعارِ أبائه.
- وكيف يضيع إخلاصه وبالفحشاء يبعثره.
- ولكن ربه لم يتركه، وبالبرهان أيدَّه، وعن السوء صرفه وأنقذه.
- فهرب مسابقًا، وإلى الرحمن راغبًا، وبه عائذًا.

فيا من أسرفت على نفسك في الشهوات كم عندك من هذه الأسباب؟

فإن زين لك الشيطان منها سببًا أو سببين فأوقعك بهما في خطايا كالجبلين.

فانظر إلى أصحاب الهمة العالية أخسئوا شيطانهم ووسواسه، وردوه خائبًا في حسراته.

فلا تظن أن أسباب المعاصي عندك وحدك، وأن هذا يعذرك عند ربك، بل عندهم من أسباب المعاصي أضعاف ما عندك، ولكن عندهم أيضًا من حب الله ما ليس عندك.

- فغلب حبهم لربهم كل شهواتهم وهوى نفوسهم ووسواس شيطانهم.
- فإنما وقعت لضعفك وخبث نفسك، وإنما نجوا بمعونة الله وفضله.
- فالجأ إلى ربك، واسأله من فضله، لعله يعطيك كما أعطاهم، وينجيك كما أنجاهم، ويجعلك من السبعة الذين يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فمنهم «**وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ**»[١].

---

(١) رواه البخاري (١٤٢٣، ٦٨٠٦)، ومسلم (١٠٣١).

مثال من قهر هواه في شهوة المال :

❁ كمن يكون في ضائقة شديدة ويُعرض عليه مالٌ حرام من ربا أو رشوة، ولا يَطَّلع عليها أحد، فيترك ذلك ابتغاء وجه الله رغم اضطراره الشديد، فيجد أثر ذلك مباشرةً، حب الله في قلبه، فإن لذة حبه والفرح بها تفوق لذة الفرح بالحصول على كل حُطام الدنيا وشهواتها الفانية.

❁ ولكن أكثر الناس ينهارون عند بداية وجود الهوى لا عند غلبته، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا يفكرون في عاقبة ذلك، ولا يفكرون في الثواب أو العقاب أو الجنة أو النار، المهم هو الحصول على الشهوة أيًّا كانت النهاية ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ** ﴾ [الأنعام : ١١٦].

❁ فالنفس الإنسانية في داخلها طفل صغير جاهل ظالم لا يريد إلا اللهو واللعب، والنفس من طبيعتها أنها لا تسعى لنيل معالي الأمور، وإنما يجب أن تُكره إكراهًا على ما ينفعها.

فمن أكره نفسه على الطاعة في أول أمره أحبها في نهاية أمره، لِما يجد فيها من راحة قلبه.

ومن منع نفسه شهواتها ولذتها العاجلة نال اللذة الدائمة في جنة عالية قطوفها دانية.

﴿ ٥ ﴾ مشاهدة القلب لأسمائه وصفاته :

❁ فتدبر اسم **ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَٱلْعَلِيمُ وَٱلسَّمِيعُ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلْغَنِيُّ**، ترى **كمال ربك وجماله وعظمته** فتحبه لذلك، فهو **ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٱلْعَفُوَ ٱلْمَنَّانُ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ** ، **وحكمته** البالغة التي تظهر في كل شيء **تستوجب حمده ومحبته.**

❁ التفكر في عظيم ملكوت الله وعظيم مخلوقاته التي تدل على **عظيم قدر خالقها،** فيزداد تعظيمه في القلب فيزداد حبه، والناس يتفاوتون في درجات حب الله لتفاوتهم في درجات معرفة الله وعظمته.

﴿ ٦ ﴾ مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة :

❁ **أساس المحبة شيئان**: مطالعة عظمة الله، ومشاهدة نعم الله على العبد، **فإن الحب ينبت على حافات النعم .**

❁ فالإنسان مجبول على أن يحب من أحسن إليه، والنعم كلها من الله، قال تعالى: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ [النحل: ٥٣].

❁ ونعم الله على الإنسان أكثر من أن تحصى، قال تعالى: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾ [النحل: ١٨].

❁ وأعظم النعم؛ الهداية إلى الإسلام وإتباع الرسول ﷺ ، فإن شاهدت أن الله أخذ بقلبك إليه وحَرَمَ غيرك، ويسر لك سبيل الطاعات ومنع غيرك، وجعلك تعبده وحده وتتبع رسوله وأَضَلَ غيرك، **أسرك ذلك إلى حبه** والافتقار إلى مزيد من فضله.

❁ ثم تشاهد نعمه عليك بالصحة والعافية في بدنك ومالك وسمعك وبصرك ويدك ورجلك، وتتعظ بغيرك من المرضى والمقعدين وتذكر ساعات مرضك واشتداد ألمك، فتحمد الله بما منَّ به عليك من **الشفاء والعافية**.

❁ وتنبه **فلا يمنعك اعتياد النعم أن لا تشعر بوجودها**، فأنت تمشي على رجليك وتسمع وتبصر، وغيرك من أهل البلاء والمرض محروم من ذلك.

❁ تأمل نعمة تنفُس الهواء النقي، وأنك ترى طلوع الشمس، وبزوغ القمر، وأسرى المسلمين محرومون من ذلك.

❁ **فتدفعك مشاهدة النِّعَم إلى حب المُنْعِم .**

❁ **وانكسار القلب بين يديه احتياجًا إليه .**

❁ **فنحن نتقلب في نعمه ولا قوام لنا إلا بفضله .**

٧ انكسار القلب بين يدي الله :

❁ هو الشعور بالفقر، والاحتياج التام، والضرورة التامة إلى الله العظيم، وهذا يزيدك حبًّا لله.

❁ فتشاهد أنك لا تملك لنفسك ضرًّا، ولا نفعًا، ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نشورًا، وأنت تحتاج إلى الله في كل نفسٍ من أنفاسك، فلو شاء الله لأمسكه عليك، وأنت تحتاج إلى الله في كل طرفة عين، وفي كل نبضة قلب، **فلولاه لما كان فيك حياة .**

❁ ثم تشاهد ضعفك في المرض والابتلاء **وأنت لا تعافى من البلاء والمرض إلا بالله** ، فإنما يبتلى عباده ليتضرعوا إليه، فهو يحب سماع تضرع عباده المؤمنين.

❁ ثم تشاهد معاصيك وتقصيرك في العمل الصالح **ولولا معونة الله لم تعبده** ، ولولا أنه يسر لك طاعته لم تطعه، **فأنت مضطر إليه لكي يعينك على عبادته .**

❁ فأنت تشاهد ضعفك في الصحة وفي المرض، وضعفك عند المعصية، وضعفك في أداء الطاعات.

❁ ورغم ذلك تشاهد **استمرار إحسانه إليك**، وأن بره لم ينقطع بمعاصيك وخذلانك، فيدفعك ذلك لحبه والذل بين يديه وانكسار القلب إليه.

٨ الخلوة بالله وقت نزوله في الثلث الأخير من الليل والتلذذ بدعائه وتلاوة كتابه وختام الليل بالاستغفار والتوبة :

❁ فإن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «**رَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا** -بعيدًا عن الأهل والأصحاب- **فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[1].

❁ والخلوة أعون للعبد على **الإخلاص** وأبعد له عن الناس وعن الرياء.

---

(١) رواه البخاري (١٤٢٣، ٦٨٠٦)، ومسلم (١٠٣١).

❁ والخلوة أعون للعبد على **جمع القلب** حيث يبتعد عن الأعمال والأموال وما يشتت قلبه.

❁ وليستعمل الذل والخوف في مناجاته لربه ويقتفي أثر نبيه ﷺ في ذلك، فلا يناجي ربه إلا بالقرآن، وبما صح عن خير الأنام، فلا يرفع حاجز الأدب مع ربه، ولا يخرج عن درجة العبودية لمولاه.

❁ **والثلث الأخير من الليل من كنوز الأوقات** حيث يجيب الله الدعوات، ويكشف الكربات، ويشفي المرضى، ويغني الفقراء، ويقيل العثرات، ويغفر الزَّلاتِ، ويقبل التوبات، ويعطي السائلين، فهل بعد ذلك تُضَّيعْ هذا الكنز الثمين في النوم والغفلة أو في السهر والمعصية؟

﴿ ٩ ﴾ مجالسة المؤمنين الصادقين والتقاط أطيب كلامهم :

❁ فإنك إن جالست أهل الأموال لم يتكلموا إلا عنها، وإن جالست أهل السياسة لم يدندنوا إلا حولها، فإن جالست من يحبون الله كان كلامهم عن محبوبهم، وكيف يصلون إلى رضاه.

❁ وإنك لتجد من كلامهم كلمات مؤثرة تنقلك من حضيض الدنيا فترتفع بك حتى كأنك تَطَّوَفَ بعرش الرحمن، وتنقلك من حيوانية الشهوة إلى طهارة الملائكة، بل إلى منازل أعلى من ذلك فوق الملائكة تستوجب بها أن يجعلهم الله خدمك في الجنة، لا أن تخدمهم أنت، رغم عصمتهم عن المعاصي وتدنسك أحيانًا بها.

❁ من ذلك قول الحسن البصري: «ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، وإن قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحسن الظن بالله، وكذبوا؛ لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل» فهذا الكلام ترى عليه نور النبوة، وإنما جرت ألسنتهم بذلك لقربهم وتأثرهم بالنبع الصافي: «الكتاب والسُّنَّة» فسطع نورهما على كلام من اتبعهما.

قال ﷺ : «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله لا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لا يَرَى أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»(١).

وقال ﷺ : «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِى بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»(٢).

❁ فإذا صحبت الصالحين فليكن همك أن تسمع أكثر لتستفيد أكثر، لا أن تتكلم أكثر لتضيع الوقت، فلا تتكلم إلا إذا أيقنت أن الكلام ينفعك أو ينفع غيرك، لا لكي يقال أن فلان تكلم في المجلس الفلاني.

﴿١٠﴾ مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله :

❁ بالبعد عن البدع والمعاصي والمكروهات، حتى المباحات فيبتعد عن التعلق بالمال والتعلق بالزوجات والتعلق بالأكل والشرب والنوم.

❁ فكل هذه المباحات إن زاد أخذك منها عن قدر ضرورتك واحتياجك كانت من الأسباب المبعدة عن الله، وحالت بين القلب وبين خالقه ﷻ.

﴿١١﴾ التفكر في رؤية أهل الجَنَّة لربهم وزيارتهم له واجتماعهم به يوم المزيد:

❁ والشوق إلى كل ذلك يزيد الحب، ويدفع لنيل ذلك القرب، بطاعة المحبوب والبذل له، والتضحية من أجل الوصول إلى القبول، أن يقبلك الله في هذا المجلس فتسعد سعادة لا تشقى بعدها أبدًا.

(١) رواه البخاري (٦٤٧٨).
(٢) رواه مسلم (٢٩٨٨).

فوائد حب اللّه

١- حب الله هو الذي يجعل العبد **لا يشعر بجهد العبادة**، فالتعب لنيل رضا من تحب ألذ من كل الملذات والشهوات، ومن أحب الله بصدق لا يعرف معنى التكاسل عن طاعته.

❁ فمحبة الله هي التي تهون مشاق الطاعة.

❁ ومن لم يحب الله فإنه سيترك طريق الطاعة عند أول عقبة.

٢- حب الله يجعلك **تضحي في سبيله** .

ومحبة الله تجعلك تستهين بكل شيء تبذله في سبيل الله، وتجد سماحة نفسك ببذل المال والروح تبتغي الله ومحبته.

٣- حب الله يجعلك **تسبق الناس إلى اللّه** قال تعالى : ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ**﴾ [طه : ٨٤] ، وقال تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا**﴾ [الحديد: ١٠]

فبما سبق المهاجرون والأنصار الناس ؟ سبقوهم بالسبق إلى الإسلام.

وبما سبق المهاجرون الأنصار ؟ سبقوهم بالإسلام في وقت الاستضعاف حين لم يكن على الأرض مسلمٌ إلا هم.

❁ فمن أحب الله اجتهد في طاعته **وان عمَّ الفساد الأرض** .

❁ ومن أحب الله اجتهد في طاعته **وان فتر الناس عن عبادته** .

❁ ومن أحب الله استيقظ قبل الناس وسار إلى الله قبلهم **وعمل بطاعته في وقتٍ لا يعمل فيه أحدً بل لم يلتفت إلى أحدٍ ولم ينتظر رفقةً قاعد في مسيرهِ إلى اللّه .**

❁ قال ﷺ: «وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ»[(١)].

وقال ﷺ: «وَعَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ»[(٢)].

٤- من أحب الله سار عكس الاتجاه، **فالناس يسيرون نحو الشهوات وهو يسير نحو الدرجات** قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الأنعام: ١١٦]

٥- محبة الله **تمنع العبد أن يعصيه**؛ فمن أحب ربه لم يخالفه، ولم تنازعه نفسه لفعل محارمه، ولم يدعوه هواه لنيل ما عنه نهاه.

٦ -**محبة الله سبب لدخول جنة الدنيا** فيدعوه صدق الحب لربه أن يتقرب إليه بالنوافل بعد الفرائض، حتى يصل إلى إحسان العبادة، فيشعر بأعظم نعيم في الدنيا والآخرة؛ ألا وهو **نعيم القرب من الله، فإن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة**؛ ألا وهي جنة الشعور بقرب الله الحاصل بدوام ذكره واستمرار مراقبته.

فمساكين أهل الدنيا والشهوات، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أحلى ما فيها؛ حلاوة الأنس بالله الحاصلة بطاعته، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه.

٧- محبة الله ينتج عنها **الشوق إلى لقاءه**، قال ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ»[(٣)].

❁ **فأعظم نعيم الدنيا لذة الشوق** إلى الله الناتجة عن حبه وعبادته.

❁ **وأعظم نعيم الآخرة لذة النظر** إلى وجهه الكريم في الجنة.

❁ فمن أحب أحدًا اشتاق لرؤيته، فإذا ازداد شوق محبته أطاعه بالغيب، وكلما ازداد له طاعة ازداد له حبًا، وكلما ازداد له حبًا ازداد لرؤيته شوقًا، وكلما ازداد شوقًا ازداد طاعة.

---

(١) رواه البخاري (٣٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٤٦٧٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٢٥٦)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٧٨٦١)، والنسائي (١٣٠٥، ١٣٠٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٠١).

٨ - حب الله هو الذي **يجعلك تحب قضاءه وترضى به** ، فهو الذي يخفف كل بلاء الدنيا وهمومها.

٩ - وحب الله هو **شفاء القلب**، وبدون حب الله يمرض القلب بأمراض الشهوات، بل ويمرض البدن بأنواع المعاصي والكبائر.

❀ وحب الله هو **سعادة القلب**؛ لأن سعادة الأبدان بالشهوات لا تدوم إلا لحظات، أما سعادة القلب بحب الرب فتدوم ما دامت حياة القلب، بل **حب الله يتصل بعد الحياة** فيكون هو السبب في دخول جنة الله التي هي أقرب شيء إلى الله؛ لأن الفردوس الأعلى منزل الأنبياء والمقربين هو أقرب الجنة إلى رب العالمين لأن سقفه عرش أرحم الراحمين.

❀ وما فُضِّلَ الفردوس على سائر الجنة إلا لأنه أقرب الجنة إلى الله.

• وما فُضِّلَ ساكنيه على سائر أهل الجنة إلا بقربهم من الله.

• سأل رجلٌ رسول الله ﷺ متى الساعة ؟ قال ﷺ : «**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**» قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام؛ غير ني أحب الله ورسوله، قال ﷺ : «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»[١].

١٠ - حب الله **يضاعف أجر** الأعمال، فمن أدى العمل بكمال الحب مع تمام الذل؛ تضاعف أجره إلى مالا يعلمه إلا الله تعالى.

١١ - حب الله هو أقصر طريق إلى الجنة؛ بل هو الطريق الوحيد الموصل إليها.

١٢ - حب الله هو شرف الدنيا والآخرة.

(١) رواه البخاري (٣٦٨٨، ٦١٧١، ٧١٥٣)، ومسلم (٢٦٣٩).

لا تكتفي بالحال دون المقام

❁ **فلا يكفي بأن يكون حالك محبة الله**، فإن الحال يتحول أحيانًا، ولكن **ليكن مقامك حب الله**، فإن أقامك على حبه، أذاقك برد عفوه، وأنعم عليك برؤية وجهه، ورضيَّ قلبك بقضائه، ويسر لك طاعته، وصرف عنك معصيته، وسخيَّ نفسك بالبذل له، وضاعف أجرك في العمل من أجله، ورزقك الشوق إلى لقائه.

❁ فإن أقامك على حبه؛ أثابك على ما ألهمك من طاعته، فيعطيك حسنات على كل لحظة تحبه فيها، فكم في الساعة من لحظاتٍ، وكم في اليوم من ساعاتٍ.

فإن أدامك على حبه في صلاتك وصيامك وزكاتك وحجك وأكلك ومشيك وعملك وتجارتك، أدام لك عطاءً من الثواب لا ينقطع.

فعلى قدر لحظات حبك له على قدر عطاء حسناته لك، فإن لم ينقطع حبه من قبلك لم ينقطع فضل عطائه لك، فلله الحمد على ذلك، ولله الحمد على كل حال.

- اللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.

علامات صدق حب العبد للّه

١ ـ أن يحب العبد ما يحبه اللّه ويكره ما يكرهه اللّه .

❁ **ويؤثر مرضاته وإن سخط الناس**، ويؤثر مرضاته علي هوى نفسه وإن سخطت عليه نفسه.

❁ ويجتهد في مرضاة ربه، ويبتعد عما حرمه ربه، ويكرهه أشد الكراهة، ويجتهد في إتباع الرسول، وفعل أوامره، والابتعاد عن نهيه.

❁ لكن؛ اعلم أن المعصية لا تنافي أصل المحبة، وإنما تنافي كمالها.

❁ وقد كان في الصحابة والتابعين من أحب الله جدًّا، فدفعه ذلك الحب إلى الاجتهاد في الطاعات، حتى لو قيل له القيامة غدًا ما استطاع أن يزيد في عمله شيئًا.

٢ ـ الإتباع :

فحب رسول الله ﷺ وإتباعه هي البَيِّنة على صدق دعوى المحبة ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ٣١].

❁ فإذا غُرست شجرة المحبة في قلب المؤمن وسقاها بماء الإخلاص ومتابعة الرسول ﷺ ؛ أثمرت أنواع الطاعات، وآتت أكلها كل حينٍ بإذن ربها، بالإقبال على الله والمسارعة إليه في كل أمر، فإن أصل شجرة الحب ثابت في قلب المؤمن وفرعها متصل بسدرةِ المنتهى، حيث يصعد إليها العمل الصالح وينتهي إليها، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [إبراهيم : ٢٤- ٢٥]

٣ ـ محبة الصحابة :

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، فإن الله مدحهم وذكر صفتهم قبل أن يخلقهم وقبل أن يخرجوا من أرحام أمهاتهم؛ بأنهم **أَشِدَّآءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُم**.

٤ . أن يكون **شفيقًا بالمؤمنين** رحيمًا بهم، يحب الخير لهم، ويهتم بمصلحتهم؛ لأنهم أولياء الله وأحبابه.

❀ ويكون **شديدًا على الكافرين**، لأنهم أعداء الله، لا تأخذه في الغضب عليهم لومة لائم، لا يداهنهم، ولا يركن إليهم، يتبرأ منهم، ومن موالاتهم.

❀ **فإن الولاء، والبراء، والحب في الله، والبغض في الله، من أعظم علامات محبة الله**، فتجد المنافقين يحبون الكفار وينصحونهم ويوالونهم ضد أهل الإيمان، وتجدهم أذلاء على الكفار وعلى أعداء الإسلام، بينما هم أشداء على الصالحين المؤمنين، همهم القدح فيهم والتنقص منهم.

٥ . ويحب إخوانه في الله، **ويحب لإخوانه ما يحبه لنفسه**، فيواسي إخوانه بماله، ويلين القول لهم خصوصًا الجيران منهم، ويناصرهم، ويحزن لما يحزنهم.

٦ ـ كثرة ذكر الله فإن من أحب شيئًا أكثر من ذكره ولابد، ومن تعلق قلبه بشيءٍ لا يبتعد ذلك الشيء عن خاطره أبدًا، فتجده يدمن ذكر الله وتلاوة كلامه القرآن، ويثنى على ربه في كل مجلس، ويذكر آلاءه وعظمته.

❀ التلذذ بالخلوة بالحبيب وقت تنزل الله إلى الدنيا في الثلث الأخير من الليل، والتنعم بمناجاته في قيام الليل.

٧ ـ الفرح بالطاعة :

الاستبشار والفرح بالحسنات، فرحمة الله أحق أن يفرحوا بها، وهي خيرٌ من كنوز الدنيا.

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

❁ وللصائم فرحتان فالتي عند فطره هي فرحته بتوفيق الله له أن أعانه حتى أتم صومه إلى غروب الشمس، فليست فرحته بالطعام وإنما فرحته بإتمام العمل الصالح.

❁ والفرحة الكبرى عند لقاء ربه فيجازيه بثواب صومه.

❁ فالفرحة بفضل الله وتوفيقه لعبده لإتمام الصالحات هي الفرحة الحقيقية؛ لأنه يترتب عليها ثواب ونعيم الجنة، ونعيم الجنة لا يفنى ولا ينقطع، وإنما الفرحة بتحصيل الشهوات من المال والنساء والمناصب في الدنيا وإن كانت من الحلال؛ فإنها فرحة تفنى وتزول بزوال سببها، وسببها لابد أن يزول ويضمحل؛ لأنه مخلوق، والنعيم الباقي في الجنة خيرٌ من الفاني في الدنيا.

٨ ـ والحزن عند السيئة وضيق الصدر بها ويرى أنها كالجبل تكاد أن تقع عليه.

٩ ـ الشوق إلى لقاء الله، وهذا لا ينافى كراهية الموت؛ لأن لقاء الله لا يكون إلا بعد الموت، وقد كان من الصالحين من يكره الموت؛ لأنه لم يستكمل الاستعداد للقاء الله بالأعمال الصالحة.

❁وعلامة أن كراهية الموت بسبب طلب الاستعداد له هو الاجتهاد في الصالحات واستغراقها لكل وقته بلا كسل أو ملل **فكراهية الموت هنا لا تنافي كمال محبة الله تعالى.**

١٠ - التضحية :

وهي سماحة النفس بالطاعة المالية، وسماحة النفس ببذل الروح في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤].

❁فهو يضحي بماله يبتغي ملكًا لا يزول.

❁ وهو يضحي بوقته يبتغي عمرًا يطول.

❁ وهو يضحي بلذة مخالطته بأولاده وأهله يبتغي مخالطة الرسول.

❁ وهو يضحي بتمتعه بزوجته يبتغي التنعم بالحور.

❁ وهو يضحي براحته ومسكنه يبتغي سكنى القصور.

❁ وهو يضحي بتعاهده لتجارته وما يظنه أمان ذريته يبتغي الأمن يوم النشور.

❁ وهو يضحي بجاهه حين ينهى عن المنكر يبتغي النظر لربٍ غفور.

❁ بل هو يضحي بنفسه وروحه يبتغي أن يسرح في الجنة في حواصل الطيور.

❁ فلكي يهبك الله حبك له، وينعم عليك بلذة حبه في قلبك؛ لابد أن تكون صادقًا في استعدادك لبذل نفسك في سبيله.

❁ وكلما تضحي من أجله أكثر فتبذل من راحتك ومالك ولا تأبه بمشقة الطاعة، كلما وجدت لذة حبه في الدنيا، وفزت بحقيقة قربه في الجنة، والتنعم بالنظر إلى وجهه، وسماع كلامه يوم المزيد.

❁ ومن لا يريد أن يضحي في سبيل دينه ويقدم لإسلامه فلن يجد لذة حبه لربه.

❁ فالذي أقعد كعب بن مالك رضي الله عنه عن مرافقة الرسول ﷺ في غزوة تبوك هو أنه لم يستطع أن يضحي بالظلال والثمار ولم يستطع البعد عن الزوجة الحسنة ولا الثمار النضيجة، حتى تاب الله عليه وأنزل بذلك قرآنًا.

❁ فإن الناس يبخلون لأجل تعلقهم بالأهل والزوجات والأبناء والأموال والمساكن والتجارات، وكل هذا من زهرة الدنيا التي تدفع صاحبها للبخل وعدم التضحية في سبيل الله وإعلاء كلمته.

❁ بل يداهنون أهل الباطل ولا يخالفونهم حتى لا يُحرمُوا من تلك الأشياء.

❁ وهذه الرغبات في نهايتها إما رغباتٍ أرضية أو رغبات شيطانية.

- فالرغبات الأرضية الحيوانية مثل شهوة البطن والفرج وإن كانت من الحلال.
- والرغبات الشيطانية مثل شهوة الرياسة والاستكبار في الأرض والفساد بين العباد.

❁ فلكي تصل إلى محبة الله لابد أن تدفع ثمنًا غاليًا من نفسك ومالك وراحتك.

❁ فالصحابة ومن قبلهم الأنبياء بذلوا كل شيء في سبيل الله لكي ينالوا قربه.

١١ ـ أن **يزهد في الدنيا** الفانية ويرغب في الآخرة الباقية.

١٢ ـ أن **يزداد خشيةً للّه كلما ازداد حبًا له** ، وخوف الله لا ينافي حبه، وإنما يتممه، فهو يخاف من عاقبة ذنوبه، ويخاف ألا تُقبل حسناته، ويخاف من عظمة ربه تعالى، ويخاف من السؤال يوم وقوفه بين يديه.

١٣ ـ أن **لا يأمن من مكر اللّه** به فيظل على وَجَل حتى يدخل برجليه إلى الجنة.

١٤ ـ أن **يرضى بقضائه على كل حال** وأن يشعر بنعمته في بلائه ويحمده عليه.

الغاية أن يحبك الله

❁ وكثيرٌ من الخلق يدَّعي حب الله تعالى، وهذا لا يكفي لدخول الجنة، بل المهم أن يُحبك الله. **ومن أحبه الله لا يعذبه أبدًا ويغفر له كل ذنوبه**

الدليل على أن الحبيب لا يعذب حبيبه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ [المائدة : ١٨].

فلو كانوا أحباؤه حقيقة لم يعذبهم أبدًا، فلما عذبهم دلَّ ذلك على أنه لا يحبهم[١].

رضا الله أعظم من الجنة :

ألم يجعل الله رضوانه أعظم من كل نعيم الجنة؟! ألم يخبرنا النبي ﷺ أنه بعد ما انقطعت أمنيات المؤمنين في الجنة وأعطاهم ربهم كل ما تمنوا، أخبرهم أنه سيعطيهم شيئًا هو خير من كل ذلك ألا وهو رضوانه جل وعلا!! فلا يسخط عليهم بعد ذلك أبدًا، وأن هذا الحب والرضوان من الله هو أعظم عطاياه في الدنيا والآخرة.

ما يوصل إلى محبة الله للعبد :

❁ لا يصل العبد إلى **أعظم أمنية** في الدنيا وأعظم عطية في الآخرة ألا **وهي حب الله له** إلا بشيئين: **الولاية والإتباع**

أولاً: الولايــة :

❁ فالولايــة : **أولها الإيمان... وغايتها التقوى... وسبيلها الطاعات...**

❁ ولا تصل إلى ذلك إلا بمتابعة الفرائض بالنوافل، فالفرائض أحب شيء لله،

---

(١) قاله ابن القيم في «روضة المحبين».

تليها النوافل، ولا يقبل الله النافلة حتى تُؤدَى الفريضة، ولا يزال العبد يتابع الفرائض بالنوافل حتى يصل إلى إحسان العبادة.

❁ فإذا أحبه الله تولَّاه، وأسقط من قلبه كل الأنداد، **وأسقط عن جوارحه كل الشهوات،** فيصبح العبد لا يسمع ولا يبصر ولا يمشى إلا إلى فيما يُرضى الله، فتتم له الولاية لله تعالى.

❁ والله يحب أولياءه ويُؤذِن بالحرب من يعاديهم، فهنيئًا لك حب الله يا ولى الله.

ثانيًا: الإتباع :

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران : ٣١].

❁ من ادعى حب الله ولم يتبع رسوله فهو كاذب في ادعائه حب الله.

❁ فشرط صحة محبة الله هي إتباع رسول الله ﷺ وهذا جواب الشرط الأول.

❁ وجزاء صدق اتباع رسول الله ﷺ هو محبة الله للعبد، وهذا جواب الشرط الثاني.

❁ فحب الله وإتباع رسوله هو **تحقيق الشهادتين ، فحب اللّه** تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، **واتباع رسوله** تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله.

❁ ولا يصح حب الله وعبادته إلا بالطريقة التي أمر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، وكل طريقة سواها فهي بدعة باطلة مردودةٌ على من أخترعها.

حب رسول اللّه من اتباعه :

❁ يجب على المؤمنين أن يحبوا رسول الله في الله ولأجل الله.

❁ **ومن كره رسول اللّه خرج من الملة** -عياذًا بالله- واستوجب الخلود في النار.

❁ يجب على المؤمن أن يحب رسول الله أكثر من حبه لنفسه، ومن كل متاع الدنيا، والأهل، والمال، والذرية، وكل المخلوقين.

❁ وحب رسول الله ﷺ شرط في صحة حب الله، **فلا يصح حب اللّه بدون حب رسوله؛** لأننا لا نعرف كيف نحب الله إلا بما أخبرنا به رسول الله ﷺ .

ما الفرق بين حب الله ﷻ وحب الرسول ﷺ ؟

أن حب الله ﷻ هو حب العبادة، وهو حب مع تذلل، ولا يكون هذا النوع من الحب إلا للخالق المعبود.

أما حب رسولنا ﷺ فهو حب في الله؛ لأن الله تعالى هو الذي أمرنا بذلك، ولأننا ما عرفنا طريق الجنة إلا منه ﷺ، ولا سبيل النجاة من النار إلا عن طريقه ﷺ، لأنه هو الذي بلغنا ذلك عن ربنا ﷻ ، وحبنا لرسول الله ﷺ بهذا المعنى من أنواع العبادة لله.

وحبنا لنبينا ﷺ ليس فيه تذلل كحبنا لربنا ﷻ، وحبنا له ﷺ مقترنٌ بتعظيمه وتوقيره وتعزيزه ﷺ.

❁ فحب الله هو وحده حب العبادة؛ لأنه حب مع ذل، أما حب رسول الله ﷺ فهو حب في الله، وليس حب عبادة؛ لأنه ليس معه ذل **بل الذل للذي أبغضه** ﷺ ، فحب رسول الله ﷺ من العبودية لله.

❁ فإن الله أعلى ذكره وقرن اسمه ﷺ باسمه ﷻ ، وجعل شرط الدخول في الدين الإقرار له بالرسالة وأن يقول: «**وأشهد أن محمدًا رسول الله**».

من يحبهم الله ؟

فالله يحب **ثمانية** أصناف وهم **عدد أبواب الجنة** .

ـ فالله يحب التوابين والمتطهرين :

١ ، ٢ – قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة : ٢٢٢]

ـ والله يحب المحسنين :

٣ – وقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٤]

ـ والله يحب الصابرين :

٤ – وقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٤٦]

ـ والله يحب المتوكلين:

٥ – وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

ـ والله يحب المتقين:

٦ – وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة : ٤]

ـ والله يحب المقسطين:

٧ – وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨]

ـ والله يحب المجاهدين:

٨ – وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ [الصف:٤]

أسرع يا أخي في الله وكن من هؤلاء، فالرابح من سبق، وقال تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين : ٢٦].

❁ فيا عبد الله! لا تلهك الدنيا وأماني الغرور عن تحقيق متابعة الرسول ﷺ، فيا لحسرة من سار السابقون وتركوه، وجدَّ المقربون وخلَّفوه، فيا من له عزيمة الأبرار وهمة الأخيار واصل الليل بالنهار في طريق العزيز الغفار، فإنه إن قَبل إحسانك زادك ويسر لك بعد الحسنة حسنات، أما علمت أن الله خلق الجنة درجات وما خلقها عبثًا وإنما جعلها كرامةً لعباده الأبرار. أما تاقت نفسك لسكنى أعلى الدرجات والقرب من رب الأرض والسموات!

❁ فإذا اشتهت نفسك تلك الدرجات؛ فاعلم أن لها **سلمًا من الطاعات**، فأدلِّج؛ فإن من أدلَّج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة.

علامة حب الله للعبد :

❁ إن الله يُجنبُ الدنيا عن من يحب من عباده إذا كان ينشغل بها عن ذكره.

❁ ثم يرزقه التفقه في الدين.

❁ وييسر له الطاعة كلما همَّ بها، ويعسِّر عليه المعصية فلا يُمَكِّنه منها، فيشغله عنها، ثم يرزقه التوبة من نية المعصية.

❁ ثم يرزقه حسن الخاتمة.

❁ وإذا رأيت الله يعطي عبده الدنيا رغم معاصيه؛ فاعلم أنه استدراج حتى يأخذه أخذ عزيزٍ مقتدر، فإذا أخذه لم يفلته.

صفـات من يحبهم الله

قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [آل عمران : ٥٤].

❁ قال الله: ﴿ يُحِبُّهُمْ ﴾ قبل أن يقول: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾؛ لأن هذا **أشرف صفة** يُصفون بها **وأعلى منزلة** يصلون إليها، وهي **حب الله لهم** فإن هذا هو هدفهم ولأجله كان سعيهم.

❁ وهم لم يصلوا إلى حبه لهم إلا بعد أن أحبوه وأطاعوه وعبدوه.

❁ وحب الله للعبد **هو عنوان السعادة وهدف العبادة** ودليل كمالها وأعلى منازلها وهو أولها وأخرها.

١ ـ يحبـون ربهـم :

❁ وهكذا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب فيمتلئ القلب بحب الله ورسوله، ولا يبقى فيه مكان لشيءٍ بعدُ، أيُ شيءٍ، حتى نفسه لا يجد في قلبه متسعًا لها بعد حب الله؛ إلا ما كان حبه تابعًا لحب الله ورسوله ﷺ .

❁ فحب الله يضيء في القلب، وحب الدنيا ظلماتٌ بعضها فوق بعض.

❁ فإذا صدق حب العبد لربه، امتلئ قلبه من نوره، فبدد نوره كل ظلماتُ قلبه، وأضاء كل حنايا صدره.

❁ حتى إذا استشعر العبد حلاوة الإيمان، طلب مزيدًا من القرب، فعلم أنه لا يبلغ ذلك إلا ببذل ماله ونفسه لربه جهادًا في سبيله، فهان عليه عرضٌ فانٍ وهان عليه جسدٌ بالٍ، واختار جوار مَلِكٍ باقٍ.

٢ ـ أذلـةٌ على المؤمنين :

❁ وأثمر حبهم لله أن صاروا يحبون من يحبهم الله من إخوانهم المؤمنين، فصار أحدهم يشفق على إخوانه ويعطف عليهم ويرحمهم ويرفق بهم؛ **فإن حبهم لإخوانهم من علامات حبهم لربهم.**

❁ فتجد أحدهم يعامل إخوانه كالولد لوالده وكالعبد لسيده.

❁ كأن أمواله اقترضها منهم؛ فإن سألوه إياها سارع بردها إليهم، لا يرى لنفسه مِنَّةً في أداء حقهم عليه.

❁ وكأن نفسه عاريةً أعارها له خالقها، فإن طلبها منه نُصرةً لدينه، ودليلًا على محبته، سارع بدفعها إلى خالقها، لا يرى لنفسه فضلًا، بل الفضل لله إن قبلها.

❁ بل يرى نفسه مقصرًا، ويندم ويشتد أسفه على طول ما امسك نفسه وضنَّ بها قبل أن يبذلها لخالقها.

❁ ثم إذا نظر إلى نفسه وجد بها عوامل العيب والنقص، وأنها أقل من أن تُبذل في الله العظيم، وهل تصلح نفسٌ كنفسه أن تُبذل في الله ؟

فيا لفرحة القلب إن قبلها على عيبها، ويا لفوز العبد إن قبلها على نقصها.

٣ ـ أعزة على الكافرين :

❁ وأثمر حبهم لربهم أن صاروا يبغضون من يبغضهم الله من الكافرين، فأصبحوا أعزةً عليهم وأصبحوا لا يعاملونهم إلا بالغلظة والقوة والشدة والبغضاء والكراهية.

❁ وكانوا عليهم كالأسد على فريسته، فإن حاربهم شَرَّد بهم مَن خلفهم وأرعب من لم يَلْقَهُم، وعلا عليهم بإيمانه، فما قام له شيءٌ إلا أنامه، وما عارضه باغٍ إلا أزال أركانه ودمر بنيانه.

❁ وكان تكبيرهم يوم الصبيحة أشد على عدوهم من أعتى السلاح.

❁ فما من سلاح إلا وعند الكافر أكبر منه؛ إلا الإيمانُ بالله ليس شيئًا أكبر منه، وهو ناصرُ من تولاه، ومُعزُّ من رجاه، ومجيب من دعاه.

❁ **قد تعرفوا إلى الله في الرخاء بالعبادة فتعرف الله إليهم في الشدة بالفرج.**

٤ - يجاهدون في سبيل الله:

❁ فإن طالبه محبوبه أن يضحي من أجله بكل ما يملك ويحب من زهرة هذه الدنيا، سارع إلى ذلك وبذل ماله لله، فإن طلب الله منه نفسه -التي هي أحب شيء لديه- جهادًا في سبيله، سارع ببذلها طواعيةً، فإن كان يحب نفسه لكنه ضحّى بها **لحب هو أعظم من حبها ؛ألا وهو حبه لخالقها** ، فما يحصل لديه من لذة حبه ونعيم قربه أعظم عنده من لذة الاستمتاع بحياته، وهذا الذي صدق في دعوى المحبة لله ولرسوله ﷺ .

❁ ثم دفعهم حبهم لله إلى **دعوة أهل الأرض جميعًا إلى حب الله والدخول في دينه** فجاهدوا في سبيل الله بالقرآن والسنان وبكل ما يستطيعون من أنواع الجهاد، ليزيلوا راية الكفر وبُغْضُ الله من على وجه الأرض.

لأنهم لن يستطيعوا أن يزيلوا الكفر من القلوب؛ لأنها بِيَد الله يقلبها كيف يشاء، والله لم يَشْرَع لهم أن يُكْرِهوا الناس على الدخول في دينه، ولكنه شرع لهم أن يحطموا راية الكفر من فوق أرضه، ويرفعوا مكانها راية التوحيد، والناسُ بعد ذلك بالخيار: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩].

❁ **فأعظم ما يصد الناس عن دين الله هو الجهل به** ولو عرفوه لاتبعوه، **وشياطين الجن والإنس لا تَمَلْ تكذب عليهم ليل نهار ليشوهوا دين الله** في كتاباتهم وإذاعاتهم ومرئياتهم، فوجب إزالة عُلوهم وتمكّنهم، ووجب إعلاء كلمة الله والتمكين لشرعه، وسوف يَتّبَعه الناس مختارين.

❁ **فأكمل الخلق من عَبَدَ اللّه في نفسه وسعى لكي يعبده خلقه .**

ـ وأكمل الخلق: الرسل، وأكملهم على الإطلاق محمد ﷺ الذي قال: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.**»[(١)].

❁ فمن تشبه برسول الله ﷺ نصر دينه بنفسه وماله ولسانه وبكل ممكن ومستطاع وبكل ما وصلت إلى يده وطاقته وعلمه وسمعه وبصره، لم يدخر من ذلك شيء، فكأنما هو وإخوانه **يقودون الناس إلى الجنة بالسلاسل** .

❁ فنجد أحدهم يسارع ببيع نفسه إلى الله، ويسلم نفسه له تعالى ليضعها حيث أراد، فيحقق بذلك أعلى درجات العبودية لله.

❁ ثم هو يعقد **بيعة الرضوان** : يبيع نفسه لله ويشتري بذلك الجنة، **فمرحبًا بعقدٍ كان اللّه فيه المشترى ، والثمن الجنة ، والدفع نقدًا** ؛ لأنه إذا مات دخل الجنة من فوره ولا ينتظر إلى يوم الحساب.

ومرحبًا بعقدٍ شهوده أمين السماء وأمين الأرض جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ **ومرحبًا بعقد وثّقه اللّه في أحكم كتبه القرآن العظيم وزاد من شرفه بأن تكلم سبحانه بنصه** ، فإن القرآن كلام الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١].

❁ فانظر إلى قيمة السلعة، فلو اشتراها الفقراء فهي سلعة رخيصة، ولو اشتراها الأغنياء فهي سلعة غالية، وأما السلعة التي لا يشتريها إلا الملوك فهي سلعة غالية جدًّا، فكيف بسلعة يشتريها رب العالمين؟

---

(١) رواه أحمد (٥٠٩٤، ٥٦٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٥٤)، وابن أبي شيبة (١٩٧٤٧)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٥/ ١٠٩ برقم:١٢٩٦).

❁ والثمن كذلك عظيمٌ جدًّا فهو الحور والقصور في جنات ونهر ومقعد صدق عند مليك مقتدر، يأخذ أدناهم وليس فيهم دني أكثر من عشرة أضعاف أعظم ملوك الدنيا، أما أصحاب السبق والكرامة فإن الله يعطيهم نعيم لم يخطر على قلوبهم ولم تستطع أن تتخيله عقولهم، فكل ما تمنوه ليس بشيء أمام ما سَيُعْطوه.

❁ فبعد أن عرفت قيمة نفسك وعِظَم شأنها، فهل ترضى أن تبيعها لغير الله **بيعة خاسرة**، ويكون ثمنها شيئًا من الدنيا الفانية؟

❁ هل ترضى أن تترك الصفقة الرابحة والجنة العالية وتنفق عمرك لنيل شهوة فانية؟

فإن كانت الدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة بأموالها ونسائها ومناصبها، وأنت لا يمكن أن تطمع في تحصيل الدنيا كلها، بل تريد جزءً منها، **فما هو هذا الجزء الذي تريد تحصيله من جناح البعوضة** وتدفع ثمنًا له: عمرك ووقتك الذي هو في الحقيقة حياتك.

❁ ومن نظر إلى السلعة –وهى نفسه– وجد أن مشتريها كان يملكها قبل أن يشتريها وهو الذي وهبها له، ولكن من جوده سبحانه أخبر المؤمنين أن من بذلها له طواعيةً ردها عليه ثانيةً وزاده على ذلك: **الجَنَّة**.

❁ فالمنة لله أولًا حين منحها .

❁ والمنة لله ثانيًا حين قبلها .

❁ والمنة لله ثالثًا حين ردها .

❁ والمنة لله رابعًا حين يدخلها الجنة .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر : ٢٧-٣٠]

فإن الله لما تقبل منهم أنفسهم وأموالهم ردها عليهم أوفر ما كانت فأعطاهم بدل حياتهم حياةً عالية، فإما عزة النصر والتمكين في الدنيا، وإما حياة الشهداء في الجنة

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وأعطاهم بدل أموالهم غنائم المنتصرين أو عظيم الملك في جنات النعيم ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

نسأل الله أن يلحقنا بهم، ونسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا الشهادة في سبيله، مقبلين غير مدبرين، في يوم نصر المسلمين، فنفرح بالنصر؛ لإخواننا ونفرح بالجنة لأنفسنا، ولا نتعجل من أجرنا شيئًا.

٥ ـ ولا يخافون لومة لائم :

❁ فلا يلتفت إلى من يلومه في حبه وبذله، ولا يقعده عن ذلك الشفقة على زوجةٍ أو ذريةٍ، ولا يثنيه ذلك من تمام البذل حتى يرث الجنة، جسده يجاهد في هذه الدنيا وروحه قد تعلقت بالرفيق الأعلى.

❁ فلا تأخذه في الله لومة لائم.

❁ ولا تمنعه رهبة الناس أن **يصدع بالحق**، فإنه لا يُقرِبُ مِن أجلٍ، ولا يمنعُ مِن رزقٍ.

❁ فإذا بَلَّغ عن الله فتجده **لا يخفى شيئًا من الحق**، وتلك علامة صحة المحبة ودليل إخلاصها.

❁ فتجده **قد هانت عليه نفسه في الله** فلم يُقم لها وزنًا، دائم الذكر لربه، والقيام بحقه وفرضه، قد استلذ بالطاعة وتحمل المشقة، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، دائم المراقبة لربه، كأن الجنة عن يمينه، والنار عن يساره، والصراط أمامه.

❁ لا همَّ له إلا رضا ربه ومولاه، فتجده لا يصنع إلا ما ينجيه، ولا يخالف إلا ما يرديه.

أنـواع المحبـة

١ – حب الله .

٢ – الحب في الله .

٣ – المحبة الطبيعية .

٤ – المحبة لأجل الدنيا .

٥ – المحبة الشركية .

أولاً : حب الله :

١ – محبة الله هي أصل الإيمان والتوحيد :

❁ وهي أن يحب الله حتى لا تبقى ذرة من ذرات الحب إلا وقد توجهت إلى الله، حتى لا تبقى في قلب المؤمن ذرة يحب بها سواه.

فإذا امتلأ القلب بحب الله لم يبق فيه متسع لسواه، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك، ومن أشرك معه غيره تركه وشركه.

❁ فحب الله والولاء له من أول أركان الدين.

❁ ومن لوازم كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» صرف الحب كل الحب لله وحده، ونفى ذلك عن كل ما عداه.

وكيف لا نحبه سبحانه وهو الذي امتن علينا بكل النعم، قال تعالى: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ** ﴾ [النحل : ٥٣]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام : ١٤].

ـ فخيره سبحانه إلى العباد نازل، وشرهم إليه صاعد، يتحبب إلى عباده بنعمه عليهم وهو غنيٌّ عنهم، ويتبغضون إليه بالمعاصي وهم الفقراء إليه.

فلا إحسان الرب يردع العبد عن المعصية، ولا معصية العبد تقطع إحسان الرب، فمن يكشف الكربات إلا هو؟ ومن يغيث اللهفات إلا هو؟ ومن يجيب الدعوات إلا هو؟

❁ أعطى العبد قبل أن يسأله فوق ما يؤمله، يشكر القليل من العمل ويغفر الكثير من الزلل، يحب الملحين في الدعاء ويغضب على من لا يسأله، **يستحي من العبد حيث لا يستحي العبد منه**، ويستره حيث لا يستر العبد نفسه، ويرحمه حيث لا يرحم العبد نفسه.

❁ يا عبد الله! أهل الدنيا يعاملوك لكي **يربحوا منك**، والله تعالى يعاملك لكي **تربح منه** ، فالدرهم بعشرة أمثاله إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بواحدة **وهي أسرع شيء محوًا** .

❁ فهو تعالى أحق من ذُكر، وأحق من شُكر، وأحق من عُبد، وأحق من حُمد، وأنصر من ابتغى، وأرأف من ملك، وأجود من سُئل، وأوسع من أعطى، وأرحم من استُرحم، وأكرم من قُصد، وأعز من التجئ إليه، وأكفى من توكل عليه، أرحم بعبده من الوالدة بولدها، وأشد فرحًا بتوبة عبده التائب من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا يئس من الحياة ثم وجدها، قال ﷺ : «**لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا**»(١) .

ثانيًا : الحب في الله والبغض في الله :

❁ من المعلوم أن أحب الأشياء إلى العبد هو نفسه وحياته، ولكن إذا آمن العبد وصدق إيمانه أصبح حب الله عنده أعظم من حبه لنفسه، فأحب ما يحبه الله تعالى وهو الإيمان وأهله، وكره ما يكره الله تعالى وهو الكفر وأهله كرهًا أشد من كرهه لإلقاء

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤)، وهذا لفظ الترمذي (٣٥٣٨).

نفسه في النار، فحب الله في نفس المؤمن أشد من حبه لنفسه وماله وولده، ولو خُيِّر بين حياته وبين الكفر لاختار أن يُقذف في النار ولا يكفر.

١- يجب على العبد محبة ما يحبه الله من الطاعة:

❁ ومحبة الله تستلزم محبة طاعته؛ فإنه تعالى يحب من عبده أن يطيعه، والمحب يحب ما يحبه محبوبه، فتوجب محبه الله تعالى الإتيان بما أوجب من الفرائض، وكلما زادت المحبة أتى العبد بالنوافل، وإذا كره العبد ما يكره الله كف عن المحارم، وكلما قويت الكراهة لما يكرهه الله كف عن المكروهات.

ـ فمتى امتلأ القلب بحب الله وتعظيمه محا ذلك من القلب حب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من هوى نفسه وشهواته؛ إلا ما يريده منه مولاه.

ـ وإذا حقق العبد التوحيد التام لم يبق في قلبه محبة لغير الله، ولا كراهة لغير ما يكرهه الله، فلا تنبعث جوارحه إلا بطاعة الله.

❁ فإنما **تنشأ الذنوب من محبة ما يكرهه الله أو كراهة ما يحب الله** وسبب ذلك هو تقديم النفس على محبة الله وخشيته.

٢ -ويجب على العبد محبة من يحبه الله من المخلوقين:

﴿ أ ﴾ حب رسول الله ﷺ:

فإذا أمر الله بحب رسول الله ﷺ وطاعته طاعةً مطلقة، أحببنا رسول الله ﷺ لأمر الله بذلك، فيكون الله ورسوله أحب إلى المؤمن مما سواهما؛ لأنه لم يبق فراغًا في قلبه لسواهما، بل لا يؤمن أحد حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.**»[(١)].

---

(١) رواه البخاري (١٤، ١٥)، ومسلم (٤٤).

قال ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»[(١)]، وقال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦].

❁ فحق النبي ﷺ أعظم من حق الآباء والأبناء والناس أجمعين، فهو الذي أنقذنا الله به من النار وهدانا من الضلال، **فكل طرق الجنة مغلقة إلا طريقه ﷺ، ألا يستحق من هدانا إلى الجنة أن نحبه وننصره، وننصر سنته ونذب عن شريعته ﷺ؟**

﴿ ب ﴾ حب الصحابة رضي الله عنهم :

وهكذا إذا أحب الله صحابة رسوله ﷺ ورضي عنهم أحببناهم لحب الله لهم، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

﴿ ج ﴾ حب الصالحين :

ويجب حب أهل الإيمان والطاعة لأجل طاعتهم؛ لأن الله يحبهم ويحب طاعتهم.

❁ ومما ذكر الله من عبادتهم، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾ [الكهف: ٢٨].

❁ ومما ذكر من ثوابهم، قال تعالى: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٥].

فالمؤمنون جميعهم من أول الخليقة إلى أخرها أخوة متحابون، وإن تباعدت أنسابهم وتناءت أوطانهم، وإن امتدت أزمانهم، يقتدي أخرهم بأولهم، ويدعو بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) رواه البخاري (٦٦٣٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، أي نقتدي بمن سبقنا ويقتدي بنا من بعدنا، وقال ﷺ: «**مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً**»(١).

﴿ د ﴾ حب الملائكة:

❁ فنحب الملائكة لحب الله لهم، لمداومتهم على الطاعة، ولحبهم واستغفارهم للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر:٧].

❁ فنحب الرسل والأنبياء والصديقين والشهداء وأئمة الدين والملائكة وكل الصالحين بحب الله لهم، وكلما قويت محبة الله في قلب العبد قويت محبته لأوليائه ونصرته لهم وبغضه لأعدائه وجهاده لهم، فمن أحب في الله وأبغض في الله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان.

قال ﷺ: «**إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ**»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «**فَإِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِسْلامِ الْوَلايَةُ فِيهِ، الْحُبُّ فِيهِ وَالْبُغْضُ**»(٣).

ومن عادى في الله ووالى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك**».

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٢٦).
(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨٠٣٥)، وابن أبي شيبة (٣٤٣٣٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٠٩).
(٣) رواه الطبراني في «الكبير»(١٠٣٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩٠٦٥).

❁ **فإن البغض في الله أمر ملازم للحب في الله** ؛ لأن المحب يحب ما يحبه محبوبه، ويبغض ما يبغضه محبوبه، ويوالي من يواليه محبوبه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه، ويغضب لغضبه، ويأمر بأمره، وينهى عن ما نهى عنه.

لذلك فإن من أحب الله المحبة الواجبة وجب عليه أن يبغض أعدائه، وأن يحب ما يحبه سبحانه من جهادهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

٣ - ويجب حب الأزمنة والأماكن الفاضلة :

كحب شهر رمضان، وليلة القدر، والعشر الأوائل من ذي الحجة، ويوم عرفة، وحب مكة والمدينة، والمسجد الحرام، والمسجد النبوي، وسائر المساجد كقوله ﷺ عن جبل أُحد: «**هَذَا جُبَيْلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»(١).

ثالثًا : المحبة الطبيعية :

❁ وهي المحبة الفطرية، كمحبة الوالدين والزوجة والأبناء والمال والطعام والشراب، وهذه المحبة يجب أن يروضها المسلم حتى توافق الشرع، وهذه المحبة يمكن أن **تتحول بالنية الصالحة من عادة إلى عبادة** .

١ - فإذا أمر الله تعالى ببر الوالدين فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، اجتهدنا في برهما لأمر الله بذلك.

٢ - وإذا قال ﷺ : «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»(٢)، اجتهد المؤمن في بذل أنواع المودة والرحمة وحُسن الخلق لزوجته وأهله، لأمر النبي ﷺ بذلك.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٩)، ومسلم (١٣٦٥).
(٢) رواه الترمذي (٣٨٨٥)، وابن ماجه (١٩٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣١٤).

٣- وإذا قال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[(١)]، اجتهد المؤمن في نصح أولاده ورعايتهم وتأديبهم وتعليمهم الفرائض وما يجنبهم سخط الرحمن، فأصبح حبه لهم عبادة ينال الأجر عليها من الله.

❁ وهذه المحبة الطبيعية إن أعانت على طاعة كانت طاعة مثلها، وإن ارتكب المحرمات لكي يحصلها أصبح منهيٌ عنها.

وليحذر أن تزداد المحبة الطبيعية عن حدها فتنقلب معصية، فإن الله قد أنكر على أقوام أنهم آثروا حب أهليهم وأزواجهم وأموالهم ومساكنهم أكثر من حب الله ورسوله والجهاد في سبيله، وأمر نبيه ﷺ أن يتوعدهم وسماهم بالفاسقين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

❁ أما إذا كان الآباء والأهل ممن يعاند شريعة الله فيجب عدم موالاتهم، وتجب البراءة منهم، وقطع المودة إليهم حتى يرجعوا، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وميزان الاعتدال في ذلك هو:

أ – صلة الأبوين الكافرين والإحسان إليهما، فقد جاءت أم أسماء تطلب صلتها وهي كافرة فاستأذنت رسول الله ﷺ في ذلك فقال: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٨)، ومسلم (١٨٢٩).
(٢) رواه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

ب – ولكن يجب **عدم طاعتهم في الكفر والمعاصي** مطلقًا، كما يجب **بغض الكفر الذي هم عليه**، قال تعالى: ﴿ **وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ** ﴾ [العنكبوت:٨]، وقال تعالى: ﴿ **وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ [لقمان: ١٥].

رابعًا : المحبة لأجل عرض الدنيا :

انقلبت الموازين :

❁ أما الآن فقد أصبحت موالاة الناس ومودتهم لأجل الدنيا، وأصبح حبهم وبغضهم لها، وأصبح عطاؤهم ومنعهم بسببها، ومن أجل المنافسة عليها وعلى شرفها، وأصبح غضبهم ورضاهم لأجل ظلٍ قليلٍ زائلٍ فانٍ، إن لم يرتحلوا هم عنه؛ أرتحل هو عنهم.

❁ فمن كان عنده زينة من لعاعة الدنيا؛ والوه، وإن كان عدوًا لله ولرسوله ولدين المسلمين، وإن لم يكن عنده شيء من متاع الدنيا؛ عادوه وضايقوه واحتقروه لأدنى سبب، وإن كان وليًّا لله ولرسوله ﷺ .

فإنا لله وإنا إليه راجعون، تركوا موالاة الأولياء، ثم داهنوا الأغنياء، ولم يكن ولاؤهم لأئمة الدين، وإنما جعلوا الولاء للدرهم والدينار.

ـ فإذا كان يوم القيامة انقطعت بينهم الصلات، وانقلبت مودتهم التي كانت لغير الله عداوات، وكفر بعضهم ببعض، ولعن بعضهم بعضًا، وتبرأ بعضهم من بعض، فخانتهم المودة أحوج ما كانوا إليها حين احتاجوا ولو حسنة تنجيهم من عذاب أليم، فما وجدوا قريبًا شفيقًا، ولا صديقًا حميمًا، فقد انزلق جميعهم في دركات الجحيم.

❁ فإن الله قضى –وقضاؤه محكم لا يرد– **بأن ينقطع يوم القيامة كل سبب وصلة ووسيلة كانت في الدنيا لغيره سبحانه.**

خامسًا : المحبة الشركية :

❁ قال تعالى : ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ١٦٥]

❁ هي أن تحب المخلوق كحب الخالق، سواء كان هذا المخلوق صالحًا أو طالحًا.

فحب أصحاب القبور كحب الله ـ وإن كانوا أولياء صالحين ـ من الشرك.

❁ فالشرك في المحبة هو أصل الشرك في العبادة.

❁ **ومنها**: محبة الكبراء والرؤساء والكهان يحبونهم كحب الله، ويتبعونهم على عكس مراد الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله، وهذا أصل الكفر.

❁ **ومنها**: موالاة الكافرين ومحبتهم، فتحرم موالاة الكافرين ومحبتهم لأنها من النفاق والظلم والضلال، وتحبط العمل، وتبرؤ ذمة الله من فاعلها، ويحشره الله مع من أحب من الكفار يوم القيامة.

٢ـ الخوف من اللّه

هو تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل، ناتج عن عدم كف النفس عن المعاصي.

وأنواع الخوف الواجب ثلاثة :

١ – هي أن يخاف العبد مقامه بين يدي ربه للحساب.

٢ – ويخاف مقام ربه ﷻ وعظيم قدره.

٣– ويخاف ذنبه ويخاف وعيد الله الذي يلحق أهل الإعراض عنه.

أولاً: المؤمن يخاف مقامه بين يدي ربه :

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

❁ فإذا تفكر العبد في حال الناس يوم القيامة أصابه خوفٌ عظيم، فإن الشمس التي تبتعد عن الأرض الآن ثلاثة وتسعون مليون ميل تدنو من الخلائق حتى تكون منهم بمقدار ميل واحد، فانظر إلى هذا الحر العظيم ولا توجد شربة ماء، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، منها أربعين سنة أو أكثر قبل بدء الحساب، وقد كان يشق عليهم في الدنيا صيام يوم واحد.

❁ فانظر إلى أهل الموقف أذلاء ضعفاء قد تبرأ الأخلاء من بعضهم، وتبرأ المتبوعين من أتباعهم.

❁ وهم مع ذلك حفاةً عراةً غرلًا غير مختونين، ومن شدة خوفهم وقلقهم لا ينظر بعضهم إلى بعض، قد انهارت قواهم تمامًا حتى انكبوا على وجوههم، ما يستطيعون أن يقفوا، فيصيب وجوههم كل ما في الأرض من شوكٍ وأذى، قد عجزت أيديهم أن تدفع عنهم، وأرجلهم أن تحملهم، وهم على هذا الحال سنين طوال.

❁ قال رسول الله ﷺ : « **يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»[(١)] - خمسة آلاف مليون إلا مائة مليون ملك- يحجزون جهنم عن البشر، وصوت غيظها عليهم من بعيد يقطع الأفئدة، وهنا تسقط كل البشرية على ركبها، ودعاء الأنبياء يومها: «**اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ**»[(٢)].

❁ ثم تجيء الملائكة صفوفًا صفوفًا في مشهد رهيب استعدادًا للحدث العظيم، وهو مجيء الجبار ﷻ لفصل القضاء.

❁ ثم تخيل أن ينادى عليك يوم القيامة: «فلان بن فلان! هَلمَّ للحساب والعرض على الجبار». فما ظنك بالعاصي ؟! إنه لا يستطيع أن يقوم من مكانه، ويَزْرَق وجهه، ويُسأل فلا يستطيع أن يجيب، فتنطق يديه ورجليه وفرجه بمعاصيه، فيريد أن يهرب، فينظر عن يمينه فلا يجد إلا عمله، وينظر عن شماله فلا يجد إلا عمله، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار؛ فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة.

قال ﷺ : «**فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ؛ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[(٣)].

❁ ثم يوَبِّخه الله ويفضحه على رؤوس الخلائق: ألم يستعن بقوة الله على معصيته؟! ألم يستعن برزق الله على الصدِّ عنه؟! ألم يستخف بلقاء الله؟! ألم يستهن بنظر الله إليه في الدنيا وهو على المعصية؟!.

❁ ثم يُؤتى كتابه بشماله أو من وراء ظهره ويُطلَبَ منه أن يقرأه، وكيف له ذلك؟!

---

(١) رواه مسلم (٥٠٧٦).
(٢) رواه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٤، ٧٤٣٨)، ومسلم (١٨٢، ١٨٣، ١٩٥).
(٣) رواه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

فيغضب الجبار غضبًا عظيمًا ويلعنه ويقول: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠]، وهنا يبتدره مائة ألف ملك يأخذون هذا العبد الذي بارز الله بالمعاصي، هذا يأخذه من يده، وهذا يأخذه من رجله، وهذا يضع الأغلال في عنقه فيكاد يتمزق جسده، ويؤخذ من أمام الله تعالى، فترى فأين يذهبون به؟! إنها نارٌ تلظى، وحممٌ تفور، وملائكة تُعَذِّب كل كفور، فيُلقى في جهنم فيظل يهوى فيها سبعين سنة لا يجد لها قعرًا.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢] أي: أدخلوها من فمه وأخرجوها من دبره، اشووه في جهنم على هذه الهيئة كما تشوى الذبيحة في الدنيا.

فيا أخي! هل بعد ذلك تقترف الذنب؟! نعوذ بالله من حال أهل النار.

❁ أما المؤمن فإن الله تعالى يُدنيه منه ويرخي عليه ستره ثم يُذَكِّره ذنبه، حتى إذا ظنَّ أنه هالك قال الجبار ﷻ: «سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»[(١)]، اذهب يا عبدي، لا أفضحك قد غفرت لك.

❁ فهي والله الفرحة الكبرى والسرور الأعظم يوم تزحزح عن جهنم.

❁ ولكن ألا تكفي هذه اللحظة في حصول الخوف للمؤمن؛ فإن لحظات الخوف قبل حصول ستر الله لا تساوي الدنيا بجميع شهواتها وملذاتها؛ فانتبهوا يا أولي الألباب.

ثانيًا: المؤمن يخاف مقام ربه وعظيم قدره:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤].

١- فالمؤمنون يخافون ربهم لاطلاعه عليهم وعلمه التام بأعمالهم.

٢- ويخافون من قدرته عليهم، وعدم خروجهم عن مشيئته، وأنه الذي يدبر جميع شئونهم فهو قيوم السموات والأرض.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

٣- ويخافون من حسابه لهم، وأنه لن يذر نقيرًا ولا قطميرًا ولا ذرةٍ من شيءٍ حتى يحاسب عليها، فهو قائمٌ على كل نفسٍ بما كسبت.

ثالثًا: والمؤمن يخاف ذنبه :

❁ فالمؤمن يرى ذنبه كالجبل يكاد أن يقع عليه، أو أن صاعقة من السماء ستنزل عليه بشؤم ذنبه ويظلم قلبه ويسود ما حوله إذا فعل الذنب، وتدمع عينه فيسارع إلى ربه بالتوبة والاستغفار.

❁ أما المنافق فإنه لا يرى ذنبه إلا كالذباب وقع على أنفه، فأشار إليه بيده فأطاره، ولا يشعر بوخز ضميره بعد الذنب، ويُزَكي نفسه، ورغم وقوعه في الذنب يرى أنه يستحق أعلى الدرجات.

أخوف الناس العلماء

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر : ٢٨].

❁ إن قوة محاسبة النفس ومراقبة الله ﷻ ناتجة عن قوة الخوف من الله، وقوة الخوف ناتجة عن قوة العلم، والعلم هو:

١ - العلم بالله تعالى وصفاته.

٢ - والعلم بعيوب النفس وشهواتها.

٣ - والعلم بعقاب المعرضين.

٤ - والعلم بشدة عذاب النار وأهوالها.

❁ فإن أخوف الناس أعرفهم بنفسه وبربه، **فمن عرف نفسه عرف كيف يزجرها، ومن عرف ربه عرف عظمته**، ومن عرف عظمته أنَّى يعصاه؟ والذين عرفوا أنفسهم وعرفوا ربهم هم العلماء الربانيون.

❁ **وإنما أمِن الناس لجهلهم وقسوة قلوبهم .**

❁ وإن الخوف قد منع النبي ﷺ أن يضحك ملئ فمه، وأَمْرَض المبشرين بالجنـة، وجعل على وجه الصالحين خطان أسودان من البكاء.

خوف الله يدفع إلى طاعته

❁ من خاف شيئًا هرب منه، **ومن خاف الله هرب إليه** ، وخضع له، وترك الكِبْر، وأحرق الخوف شهوات قلبه.

❁ فالخوف يقود العبد للاستعداد لما يتوقعه يوم القيامة، فيلزم الطاعة ويكف عن المعصية حتى ينجو من العذاب.

❁ فالخوف ليس بكثرة الدموع، وإنما الخوف فعل يصلح الدنيا والدين، ناتج عن كمال معرفة الله.

الخوف شرط قبول العمل وشرط الإيمان

❁ الخوف شرط الإيمان: قال تعالى: ﴿ **وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

❁ وفيه الدليل على أن من لم يخف الله فليس بمؤمن، وفيه وجوب الخوف من الله وحده.

❁ فمن زال الخوف من قلبه تمامًا زال الإيمان من قلبه تمامًا، وإن قل الخوف قل الإيمان، وإن زاد الخوف من الله زاد الإيمان في قلب العبد، قال النووي في «روضة الطالبين»: «من قال: لا أخاف القيامة؛ كفر».

❁ ولا يقبل الله أي طاعة خَلَتْ من الخوف منه، فمن عبد الله بغير خوف ردت عليه عبادته؛ لأنه ليس بمؤمن، فلا يجوز أن يقول الإنسان أنه يعبد الله «لا طمعًا في جنته ولا خوفًا من ناره»، قال تعالى: ﴿ **لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ** ﴾ [الزمر: ١٦]

لذلك من قال: لا أخاف الله ولا أخاف القيامة، لا يكون مؤمنًا بالقرآن العظيم الذي فيه تخويف للعالمين، ومن قال ذلك فقد رفع نفسه فوق منزلة الأنبياء والملائكة الذي كان خوفهم من الله على قدر عظيم، قال تعالى عن الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، وقال تعالى عن الأنبياء: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧] فهو يخاف الخزي يوم القيامة وهو من أولي العزم من الرسل، فكيف يخوفهم الله تعالى ويقولون لا نخاف، وزوال الخوف يتضمن الأمن من مكر الله وهذا لا يكون من مؤمن أبدًا، قال تعالى:﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[الأعراف: ٩٩]

❁ وفي المقابل نهى الله عن الخوف مما سواه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران:١٧٥]

ميزان الاعتدال :

❁ فمن عبد الله **بالحب** وحده فهو زنديق منافق.

❁ ومن عبد الله **بالخوف** وحده فهو حروري من الخوارج الذين يأّسوا من رحمة الله وأخرجوا الناس من الإيمان بالمعاصي.

❁ ومن عبد الله **بالرجاء** وحده فهو مرجئ، وهم الذين قالوا أنه لا يضر بعد الإقرار بالتوحيد ذنب، وادَّعوا أن الله لابد أن يغفر كل الإسراف في الذنوب مادام الواحد منهم نطق بالشهادتين.

❁ **ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو المؤمن الموحد.**

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

أنواع خوف اللّه

١- **الخشية**. ٢- **الوجل**. ٣- **الرهبة**.

أولاً : الخشـية :

١ - **هي خوفٌ مقترنٌ بتعظيم اللّه ومحبته ومقترنٌ بعلمٍ ومعرفةٍ** تدعو إلى الخشوع والخضوع والانكسار قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾ [فاطر:٢٨]، فهم الذين يعلمون أن الله إذا غضب لا يقوم لغضبه شيء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾[المؤمنون:٥٧]، وما ذلك إلا لعلمهم بعظمة ربهم، فهو يشفق على نفسه وأهله من عذاب الله ومن موقفه بين يدي الله للحساب غدًا.

قال تعالى مخبرًا عن المؤمنين: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور:٢٦] فهم لما كانوا في أهليهم يتسامرون فإذا ذكروا عقاب الله وما أعده للمعرضين وتذكروا الحساب والمساءلة خافوا سوء الحساب وخافوا الحساب العسير ولم يأمنوا من مكر الله لما يعلمون من استدراجه لأعدائه وانتقامه منهم، فزال عنهم الاطمئنان وفزعوا إلى الله الرحمن، وقاموا إلى طاعة الملك الديان.

٢ - **والخشية هي ارتجافُ القلبِ خوفًا ألا تُقبل حسناتهم وألا تغفر سيئاتهم.**

❁ فالخشية تدفع إلى الطاعة والمسارعة في الخير .

وكلما ازداد علم العبد بربه ازداد خشيةً لعظمته وعلوه وقدرته وقهره ومراقبته.

فتجد **أكثر الناس خشية للّه أكثرهم له طاعة وأعظمهم له حبًّا** ، فإن خشية الله قد أحرقت مواطن الشهوة في قلوبهم.

❁ حذر الله تعالى عباده المؤمنين أن يخشوا الكفار والظالمين وأن يتركوا الجهاد خوفًا منهم، قال تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١٣]

فوائد الخشية :

❁ فتدفعه الخشية أن **يفر منه إليه** ، فيفر من **معصيته إلى طاعته** ومن **عقابه إلى ثوابه** ومن **سخطه إلى مرضاته** .

- فإنك إن خفت شيئًا فررت منه، إلا الله، فإنك إذا خفت منه فررت إليه.
- لأنك لا تشعر باطمئنان القلب وقرة العين إلا بالقرب منه وعند طاعته.

❁ فتدفعك الخشية إلى الاجتهاد في الطاعات حتى يطمئن قلبك بقربه من ربه، ثم تجعلك الخشية **تخاف ألا تُقبل منك طاعتك** ، فهل أَمِنْتَ أن عملك قد خلا من الرياء أو طلب الدنيا أو العجب به أو المنَّ به على الله أو على خلقه؟

كيف تصل إلى الخشية :

١ – تصل بترك المعاصي.

٢ – وتذكر القيامة والموت والجنة والنار.

٣ – ثم ترحم الخلق ليرحمك الخالق.

٤ – ثم تكثر من البكاء من خشية الله، فمن ذاق حلاوة البكاء من خشية الله لن تمسه النار.

❁ ولا تجد أكثر البكائين إلا من الطائعين، **فليس البكاء من كثرة الذنوب ، بل البكاء من صفاء القلوب.**

ثانيًا : الوجل :

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون:٦٠].

هو العبد **يعمل الصالحات ويخاف ألا يُتقبل منه**، فقلبه مرتجف خائف؛ لأنه إلى الله راجع وسوف يُسأل عن هذا العمل، وهو لا يجد عمله صالحًا للعرض، فلا يعرف باطن عمله إلا الله، ولا يعرف عيوبه الخفية إلا هو، وأنها لابد ستظهر يوم القيامة، فوا

سوءتاه إن لم يقبلني ربي، ليت أمي لم تلدني إن لم يرحمني ربي.

❁ فقد سألت عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ** ﴾ [المؤمنون:٦٠]، أهو الرجل الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال ﷺ : «**لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ! وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ**»[(١)] .

❁ ولا يحصل الوجل **إلا لمن داوم ذكر الآخرة** كالأنبياء، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام يقومان بأعظم عمل على وجه الأرض ألا وهو بناء الكعبة ورفع قواعدها، وهم لا يراهم من أحدٍ أبدًا حتى يخافان على عملهما من الرياء، ومع ذلك يقولان: ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾ [البقرة:١٢٧]

❁ **فالانشغال بقبول العمل** قد أخذ قلبهما.

❁ **والخوف من حبوط العمل** قد أرجف فؤادهما .

❁ **والنظر في عيوب العمل** قد أنساهما فضلها .

ثالثًا : الرهبة

قال تعالى: ﴿ **وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ** ﴾ [البقرة:٤٠].

والرهبة **خوف مع هرب** ، ففيها تعظيم لله وفرار منه إليه.

لأنك تفر ممن تخاف إلى من هو أقوى منه ليؤمنك، ومن أقوى من الله، فهو الذي يجير ولا يجار عليه.

❁ قال تعالى: ﴿ **فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ [الذاريات:٥٠]، فيفر من **سخطه إلى مرضاته** ويفر من معصيته إلى طاعته، ويفر من عقوبته إلى ثوابه تعالى.

(١) رواه الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٢).

فضل الخوف وفوائده

❁ فضل كل شيء يكون **بقدر إعانته على الوصول إلى السعادة** في الدنيا والآخرة.

١- وإذا اكتمل خوف الله في قلب العبد زال من قلبه كل خوف من سواه :

قال تعالى مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ **وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا** ﴾ [الأنعام:٨١]، فإذا عرف العبد عظمة ربه هابه وخشاه وخاف منه، وصغر في عينيه كل المخلوقين، فلم يعد يرى أحدًا منهم لضآلته في نظره، فكيف يخافه أو يخشاه؟ وهو لا يعظم إلا مولاه.

٢- الله جعل الأمن لمن آمن به :

قال تعالى: ﴿ **فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام:٨١]

فالمؤمنون لهم الأمن في الدنيا والآخرة .

الأمن في الدنيا :

لأنه انقطع من قلبهم خوف الشيطان وأولياءه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ** ﴾ [آل عمران:١٧٥]، يعني يخوفكم من أوليائه أو **يخوفكم بأوليائه** ، لكن المؤمن لا يعبأ بذلك، ويرى أن ما في يدي أعداء الله من أسباب القوة والظلم إنما كان بمشيئة الله، فالله قدّر ذلك وقدّر أن يستغلهم الشيطان في تخويف المؤمنين امتحانًا لهم، فالمؤمن لا يرى أنه فِعلهم في الحقيقة، وإنما يرى أنه فِعلُ الله، فيطمئن لذلك، فإن كان هذا من فعل الله وقدره فما سبب الخوف، فإن أسوأ ما في الأمر أن يقتلوه، وإن قتله شهادة، وهي التي يحب، وإنها والله الكرامة التي طالما سألها العبد ربه في سجوده عند السحر وفي صيامه يوم الهجر وعند منصرفه من رجم الحجر، فكيف يخاف من عدوه

وهو لن يصل إلى موعود ربه إلا بمخاصمته؟ فيجعله ذلك أكثر شراسة في مواجهته، وأكثر شجاعة في مقاتلته، وأكثر إقدامًا في مجابهته، وكل ذلك لا يقربه من أجله؛ بل يقربه من نصره.

الأمن في الآخرة :

وهل الأمن إلا يوم الفزع؟

❁ فأهل الحشر في هولٍ عظيمٍ وخطبٍ جسيمٍ، حفاةً عراةً تحت أديم شمسٍ حارقة، وقد كان فُساقهم في الدنيا ينتظرون كل شاردة أو واردة، أما اليوم فالكلأ مباح والعري فضَّاح، ولكن هيهات ثم هيهات، فمن بلغ منه الذعر ذلك المبلغ فإنه ينسى أنه عريان، وينسى أن النساء حوله عرايا، إنه ينظر إلى أعلى يحدق البصر إلى السماء ينتظر قضاء الله، قد فَغَرَ فاه وجَفَّ لسانه وانشق حلقه، فلا رِواء ولا شربة ماء، وإنما اللحظات تمر ساعات، والساعات تمر سنوات.

❁ أما المؤمن فإنه في روح وريحان، وفي كنف رب غير غضبان، قد أظلهم تحت ظل العرش في أمانٍ أبدي وظلٍ سرمدي، وألبسهم من حُلل الإيمان، وأسبغ عليهم الرضوان، وجعل على رؤوسهم التيجان، فبكم تشتري ظل ذلك اليوم؟ وكم تبذل لاطمئنان ذلك اليوم؟ الثمن دمعة خوفٍ من الله حيث لا يراك أحدٌ، ووجل قلبٍ أن يراك حيث نهاك، واضطرب فؤاد إذا وسوس لك الخوان بأي غدرةٍ أو نظرةٍ أو خيانةٍ لأمان.

الخوف الطبيعي يذهبه التوكل:

وخوف العدو خوف طبيعي، لكن استمراره محرم في قلب المؤمن، وعلاجه صدق التوكل على الله، فليحرص المؤمن على زيادة توكله ليزول خوفه من عدوه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٤]، فأذهب هذا التوكل كل خوف من قلوبهم.

٣- خوف الله من أسباب سعادة العبد:

قال تعالى: ﴿ **وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا** ﴾ [الأعراف:٥٦]، فإن خوف الله ﷻ مرتبط برجائه، فمن خاف من الله رجاه، ومن خاف من غيره هجاه وما ظن الخير في لقياه.

فخوف الله مرتبط بحبه ورجاء ما عنده، فهو يخافه لينال وعده ويهرب من وعيده، فمن خاف من سوى الله هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه واطمأن به وبجواره، فأدخل ذلك أنواع السعادة والسرور إلى قلبه والتلذذ بنعيم قربه، وأما من خاف سواه أضطرب قلبه وتعس وشقي، وركبته الأمراض ولم يهنأ بطعام ولا منام.

❁ وأما من قال: **أنا أعبده لا خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته،** فهذا زنديق؛ كذَّب بالقرآن العظيم، ورد الأمر على رب العالمين، فإن الله أمره أن يدعوه خوفًا وطمعًا، وهذا الزنديق لا يريد أن يفعل ذلك، فكيف يدَّعي الإيمان وهو يكذب القرآن؟

فالله يغضب على من لا يخافه، ويغضب على من لا يرجوه.

٤- خوف الله يزيد الإيمان:

قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا** ﴾ [آل عمران:١٧٣].

❁ فخوف الله من أعظم عبادات القلوب، وزيادة العبادة تزيد الإيمان، والإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، **فمواطن الشدة** التي يتزعزع فيها إيمان أهل الزيغ هي نفسها المواطن التي يزداد فيها إيمان أهل الإيمان.

❁ **فأهل الإيمان يفكرون بطريقة غير الناس**

فإن الله يبتلي عباده بأن يجعل لأولياء الشيطان زينة وأموالًا وعُدة في هذه الدنيا.

• فيأتي الشيطان ليخوف الناس منهم، فيخافهم أهل الزيغ لأن قلوبهم متعلقة بالأرض، ولا تعرف إلا ما فيها من أسبابٍ ماديةٍ محسوسة، فيروا أيديهم صفرًا خاويةً منها، ويروا اجتماع تلك الأسباب عند الكفار، فيوقنوا بالبوار، فيبيعوا دينهم ويوالوا الكفار.

• أما أهل الإيمان فإنهم يؤمنون أن القوة لله جميعًا، فيرتفعوا بذلك عن الأرض وحضيضها، وإنما يرتفعون بآيات الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

فيروا ما في أيدي الأعداء قليل، ويروا ما عند الله كثير، ويروا أن الأمر كله لله، فهو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ويروا أن نواصي الكفار بيده، فيعظم توكلهم ويزداد إيمانهم حيث يضعف إيمان الناس.

ـ وإن هذا الخوف الجبلي قد يقع للمؤمنين بل للأنبياء والمرسلين، قال موسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه:٤٥] يعني فرعون، فنهاهما الله عن ذلك الخوف وأخبرهما بطريقة التخلص منه **وهي استحضار معية الله** قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦] فمن استحضر معية الله ارتفعت نفسه عن الأرض، ورآها صغيرة هي ومن عليها أمام عظمة الله، ورأى أقوياءها ضعفاء أمام قوة الله، ورآها لَعِبٌ ولهو أمام حكمة الله، فرأى أسلحتهم لُعَبْ، ورأى أن تخطيطهم لهوٍ أمام جبروت الله تعالى.

• فوقوع ذلك الخوف ابتداءً في قلب المؤمن لا يضره، ولكن يضره إذا استمر فيه، ويذهبه التوكل؛ فإن النبي ﷺ كان إذا خاف قومًا قال: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ**»(١)، فالنبي ﷺ قد يخاف قومًا ولكن بلجوئه إلى الله **يتحول هذا الخوف إلى ثبات.**

٥- خوف الله سبب النجاة:

قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران:١٧٤].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٥٣٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٦٣١)، وأحمد (١٩٢٢١)، وصححه الألباني.

❁ **فمن اتقاه وقاه ، ومن خافه أنجاه، ومن هرب إليه آواه، ومن توكل عليه كفاه.**

❁ فانظر لما حدث للمسلمين بعد موقعة أحد، إنها الجراح، والألم، وقتل الإخوان، وفراق الأحباب، وذهاب الأصحاب، ورغم ذلك يـدعوهم نبـيهم ﷺ للنهـوض إلى غزوة حمراء الأسد، ماذا يفعلون والجراح مازالت تثغب دمًا؟ ولابد من الاستجابة لله ورسوله ﷺ ، ولكن ما الذي يدفعهم للاستجابة؟

إنه الخوف من الله، وصدق التوكل عليه، قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ** ﴾ [آل عمران:١٧٢] فالله يعلم ما بهم من قرح، وهو الألم الشديد والجراح، ولكن هذا **أفضل توقيت لزيادة الإيمان ورفعة الدرجات** ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران:١٧٢] قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ**﴾ فما زادوا أن قالوا: ﴿**وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران:١٧٣]، ها هو صدق التوكل على الله الذي أذهب عنهم خوف عدوهم رغم مصائبهم وجراحهم فكان جزاؤهم: ﴿**فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ**﴾ [آل عمران:١٧٤]، فألقى الله الخوف والرعب في قلوب أعدائهم ففروا، وانتصر المسلمين بدون خسائر، بدون قطرة دم واحدة، فانظر إلى نعمة الله وفضله أن كتب لهم ذلك الأجر العظيم بمجرد صدق النية، فأصبح خوف الله في البداية هو سبب نجاتهم في النهاية، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

جـزاء الخـوف

١- سكنى أعلى الجنة :

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦] وهما جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهمـا.

ومن حقق الخوف من الله رزقه الله منازل السابقين، ورفعه في عليين، وهذا أعلى المقامات؛ لأن الله قال بعد ذلك: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٢] وهما جنتان من فضة آنيتهما وما فيها فدل ذلك على أن **مقام الخوف هو مقام السابقين .**

❁ فكلما ازداد صلاح المؤمن ازداد خوفه من الله، وازدادت رهبته، فهو يخشى أن يفقد قربه من الله، وكلما ازداد قربه ازداد خوفه أن يفقد القرب، ويظل كذلك حتى يأتي الأمان الكامل يوم دخول الجنة وسماع قول الملك ﷻ : ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف:٦٨].

❁ وجزاء الخوف هو **الأمن التام يوم الفزع ثم الفوز برضى الرحمن** وبظله يوم لا ظل إلا ظله، والنجاة التامة من النار، فلا تمسه أبدًا، قال ﷺ : «**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله**»(١) .

٢ - التشبه بالملائكة :

❁ وهو بخوفه يتشبه بالملائكة الذين يخافون ربهم من فوقهم ، قال تعالى عن الملائكة : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠].

---

(١) رواه الترمذي (١٦٣٩)، وصححه الألباني.

٣ - التشبه بالأنبياء :

قال تعالى: ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨]، فعلمهم بعظمة الله هو الذي دفعهم إلى خوفه.

٤ - جزاء الخوف التمكين والنصر :

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم:١٣-١٤].

فجعل تعالى جزاء خوف مقامه ووعيده؛ النصر والتمكين في الدنيا، وكلما ازداد المؤمن خوفًا من مقام ربه وخوفًا من وعيده؛ كلما اقترب من النصر والتمكين.

❁ من خاف الله أخاف الله منه كل شيء،ومكَّن له في الأرض ورزقه الأمن بعد الخوف.

❁ وإذا أخلص العبد خوفه لله؛ أعطاه الله ما يرجو، وأمَّنه من مخاوف الدنيا والآخرة.

❁ ومن لم يخف الله في الدنيا؛ أخافه الله من كل شيء، حتى وإن أحاط نفسه بالجنود والحراسات، فإذا كان يوم القيامة أصبح في فزعٍ عظيم جزاء إعراضه عن الطاعة.

٥ - من حقق الخوف كان مستجاب الدعوة :

قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم:١٥]، فمن حقق الخوف واستكمل الإيمان كان مستجاب الدعوة، فإن طلب من الله النصر والفتح خابت أمام دعوته قوة كل جبار عنيد، قال الله مخبرًا عن شعيب عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٨٩] يعني أحكم بيننا، **وإذا حكم الله حكم للمؤمنين وأهلك الظالمين .**

تفاوت الناس في الخوف

❁ فمن الناس من خوفه من الله يمنعه من فعل **الحرام**، ومنهم من يمنعه خوفه من الله من فعل **المكروه**، ومنهم من يدفعه خوفه من الله إلى **فعل الواجبات**، ومنهم من يخاف الله جدًّا فيدفعه خوفه إلى **فعل كل المستحبات** وتجده يبكي كلما ذكر الآخرة، وهذا أكمل الخوف، **وأقلهم من يخاف الكفر** فقط، ولكنه لا يستحضر عقاب المعصية فيقع فيها.

❁ وبعضهم يخاف الناس أكثر من خوفه من الله، أو يخاف من عدوه ولا يجد عنده من التوكل ما يدفع به ذلك الخوف، فيهرب من أذى عدوه فيطيعه ويقع في المحرمات، وربما يأمره عدوه بالكفر فيكفر خوفًا منه، فيفعل ما يغضب الله أو ما يخرج به من دائرة الإسلام عياذًا بالله، قال تعالى: ﴿ **فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران:١٧٥].

ـ فيُرضِي أعداء الله بسخط الله، حتى يأمنهم ويأمن أذاهم، فيكون جزاؤه الخوف الشديد والفزع في الدنيا والآخرة، فإن الله يقلب قلوبهم عليه في الدنيا فيتلفوه بعد أن يأخذوا منه غرضهم، فهم أيضًا لا يحتاجون إلى أولياء جبناء ضعفاء خائنين، وهو يعلم مصير نفسه، فبعد أن يداهنهم يهون عليهم جدًّا فيظل في رعبٍ شديدٍ في الدنيا، أما في الآخرة فإنه يقدم قدوم العبد الآبق على سيده الغاضب، قدوم من أعرض وأسرف ولم يرعوي إلى ملكٍ جبارٍ منتقم لا ينسى فعل أعدائه بأوليائه.

أنواع الخوف

أولاً: خوف الله :

وهو شرط قبول العمل وهو الخوف الصحيح.

❁ وهو عدم الأمن من مكر الله، فإن الأمن من مكر الله سببه العجب بالنفس، وعدم معرفته لقدر الله، لكن يجب أن يرافق الخوف عدم القنوط واليأس من رحمة الله، أو قطع الرجاء والأمل فيما يرجوه من الله؛ لأن اليأس من رحمة الله إساءة ظنٍ بالله، وجهلٌ بسعة رحمته وجوده.

❁ ويستحب أن **يغلب الخوف حال صحة** العبد وقوته، وأن **يغلب الرجاء حال المرض** واقتراب الموت.

ثانيًا: الخوف المحرم :

هو أن يخاف من أذى بعض الناس فيترك ما يجب عليه، أو يفعل ما يحرم عليه، فإنه يحرم عليه إرضاء الناس بما يسخط الله، فلا يكون كمن فر من ألم ساعة إلى ألم الأبد، ولكن يجب عليه أن يلتمس رضا الله ولو سَخِطَ الناس.

❁ فإن المنافق يفر من إحراج الناس له فيوافقهم، ولا يبالى أيوافقهم في طاعةٍ أو معصية.

❁ وربما جعل الله تعالى فائدة في سخط الناس على العبد عندما يرضى الله؛ لأنه بذلك لا يلتفت إليهم ولا يرجوهم، فكيف يُؤمِلُهم وهم يسخطون عليه، فتنقطع بذلك مادة الرياء ولا يبقى إلا إخلاصه لله فيثبت أجره.

ثالثًا: الخوف الشركي:

• وهو أن تجعل لله نِدًّا تخافه كما تخاف الله بالغيب، **وهو خوف سري يتقرب به إلى من يخافه**، وهو خوف باطن يدعوه لطاعة باطنة، كأن يخاف من صاحب القبر أن يغضب عليه إذا ترك تعظيمه، أو يخاف من وثن، أو من طاغوت أن يصيبه مما يكره، فيقصده بأنواع الطاعات التي لا تنبغي إلا لله، حتى يرضيه، وهذا من الشرك الأكبر.

• ومنه خوف الجن الذين يسميهم أسياد، فيذبح لهم، ويسجد لهم، ويهين المصحف خوفًا منهم، والجن غيب والتقرب إليهم بالذبح والسجود كفر.

❁ لذلك لا ينبغي تخويف الأولاد من **عفاريت الجن** ، بل يجب أن نربي أولادنا على الشجاعة لا على الخوف، ونبين لهم أن الجن مخلوقات ضعيفة عاجزة، وهي التي تخاف من مؤمن بني آدم وتسلك طريقًا غير طريقه.

أليس إذا سلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجًّا سلك الشيطان فجًّا أخر؟، فالشيطان يخاف من عمر ومن أهل الإيمان **فكيف تخاف منه وهو الذي يخاف منك ؟**

رابعًا: الخوف الطبيعي:

❁ هو الخوف من أسدٍ أو عدو أو من الغرق، وهذا ليس خوف عبادة، فإن وقوعه في القلب لا يضر ابتداءً، وقد يقع في قلوب الأنبياء والأولياء لكن يذهبه الله بصدق التوكل، فلا يستقر في القلب، قال تعالى مخبرًا عن موسى وهارون عليهما السلام عندما ذهبا إلى فرعون: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٥-٤٦]، وإذا خاف النبي ﷺ قومًا قال: «**اللَّهُمَّ! إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ**»[(١)] .

❁ فإذا استقر هذا الخوف في القلب وأدى لفعل محرم؛ كأن يفر يوم الزحف وهو معه السلاح؛ فهذا الخوف أدى إلى فعل محرم فأصبح الخوف محرمًا، فإذا فعل الكفر إرضاءً لمن

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٥٣٧)، وأحمد (١٩٢٢١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٧٠٦).

يخافهم بدون إكراه كان الخوف كفرًا، وإذا أمره بالسجود مثلًا فأطاعه راضيًا كان خوفًا شركيًا.

❁ ومن الخوف الطبيعي أن يخاف ممن يهدده بسلاح، وربما يدفعه الخوف إلى أن يطيعه، ولكن يجب عليه أن يكره ذلك، وأما إذا رضيَّ وفعل شيئًا محرمًا كان خوفًا محرمًا.

الإكــراه

❁ والمكره معذور، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦]

لكن ليس كل خوف يُعد إكراهًا؛ فإن من شروط الإكراه:

١ – أن يكون فوريًا .

٢ – أن يعجز الإنسان عن التخلص منه ولو بالفرار .

٣ – أن يغلب على ظنه أن التهديد يقع .

مثال الإكراه الغير معتبر :

أن يظل المسلم طوال عمره مرعوبًا خائفًا أن يعرف الظالمون اسمه، فيمنعه ذلك الخوف عن صلاة الجماعة وطلب العلم والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيجبن ويظل مرعوبًا إذا دعاه أحد الظالمين لسؤاله ساعة من الزمان، فيظل طوال عمره خائفًا، فيمتنع طوال عمره من الأعمال الصالحة خوفًا من مساءلة تلك الساعة.

الجُبْــن

الجُبْنُ مذموم، وهو من الأخلاق الرذيلة، وهو أن يخاف بلا سبب أو من سبب ضعيف، مثل أن يخاف من الظلام، أو من الفئران، أو من مَن ضرره يسير، قال ﷺ : **«اللَّهُمَّ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ»**(١) .

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٣، ٦٣٦٧)، ومسلم (٢٧٠٦، ٢٧٢٢).

٣- الإخلاص

❁ **الإخلاص:** هو إفراد الله بالقصد في قولك، وفعلك، وسكونك، وحركتك، وسرَّك، وعلانيتك، وفي حياتك كلها، تبتغي بذلك رضا الله والدار الآخرة.

❁ وضده الرياء وهو أن تطلب مدح الناس.

❁ والإخلاص عزيزٌ جدًّا؛ لأنه ليس للنفس فيه حظٌ ونصيب.

❁ **الإخلاص**: هو تصفية الأقوال والأعمال من كل إرادات النفس سوى الله، وهي:

١ - إرادات العجب . ٢ - ومراءاة الناس . ٣ - وإرادة الدنيا .

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

قال تعالى : ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢].

قال تعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر:٣].

قال ﷺ : «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[(١)].

الاحتساب

هو الإيمان بالله آمرًا ونَاهيًّا، وقبول الأمر والنهي، وعقد العزم على التزامه، ثم رجاء ثواب الطاعة وخوف عقاب المعصية، مثل قول النبي ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٢)]، ومثل قوله ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).
(٢) رواه البخاري (٣٨، ١٩٠١، ٢٠١٤)، ومسلم (٧٦٠).
(٣) بقية الحديث السابق.

العمل الصالح

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فالعمل الصالح له شرطان:

الإخلاص: ألا يبتغي به إلا وجه الله.

الإتبـــــاع: أن لا يتبع فيه إلا رسول الله.

والعمل الصالح شرطه الإيمان بالله:

١- فلو كان يقصد وليًّا يدعوه عند الشدائد، ويذبح له، وينذر له، أو يظن أن بيده جلب النفع أو دفع الضر؛ لكان مشركًا ولفسد عمله كله، حتى إن ابتغى به الله واتبع فيه رسول الله ﷺ.

٢- ومن نبذ شرع الله وتحاكم إلى القوانين الوضيعة واعتقد أنها خيرٌ من الشرع؛ حبط عمله ولم يُقبل وإن كان مثل طاعات الثقلين الجن والإنس.

الإخلاص يكون في كل شيء: في العبادات والعادات والأقدار

١- النية في العبادات:

❁ ومن صح إخلاصه لم ير المخلوقين أثناء الطاعة، فهو لا يرى إلا الخالق العظيم وثوابه وعقابه، فشغله ذلك عن كل ما هو دونه.

٢- النية في العادات:

❁ ومن كَمُلَ إخلاصه تحولت العادات عنده إلى عبادات، فتجده ينام مبكرًا ليستيقظ

لصلاة الفجر نشيطًا، فأصبح نومه عبادة، وتجده يأكل ليتقوى على المشي إلى المساجد، فأصبح أكله عبادة يؤجر عليها، وتجده يتزوج يريد أن ينجب من سيكون خليفة المسلمين أو مجدد القرن أو صلاح الدين الجديد، فيقضى شهوته وتكون له طاعة، ويكون عناء رعاية الطفل وتربيته والنفقة عليه من الأعمال الصالحة وفى ميزان الحسنات يوم القيامة.

٣- النية في الأقدار:

❁ كأن تُلِحَ على الله أن يرزقك الشهادة في سبيله أو يرزقك الحج كل عام، فإنك تدرك الثواب ولو لم تُحَصِّل العمل إن عَلِمَ الله صدق إخلاصك.

٤- لا تصح النية الحسنة في المعصية:

❁ يعنى لا يجوز أن يبنى مسجدًا بمال حرام مغتصب، أو يطعم فقيرًا بمالٍ مسروق، ولا يجوز أن يغتاب أحدًا ليُطَيب قلب السامع.

❁ فالمعصية لا تؤثر فيها أي نية طيبة، ولا تتغير عن كونها حرامًا وظلمًا، فإن نية الخير بالمعصية من معاندة الشرع.

❁ وإذا نوى العاصي عدة مقاصد خبيثة بفعله تضاعف الوزر.

يجب أن نتعلم النية:

❁ فتجارة النيات هي تجارة العلماء.

قال ﷺ: «**وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» يعني جزاؤه عند الله بقدر ما نوى من أشياءٍ صالحة في العمل الواحد.

❁ فإذا ذهبت تصلى فأسبغ الوضوء، وسمِّ الله قبله، وتشَهَّد بعده، واحتسب على الله كل خطوة تخطوها للمسجد أن تكتسب بها حسنة جديدة وتحط عنك سيئة قديمة ويرفعك الله بها درجة، فأكثر الخطى وانتخب المسجد الجامع البعيد، وانوِ أن تردد خلف المؤذن أو أن تُؤَذِّن بنفسك.

❁ وانوِ في الطريق أنك إذا وجدت جاهلًا عَلَّمته، وإذا وجدت ضالًا أرشدته، وإذا وجدت عاصيًا قوَّمته، وإن وجدت مسلمًا سَلَّمْت عليه، وإن وجدت عاطسًا شَمَّته فقلت يرحمك الله، وإن وجدت جنازة صليت عليها واتبعتها، وإن وجدت أذى في الطريق أزحته.

❁ وانوِ أن تصلي في الصف الأول تدرك الفضيلة، وأن تدرك تكبيرة الإحرام تدرك الثواب، وساو الصف تأخذ الأجر، وصل صفًّا منقطعًا يصلك الله برحمته.

❁ وانوِ أن تسبح بعد الصلاة وتقرأ آية الكرسي، وانوِ أن تعلم إخوانك مسألة في الدين، وأن تبلغ عن النبي ﷺ ولو آية، وانوِ أن تتفقد إخوانك، فتزور مريضهم، وتعين فقيرهم، وتقضي حاجة المحتاج، وتنفس كربة المكروب.

❁ وانوِ ترك الذنوب في بيت الله وأثناء سعيه حياءً من الله تعالى.

❁ ألا ترى أنك إذا عدت إلى بيتك أو عملك عدت بربح لم يربحه غيرك، حتى وإن لم تصادف بعضًا مما سبق، ولكن ثبت لك أجره كله إن عقدت العزم على فعله وأخلصت في ذلك.

❁ فهل بعد ذلك تخرج من بيتك قبل أن تقف بين يدي ربك وتجدد نيتك.

أهمية النية والإخلاص

❁ إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغِي به وجه، وإلا فهو مردودٌ على صاحبه، فكل عمل ابتَغَيْت به مدح الناس فهو عمل حابط ليس له ثواب، بل عليه عقاب، حتى الأعمال التي ابتغيت بها وجه الله والناس معًا فهي مردودة، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك، ومن أشرك في العمل معه غيره تركه وشركه.

حتى في الأقوال :

- **لا تقل هذا لوجه الله ولك أو هذا لله والرحم**، فإن الله لا يقبل شريكًا معه في

القصد وإن كان **حسنًا فلا يصح أن تكون مخلصًا بقلبك مشركًا بلسانك.**

فضل الإخـلاص

❁ الإخلاص سرٌ بين العبد وبين ربه لا يعلمه مَلَكٌ فيكتبه ولا شيطانٌ فيفسده.

❁ الشيطان لا يقدر على غواية المخلَصين، فهو يخرج للناس في كل عمل، ومن كل وجه، وبكثيرٍ من الحيل، ولا ينجو من كل ذلك إلا المخلَصين .

❁ مضاعفة الحسنات؛ فإن المخلص تُضاعف حسناته إلى أكثر من سبعمائة ضعف إلى أكثر من ذلك أضعافًا كثيرة لا تعرف الملائكة حدها فتكتبها؛ فرب عمل قليل تُعظمه النية.

❁ القرآن تتعاظم آياته بقدر ما فيها من التوحيد والإخلاص، ألا ترى أن سورة الإخلاص هي أعظم سور القرآن، وهى تعدل ثلثه لأجل ما فيها من التوحيد وما تحض عليه من الإخلاص.

❁ من الواجبات ما لا يسقط حتى تعقد فيه النية، كالغزو في سبيل الله، فتكفي فيه النية عند عدم الاستطاعة.

❁ أصحاب **الأعذار** يدركون ثواب الطاعات كاملةً، تمامًا **كأصحاب العزائم** إذا صدقت نيتهم، فيكتب للضعيف أجر الجهاد، ويكتب للمريض أجر صلاة الجماعة، ويكتب للفقير أجر الصدقة، فيرتفع بالنية إلى أعلى المنازل، لذلك **فإن نية المرء خيرٌ من عمله،** لأنها ترفعه إلى درجات لم يبلغها عمله.

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلاَ عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»[1].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (١٧٥٧٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٢٤).

الرياء عكس الإخلاص

❁ **الرياء:** هو إظهار وتزيين العبادة بقصد رؤية الناس لها، يريد أن يحمدونه عليها ويثنون عليه بالعمل.

❁ **والرياء:** أن ينشغل برؤية الناس عن إحساسه برؤية الله تعالى لعمله ونيته .

• فينشغل بالتودد لهؤلاء المخلوقين والتزين لهم، وينشغل بما يُعظم منزلته عندهم فيكون له العلو عليهم، ويتساهل في العبادات التي لم يطلعوا عليها، وهذا أصل الفساد والنفاق.

• فتصبح حركاته كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس، يرجو مدحهم ويخاف ذمهم، وهذا من المهلكات.

❁ **والرياء:** طلب رؤية الناس، **والسمعة:** طلب سماع الناس لما يتلو من القرآن والوعظ، ويدخل في ذلك أن يتحدث الرجل بما عمله في السر طلبًا لمدح الناس.

❁ **والرياء:** أخطر إرادات النفس الأمارة بالسوء.

قال ﷺ : «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**»[(١)]، وقال ﷺ : «**اتَّقُوا الشِّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**»[(٢)] .

الرياء يحبط العمل

الرياء هو شرك السرائر ... وهو الشرك الخفي ... وهو الشرك الأصغر .

❁ من أشرك مع الله أحدًا في العمل تبرأ الله منه وتركه للذي أشركه معه ليأخذ منه أجره وثواب عمله ، فهل ترى إذا كان يوم القيامة هل يعطيه شيئًا .

❁ والمشرك والمرائي يستحقان المقت والعقوبة من الله؛ لأن الله له كمال الغنى ولا

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٣١١٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٥١).
(٢) صحيح: رواه أحمد (١٩١٠٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٦).

يرضى أن يكون له في عبده شريك .

❁ والرياء يحبط العمل الذي هو فيه ويمحو ثوابه .

محبطات الأعمال:

١ - المحبطات **قبل العمل** : الرياء والسمعة وإرادة الدنيا بالعمل.

٢ - محبطات **أثناء العمل** : مخالفة السُّنَّة وعدم اتباع النبي ﷺ

قال ﷺ : «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»(١) .

٣- محبطات **بعد العمل** : كالمن بالعمل على الله وعلى عباده أو رفع الصوت على رسول الله والتقدم بين يديه ﷺ بأن يفتى بغير الشرع وهو يعلم فيحبط ما سبق له من العمل.

درجات الرياء

١ - **النفاق الأكبر**: وهو الرياء في أصل الإيمان والشهادتين، وهو أن ينطق بالشهادتين يرائي بهم الناس وقلبه ليس مطمئنًا بالإيمان، فيحبط الرياء النطق بالشهادتين.

٢ - **وإن كان الرياء في أصل عبادة من العبادات أحبطها** كمن يطلب مدح الناس على العمل ولا يريد وجه الله ابتداءً، كمن يرائي في حضور الجمع والجماعات والحج وبر الوالدين ، فيفعل ذلك ليس رغبة في ما عند الله من الثواب، وإنما خوفًا من ذم الناس إذا لم يفعل تلك الطاعة، فهذا خوفه من ذم الناس أعظم عنده من خوفه من عقاب الله.

٣- **وإن كان في جزء من العبادة أحبط ذلك الجزء .**

❁ **وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء**: فإن كان هذا

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

خاطرًا ودفعه الإنسان فإنه لا يضره، أما إذا استرسل معه فإن عمله كله لا يبطل ويجازى بأصله نيته الأولى.

• مثل أن يبتغى وجه الله بالعمل في البداية، فيراه الناس أثناء العمل، فيدخل في قلبه طلب مدحهم، فيُحَسِّن من صلاته من أجلهم، وهذا يحبط الجزء من العمل الذي حدث فيه الرياء.

• وتجد هذا يكسل عن النوافل إن كان وحده، ولكن ينشط فيها ويحسنها إذا كان أمام الناس، فيطيل الركوع والسجود والقراءة في الصلاة أمام الناس، وهذا المرائي يقدم المخلوقين على خالقه العظيم.

٤- **ربما يرائي العبد وهو في بيته يصلى وحده وليس معه أحد** ، يتمنى أن يراه الناس، وربما إذا أصبح حدثهم بعمله البارحة، **فينقل عمله من ديوان السر إلى ديوان العلانية** ، وربما يغضب عليهم إذا لم يمدحوه بما يحدثهم من عمله.

٥- **الرياء الخفي** : هو أن يجتهد العبد في الطاعات ولا يحسنها أمام الناس، ولكن يفرح إذا أطَّلعوا على طاعته، وتذهب مشقتها عن نفسه، ويحب أن يوقروه لذلك ويثنوا عليه، وكل ذلك لالتفات قلبه إلى الناس، وهذا النوع لا يسلم منه إلا الصديقون.

❁ وأما إذا حُمِدَ الرجل على أعماله الصالحة بغير أن يطلب هو ذلك فتلك **عاجل بشرى المؤمن** في الدنيا .

❁ وقد كان النبي ﷺ يخاف على أصحابه الرياء رغم أنهم سادات الأولياء، ورغم قوة إيمانهم وعلمهم، أكثر من خوفه عليهم من فتنة الدجال، فكيف يُخاف على من هو دونهم في العلم واليقين.

الغرض من الرياء وسببه :

١- حب لذة المحمدة والمنزلة والجاه في قلوب الخلق .

٢- **معصية الله** : فربما أظهر التقوى والورع لكي يأتمنه الناس مثلًا على زكواتهم فيأخذ منها لنفسه بغير حق، فهذا جعل طاعة الله سلمًا إلى معصيته.

٣- **نيل حظوظ الدنيا والطمع فيما في أيدي الناس**: فربما أظهر العلم والعبادة ليحبه الناس ويعطوه من أموالهم أو يزوجوه من بناتهم، وهذا طلب متاع الدنيا بطاعة الله.

٤- **أن ينفي عن نفسه الكسل في العبادة أو ليَصِفُوه بالتدين**: كأن يصلى مع المجتهدين في التراويح، أو يصوم معهم الاثنين والخميس حتى ينسبوه إلى التدين ولا يلحقوه بالعوام، فهو يفر من ألم الذم إذا ظهر منه خلاف الطاعة، وهذا لو خلا بنفسه لم يفعل من تلك النوافل شيء.

من الشرك إرادة الإنسان الدنيا بعمله

❁ وهذا غير الرياء؛ فإن المرائي يطلب المدح ممن يرائي أمامهم، لكن طالب الدنيا لا يطلب مدح الناس، فهو لا يأبه بنظر الناس له، فعنده من الغنى والرياسة ما لا يحتاج معه من التصنع للناس، وهو في ذات الوقت لا يريد الله والدار الآخرة بعمله، لكنه يعلم من سنة الحياة أن من أنفق المال للفقراء اتقى بذلك حسدهم وحفظ ماله وعياله ودامت النعمة له، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار إنما هو طلب الدنيا.

❁ فعمله لأجل الدنيا، لا لأجل الله، لذلك هو حابط لا ثواب عليه وهو من الشرك.

❁ أما المؤمن الذي عمل البر يبتغى به وجه الله، فإن الله حتمًا سيجازيه به في الدنيا سعة رزق، وطول عمر، ويصرف عنه البلاء، ويرزقه ميتة سَوِية، ثم يثيبه الثواب الأعظم في الآخرة.

❁ من مشى في حوائج الناس وتعليم العلم ينبغي أن يبتغى بذلك ثواب الله فقط دون ابتغاء شكرٍ من أحد أو مكافأة أو حمد أو ثناء؛ فإن ذلك يحبط الأجر .

عامة الرياء وطلب الدنيا يكون في الأعمال الظاهرة

فإن العبادات نوعان : باطنة وهي عمل القلب، **وظاهرة** وهى العبادات القولية

والبدنية والمالية.

❁ وأعظم العبادات القولية حفظ القرآن وتعليمه للناس، وأعظم العبادات البدنية الجهاد في سبيل الله حتى الموت، وأعظم العبادات المالية إنفاق المال في أوجه البر، وأخبر النبي ﷺ أن من فعل هذه العبادات العظيمة يبتغى مدح الناس أو الدنيا كان أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.

قال ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**»[(١)].

❁ أما المجاهد يبتغي نصرة الدين والغنيمة معًا، فهذا ينقص من أجره بقدر طلبه للدنيا ويعطى من الأجر بقدر طلبه للآخرة.

❁ أما من جاهد يبتغي الغنيمة فقط أو من هاجر يبتغي الزواج فقط فهذا لا شيء له.

❁ أما الحاج يبتغي العبادة والتجارة فهذا يتم أجره إذا أتم نسكه؛ لأنه يتاجر في غير وقت العبادة الواجبة.

علاج الرياء

١ - أن **لا يسترسل** العبد مع هذا الوسواس الشيطاني.

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥).

٢- **ويستعيذ بالله من الشيطان .**

٣- **ويستحضر عظمة الله** في قلبه ليهون عليه أمر المخلوقين، فيعود إلى الإخلاص، فَيَسْلم له عمله ولا يضره ما حدث من وسواس الرياء.

❁ ثم ليحزم أمره ويعظم نظر الله إليه ويحتقر نظر المخلوقين، فإن عَلِمَ الله طاعته وقبلها منه فأي فائدة في علم غيره؟

❁ فإن حَمده الله على فعله هان عليه ذم الناس، فإنَّ ذم الناس له لن يُبَغضه إلى الله أبدًا.

❁ وليتذكر غضب الله على من طلب بطاعته ثوابًا من غيره.

٤- **أن يتفكر** الشخص في نفسه: كيف يطلب بطاعة الله **مراءاة عبدٍ ضعيف** لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؟

❁ وكيف **خدعه الشيطان** وأوهمه أن العباد يملكون من مصالحه أكثر مما يملك الله تعالى؟

❁ فكيف **يرفع قدر العبد** فوق قدر ربه العظيم؟

٥- وكيف **يستبدل ثواب الإخلاص** في الآخرة بطمع دنيوي في أناس غالبًا ما سيخذلونه؟

❁ وكيف يرضى بحبوط ثواب عمله مقابل رجاء كاذب وأمل فاسد في الناس؟ قد يخطئ وقد يصيب، فإن منعوه أصابته **الخيبة** ، وإن وعدوه أصابته **الذلة** لهم، فإن أعطوه أصابته **الإهانة** ومَنوا عليه.

علامات المخلِصين

١- المخلص **يخاف من الرياء** دائمًا، ولا يرى نفسه قد أتم إخلاصه أبدًا.

❁ فتجده يجمع نيته وإخلاصه **قبل العمل** ، ويظل وجلًا **أثناء العمل** ، خائفًا من

خطرة الرياء ، ثم يكون خائفًا **بعد العمل** ، شاكًّا في قبوله ، فإن هذا الخوف وهذا الشك في القبول من علامة الإخلاص التي يُرجى معها قبول العمل ويُرجى أن يُكَفَر بها خاطر الرياء إن ورد على العمل والعبد لا يعلم .

٢- المخلص **يتهم نفسه بالتقصير** دومًا ولا يرى نفسه قد وَفَّى حق الله عليه أبدًا.

٣- المخلص **يحرص على إخفاء حسناته** قدر الاستطاعة ، ويحرص كل الحرص على أن يكون له خبءٌ من عمل صالح لا يَطَّلع عليه أحدٌ أبدًا، فتجده في صلاته لصدره أزيزٌ من البكاء، قد بَلَّلَ لحيته بدموعه، ولا يشعر به من بجواره، وتجده إذا سمع الموعظة يخشع قلبه، فإذا سالت دموعه على خديه مسحها وقال ما أشد البرد، كذلك هو لا يطأطئ رأسه من الخشوع، وإنما الخشوع في القلب.

٤- من تم إخلاصه **لم يرَ المخلوقين**؛ لأن انشغاله بمراقبة ربه واستحضاره لعظمته قد حجب عن عينيه رؤية من دونه.

٥- المخلص **يستوي عنده مدح الناس وذمهم** على عمله، فثناء المخلوقين عليه ليس بشيء، فثناؤهم لا يؤثر في قلبه ولا يدفعه لتحسين العمل وهو لا يطلب مدحهم أصلًا.

٦- المخلص **لا تَقِلّ طاعته إذا فسد الناس** فهو ليس إمعة يسير تبعًا لهم، وإنما هو يتَّبع إمامًا واحدًا هو رسول الله ﷺ ، فلا يؤثر فيه إن كان من حوله على طاعة أو معصية.

٧- أصلح ما بينك وبين الله يصلح الله ما بينك وبين صالحي عباده ويصلح لك أهلك وذريتك، قال تعالى: ﴿**وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ**﴾ [الأنبياء:٩٠].

ترك العبادة خوفًا من الرياء

❁ هذا من أكبر الخطأ وموافقة للشيطان وتركٌ للخير .

ـ قال الفضيل بن العياض: «**ترك العمل من أجل الناس هو رياء، والعمل من**

أجل الناس هو الشرك.»[1]

❁ فمن وجد في نفسه نشاطًا إلى الطاعة فلا يتركها، ثم ليدفع خاطر الرياء إذا وَرَدَ عليه، ويُلزم قلبه الحياء من الله إذا وسوس إليه الشيطان أن يستبدل رضاه برضا المخلوقين.

إظهار العمل

❁ إن الله أمر أنبياءه بإظهار العمل حتى يقتدي بهم الناس، فمن يظن أنه في محل القدوة ويُقتدى بعمله فليحذوا حذوهم.

❁ ولكن ليراقب العبدُ قلبه، فربما يُقتدى به فعلًا لكن قد يدخل قلبه من الرياء الخفي ما يجعله يشتهى التجمل بالعمل لكي يُحمد عليه، فليحذر خداع نفسه، وليؤثر السلامة، والسلامة في إخفاء عمله، والسلامة لا يعدلها شيء.

❁ قال الذهبي: «ما صدق عبدٌ أحب الشهرة».

❁ وقد يتحدث بالعمل بعد الفراغ منه ليرغب الناس فيه، ولكن ليحذر أي زيادة أو مبالغة في وصف العمل، ولا يجترئ على ذلك إلا إذا شعر من قلبه قوة على الإخلاص، ولا يقدم على ذلك إلا إذا صغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم، ومن رحمة الله أن التحدث عن العبادة الماضية لا يفسدها بعد الفراغ منها.

❁ وإن المخلص يخاف من الرياء الخفي، فيجتهد في إخفاء عمله الصالح أشد من اجتهاده في إخفاء سيئاته رجاء أن يخلص عمله من الرياء فينال حسن الجزاء يوم القيامة.

❁ فهذا قد تظهر بعض طاعته ثم يُسَرُّ بها ولكن سرورًا غير مذموم؛ لأنه يستدل بإظهار عمله على حسن صنيع الله به الذي أظهر الجميل وستر القبيح، فهو يفرح بحسن نظر الله له، لا بحمد الناس له.

❁ وربما يقتدي الناس به فيتضاعف أجره، فيأخذ مثل أجورهم ولا ينقص من

---

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٩٥).

أجورهم شيئًا، فهو يفرح برؤية الناس يطيعون الله مثله، وعلامة إخلاص هذا أن تكون فرحته لإقبال الناس على الطاعة سواءً كان هو السبب أم غيره كان السبب، فتكون فرحته لاجتهاد الناس في الطاعة لا لثنائهم عليه، وتزداد فرحته بثواب الله إذا كان هو السبب في طاعتهم.

ما يتعلق بالرياء من حب المدح وكره الذم

سبب حب المدح :

١ - شعور نفس الممدوح بكمالها ، وهذا منشأ كل فساد .

٢ - إحساس الممدوح بأنه يملك قلب المادح الذي يمدحه، وهذا يغري الممدوح أن يستخدم المادح فيما يهوى.

كراهية الذم :

❁ فإن الناس تكره من يذمهم وربما كان في الذم النجاة .

ولذلك يجب أن يتفكر قلبك في هذه الأشياء إذا ذمك أحد .

١ - من يذمك وهو **صادق يرجو النصح** لك، فهذا قد أهدى إليك عيبك، فيجب أن تفرح به، وتنشغل بإزالة الصفة المذمومة، وإن كراهية هذا الذم من الجهل بما يُنتفع به.

٢ - أما إن كان صادقًا **وقصده الفضيحة** لك، فإنما قد نبهك لمساوئ الأخلاق المهلكة، وإصلاح العيوب من أسباب السعادة، والإنسان لا يعرف عيبه إلا من قول عدوه، فكلامه نعمَة عليك وجناية منه على دين نفسه، فلا تغضب من شيء انتفعت به أنت وتضرر به هو.

٣ - أما إن كنت **بريئًا** من هذا الذم:

أ ـ قد تكون بريئًا من هذا العيب، لكن هناك عيوبًا أخرى فيك قد سترها الله

عليك، فاشكر الله الذي لم يُطلعه عليها.

ب ـ من اغتابك فقد أهدى إليك حسناته، ومن مدحك فقد قصم ظهرك، فانظر بأيهما يحق لك أن تفرح بهدية الحسنات أم بقصم الظهر؟

ج ـ هذا المسكين جَنَيَ على نفسه وتعرض لعقاب الله، فهذا يستحق أن ترثى لحاله البائسة، لا أن تغضب عليه.

❁ وعمومًا فإنك إن استغنيت عن أحد فإن ذمه لا يؤثر فيك ، **وإنّ حُزنك بذمه دليل افتقارك إليه،** فدعك منه وافتقر إلى الغني الحميدُ، فهو كافيك عن كل من هو دونه.

علاج حب المدح وكره الذم

❁ العلاج الصحيح مبني على التشخيص الصحيح للمرض :

ـ فإن السبب الذي جعل الممدوح يحب المدح ويكره الذم هو أن الممدوح يشعره بكمال نفسه والشعور بكمال النفس يهلك صاحبه.

ولعلاج ذلك يجب أن يتفكر الممدوح في الصفة التي مُدح من أجلها :

١ ـ فلو كانت **صفة دنيوية** فانية مثل المال أو جاه المنصب فإنها لا تستحق المدح؛ لأن هذه الصفة إلى زوال، والدنيا كلها إلى فناء، وهو نفسه لا يدرى متى يلقى ملك الموت، **فالفرح بالمدح على الدنيا من قلة العقل .**

٢ ـ وإن كانت الصفة التي يُمدح من أجلها هي العلم الشرعي **ومراتب الدين** مما يستحق المدح فعلًا، فإنه **لا يدرى ما يُختم له به،** وهل سيموت علي هذا العمل الصالح أم يتحول قلبه، فيجب أن **يكون على وَجَلٍ لا على فرح** .

٣ ـ وإن كانت الصفة التي **يُمدح بها كذبًا ليست فيه** ، فإن فرحه بالمدح على ما ليس فيه من علامات الجنون.

٤ ـ وإن كان سبب المدح هو **احتياج المادح للممدوح**، فإن صاحب العقل الرشيد يغمه ذلك ويكرهه ويغضب له، ويدفعه ذلك لأن يكره دنو نفس المادح، ثم يرجع إلى نفسه هو، يفتش فيها فيرى أسباب الذم أكثر من أسباب المدح؛ لأن المادح لا يعلم إلا ظاهره، ولو علم شيئًا من باطنه الذي لا يعلمه إلا الله لذمه، بل وذمه كل الخلق، بل ولما استطاع أن يخرج إلى الجمع والجماعات من حيائه إذا أطلع الناس على شيء من سريرته.

مثال لحب المدح ومثال لكراهية الذم:

حب المدح : إن الذي منع أبو جهل من الإسلام هو طلب التزين في قلوب الخلق فهو أراد أن تكون النبوة لنفسه حتى يعلو بها على الناس ويكون له قدر في قلوبهم، فأما إذ أصبح غيره نبي فإنه لن يؤمن به، غيرةً منه وحسدًا له.

كره الذم : والذي منع أبو طالب من الإسلام هو خوفه مذمة الناس أمثال أبو جهل، فخاف أن يذموه إذا أسلم؛ لأنه بذلك يحتقر آبائه بترك دينهم، ولو كان يعظمهم لما ترك دينهم، فقد قال لرسول الله ﷺ عند موته: «**لَوْلاَ أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ يَقُولُونَ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الجَزَعُ لأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ**»[1]، يقصد شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله التي يقر بها عين رسول الله ﷺ.

إرادة العلو

وهي من الإرادات الفاسدة، وهي آفة أهل الدنيا وأهل الدين، وهي طلب المدح والقدر في قلوب الناس.

١ - **أهل الدنيا:** فهم يحبون أن يوصفوا بصفات الدنيا، فيقال لهم: الملك والرئيس والوزير والغني وصاحب الترف في الثياب والطعام والمسكن والمركب، فهم

---

(١) رواه مسلم (٢٥).

يتسابقون فيما يجمعونه من زهرة الدنيا ويحبون أن يرى الناس ما يجمعونه منها، فإن فرعون لم يكن يريد إلا أن يبصر الناس ملكه وغناه والأنهار التي تجري من تحته، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف:٥١].

٢- **أهل الدين:** وهم يحبون أن يوصفوا بصفات الدين، فيقال لهم: العالم أو الشيخ أو الداعية أو قارئ القرآن أو المجاهد الشجاع أو المحسن الكريم، وهؤلاء أول من تُسعر بهم النار وهم الذين يطلبون الدنيا بالدين، ويريدون بالأعمال الصالحة عرض الدنيا الزائل.

● فمنهم من يحب أن يعظمه الناس، قال ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**»(١).

● ومنهم من يحب ذلك دون أن يأمر به، وهذا يزل به إلى دركات العجب ومنزلة الكبر عياذًا بالله.

● وإن سعيه لتعظيمهم له إنما سببه نفسه الدنيئة التي رضيت بالمخلوق دون الخالق.

● وإن بعض أهل الفضل ليكون متجردًا من طلب التعظيم، لكنه يعتاد ذلك من الناس ويشق عليه أن يتركوا تعظيمه أحيانًا، كأن يخاطبوه باسمه دون ألقاب، أنسي هذا أن عامة نداء الصحابة رضوان الله عليهم لبعضهم البعض بالأسماء والكُنَى دون الألقاب؟ وإنما كانت الألقاب لأمير المؤمنين ونحوه فقط.

● وقد يُظهر بعض التجار شيئًا من الأعمال الصالحة أو يتشبه بهيئة الصالحين لكي يثق الناس به ويقبلوا على الشراء منه لأنه متدين، وهذا يجعل الدين سُلمًا إلى الدنيا.

فبئس ما صنع، وبئس ما يجد يوم القيامة.

(١) رواه الترمذي (٢٧٥٥)، وأبو داود (٥٢٢٩)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٤٦٩٩).

٤- التوبة

❁ التوبة هي ترك المعصية والندم عليها والعزم على عدم العودة إليها.

❁ والتوبة هي العودة إلى الله، والذي يدفع إلى التوبة هـو :

١ – خوف العقاب على الذنب.

٢ – وخوف مقام الرب.

٣ – والشوق إلى الله وطاعته.

التوبة أولها عمل قلبي، قال ﷺ : «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**»(١)، والندم من أعمال القلوب؛ لأنه يحتاج بعد ذلك إلى الإقلاع عن الذنب الذي يفعله.

اعلم أن الذنوب حجاب عن المحبوب.

❁ ومن عقوبة المعصية أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة، أو تقطعه عن السير تمامًا، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة، هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه، فالذنب يحجب الواصل ويقطع الطريق على السائر إلى الله، والقلب إنما يسير إلى الله إذا كان سليمًا، فإذا مرض بالذنوب ضعفت قوته، فإذا تكاثرت عليه الذنوب زالت القوة وانقطع عن الله انقطاعًا يَبْعُد تداركه.

❁ **والذنوب كلها جهالات،** والعاصي جاهل حين عمل الذنب، والعاصي يُرفع عنه لقب الإيمان حين فعله للذنب، فلا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن.

❁ وكل مرتكب لمعصية زجر الله عنها فإنما أغواه إبليس، ولم يستثنى من الغواية

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٥٢)، وأحمد (٣٥٥٨)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٣٦٣).

والجهالة إلا عباده المخلصين، قال تعالى حاكيًا عن إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]

❁ واعلم أن الله ما خلق النار إلا لتمحيص الشرك والذنوب.

❁ وإن الله قسم متبعي إبليس في المعاصي إلى سبعة أجزاء هي عدد أبواب جهنم، وجعل لكل باب منهم جزء معلوم.

أهمية التوبة

١ – التوبة **أول** طريق الهداية، وينبغي أن تكون أخره بل و**آخر** كل الطاعات.

❁ فقد أمر الله تعالى المعصوم خير خلقه ﷺ بالتوبة بعد إتمام أعظم مهمة وهي إبلاغ الرسالة والوحي إلى الناس، قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [سورة النصر]

٢ – علق الله الفلاح على التوبة، قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]

فإن الله لم يطلب التوبة من الفاسقين بل طلبها من المؤمنين فإنه تعالى قال: ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

ولم يقل أيها المذنبون أو أيها الفاسقون، فهذا دليل أن المؤمنين يحتاجون التوبة على الدوام لما يرونه من نقص أعمالهم.

٣ – فإن الناس فريقين **تائب مفلح، أو ظالم مفسد**، قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١]

❁ **ما أنزل الله الكتب ولا أرسل الرسل إلا لدعوة الناس للتوبة من الشرك والكفر والذنوب.**

والله دعا كل عباده إلى التوبة

١ـ فدعا إليها من قال: أنا ربكم الأعلى، وهو فرعون.

٢ ـ ودعا إليها من قال أن المسيح هو الله أو هو ثالث ثلاثة، وهم النصارى.

٣ ـ ودعا إليها من قال: أن يد الله مغلولة، وقالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، وهم اليهود.

٤ـ ودعا إليها كل المشركين.

٥ ـ ودعا إليها المنافقين قاطبة.

٦ ـ ودعا إليها من كتم شيئًا مما أنزل من البينات والهدى.

٧ ـ ودعا إليها أصحاب الكبائر وكل المسرفين بالذنوب.

وتجب التوبة من :

١- الكبائر ٢- والصغائر ٣- والغفلات.

١ ـ الكبائر :

❁ والكبائر هي كل ذنب توعد الله عليه بالنار أو بالعذاب أو باللعنة أو بغضبه أو نفى الإيمان عن فاعله أو تبرأ منه رسول الله ﷺ أو قال : ليس منَّا من فعل كذا.

❁ والكبائر ليست سبعين فقط وإنما عددها يقترب من السبعمائة.

❁ غير أنه **لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار.**

ومن الكبائر : الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس بغير حق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والفرار يوم الجهاد، واتهام النساء الصالحات بالفجور، والزنا، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وشهادة الباطل يأكل بها حق غيره.

٢ ـ الصغائر :

❁ إذا كانت الكبائر كسيل منحدر، فإن الصغائر كقطرات ماء متوالية تقع على حجر، فلابد أن تؤثر فيه.

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخيرٌ لنفسك عصيانها

من الأسباب التي تعظم بها الصغائر :

١ ـ أن يستصغر الذنب، فكلما استعظم العبد الذنب صغر عند الله، وكلما استصغره عظم عند الله، وإنما يستعظم المؤمن الذنب لعلمه بجلال الله، فإذا نظر إلى عظمة من عصى رأى الصغيرة كبيرة، فالمؤمن يرى ذنبه كالجبل يكاد أن يقع فوقه، والمنافق يرى الذنب كذباب وقف على أنفه فأطاره.

قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور : ١٥]

واحذر كما شيء فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقـــرن صغـــيرةً إن الجبال من الحصى

٢ ـ أن يفرح بالذنب.

٣ ـ أن يجاهر بالذنب ويفضح نفسه به بعد ما يأتيه.

٤ ـ أن يكون المذنب عالمًا يُقتدي به، فكما تتضاعف حسنات العالم إذا اتبعه الناس على الخير، كذلك تتضاعف سيئاته إذا اتبعوه على الذنوب.

٣ ـ الغفلات :

❁ من كانت عنده جوهرة نفيسة وضاعت منه عَظُم حزنه عليها، فإن كان ضياعها سبب غفلته اشتد بكاؤه عليها.

❁ واعلم أن كل نَفَسٍ من أنفاسك جوهرة هي أغلى من الجواهر، وإذا خرج النَفَس ضاع إلى الأبد، ولا يُسمح لك باسترداده واستدراكه، وإنما تُعطى غيره، فإن أضعته كذلك

لحق بالسابق، فإن استعملته في الطاعة أمكن أن يوصلك إلى سعادة الأبد في الجنة، فأي سعادة أفضل من سعادة الجنة؟ وأي جوهرة أغلى من ساعات عمرك التي توصلك إلى الجنة.

❁ فأي ربح إن عَمَّرتها بالطاعة، وأي خسارة إن أضعتها بالغفلة؟

❁ فإن كنت لا تبكي على مصيبة الغفلة فتلك مصيبة أكبر سببها الجهل.

❁ وإن كنت لا تدري فمصيبتك بالجهل عظيمة، وإن كنت تدري بمصيبتك بالإعراض عن الله أعظم.

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

توبة النبي المعصوم ﷺ

وقد كان النبي ﷺ يتوب في اليوم مائة مرة وهو المعصوم عن تعمد المعصية، وإنما كان يتوب من لحظة فتور وقلة في الذكر بالنسبة لغيرها من اللحظات، مع أنه ﷺ في كل أحواله أقرب إلى الله من كل خلقه، وربما كان يتوب من النسيان أو فعل خلاف الأولى كأن يفعل طاعة وكان يستطيع أن يفعل أكبر منها.

ـ فانظر : إن رسول الله ﷺ كان يستحضر في عقله مائة مرة أنه قد قصر في حق الله فيستغفر لذلك، فإن كان هذا هو حال المعصوم ﷺ فهل يظن ظان أنه ينجو إلا أن يقتل نفسه في العبادة.

قال ﷺ : «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى الله فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[(١)]، وقال ﷺ : «**إني لأَسْتَغْفِرُ الله فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[(٢)]، وقال ابن عمر رضي الله عنهما : كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٣).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٤٣٤)، وأبو داود (١٥١٦)، وابن ماجه (٣٨١٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة»

التوبة نية

❁ فمن ترك الذنب لكبر سنه، أو لضعف بدنه، أو لأنه لا يستطيع فعله، أو لأنه لا يملك المال الكافي لفعل الذنب، أو لأن الذنب يضر بصحته وينقل له الأمراض المعدية والفيروسات الفتاكة التي تصيبه إذا فعل الذنب، أو لأن الناس يكرهون نجاسات الذنوب، فكل هذه الأسباب ليست توبة.

❁ **إنما التوبة أن تترك الذنب ابتغاء وجه الله.**

❁ **المطلوب توبة القلب لا توبة اللسان فقط.**

- فقد كان ﷺ صادقًا في توبته يستحضرها بقلبه لا يكررها بلسانه فقط.
- فمن أستغفر أو تاب بلسانه ولم يستحضر ذلك بقلبه فتوبته ناقصة.
- ومثله من استغفر ولم يشهد أنه مقصر في حق الله فاستغفاره ناقص.
- وأبشع منه من استغفر وهو يفعل الذنب، أو مصرٌ عليه لم يعزم على تركه.

لابد من التوبة:

❁ لأنه حتى الذنوب التي أقلعت عنها لا تغتفر إلا إذا تبت منها، والذنوب التي نسيتها لم ينسها الله ﷻ، ولن تمحى من الصحائف إلا بالتوبة.

❁ **التوبة واجبة على الفور وعلى الدوام،** فإن الإنسان لا يخلو من معصية، وإن خلا منها فلا يخلو من الهم بالمعصية بالقلب، فإن خلا منها فلا يخلو من وسواس الشيطان بالمعصية، فإن خلا منها فلا يخلو من الغفلة أو التقصير في العمل الصالح أو في طلب العلم النافع من العلم بالله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكيفية عبادته وتوحيده.

❁ والتوبة من المعاصي فريضة ومما سواها فضيلة.

---

(٥٥٦).

❁ ومن قال لا أعصى فقد زكى نفسه، وتزكية النفس معصية، فإن الله لم يعصم إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

جـزاء التوبــة

❁ اعلم أن يوم قبول الله لتوبتك، هو خير يوم طلع عليك منذ ولدتك أمك، ومن إكرام الله لك أنه يبدل سيئاتك التي تبت منها حسنات إن كانت التوبة نصوحًا.

اتبع السيئة الحسنة تمحها :

١ ـ ينبغي للتائب أن ينظر في الفرائض وما فاته من الصلاة والصيام والزكاة والحج فيجتهد لتعويض ذلك.

٢ ـ ثم يُفتش من أول بلوغه عن كل معصية صدرت منه فيصنع لها حسنة تناسبها من نوعها وبقدرها، فيكفر عن سماع الأغاني بسماع القرآن، ويكفر عن شرب الخمر مثلًا بعمل سبيل ماء بارد للعطشان.

٣ ـ أما الذنوب في حق الناس :

أ ـ يرد مظالم الأموال من السرقة والخيانة إلى أصحابها أو ورثتهم، فإن لم يقدر على ردها جميعًا فليكثر من الحسنات يستعد بذلك لما سَيُأخذ منه يوم القصاص لأصحاب الحقوق؛ لأنه إذا لم تكفي حسناته سَتُوضع عليه من سيئاتهم.

ـ فإن لم يذكر ممن غصب المال فليتصدق به عن صاحبه فيكفي أن الله يذكره.

ب ـ فإن كانت الجناية في الوقوع في الأعراض والغيبة فليذكرهم بخير كما ذكرهم بالشر، ويحسن إليهم ويستحلهم من الذنب ما استطاع، بأن يطلب منهم أن يسامحوه من غير أن يُوِغَر قلوبهم، وعليه الاستكثار من الحسنات يستعد لسلبها منه لأنه لا ينجو إلا برجحانها.

ج ـ إن كان لا يتذكرهم فإنه يُكَفِّرَ عن إيذاء الناس بالإحسان إلى الضعفاء، ويكفر عن غصب المال بالصدقة من الحلال حتى يُخرج قدر الحرام من ماله.

د ـ إن كان قتل فليدفع الديَّة إلى ولي المقتول.

ولكن لا يفضح نفسه بغير ذلك من الذنوب التي عليها الحدود بل عليه أن يستر نفسه ويتوب توبة نصوحًا.

التوبة النصوح

❁ هي التوبة الشاملة من كل الذنوب، صغيرها وكبيرها، سرَّها وعلانيتها، ذنوب في حق النفس وذنوب في حق الخلق.

❁ وهي التوبة التي تنصح صاحبها فتمنعه كلما أراد أن يعود إلى المعصية.

❁ هي العزم الأكيد ألا يعود إلى ذنب أبدًا ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

المغفرة :

هي ستر الذنب في الدنيا والآخرة، والعفو عنه، وعدم المؤاخذة به.

الله يتودد لعباده رغم تبغضهم له بالذنوب..

❁ فالله لا يُقَنِّطَ المسرفين من رحمته، فهو يريد أن يتوب عليهم، وهو ينزل في ثلث الليل الأخير.

يقترب من عباده ليقرب إليهم التوبة، يجيب الدعاة، ويعطى السائلين، ويغفر للمستغفرين، ويقبل توبتهم، ويريدهم أن يسارعوا إلى مغفرته.

❁ وهو يحب التوابين ويفرح بتوبة عبده، ويتقرب إلى عبده أضعاف ما يتقرب عبده إليه.

❁ والله يتوب على عباده قبل توبتهم له ولولا ذلك لم يتوبوا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة : ١١٨]

❁ ورغم ذلك فالعبد ظلوم، فإن تَرْكَ التوبة ظلم، **وإن أكثر أهل النار من المسَوفين للتوبة**، فإن سوف جندٌ من جنود إبليس، وإن الذنوب تمنع الرزق، على عكس البر الذي يطيل في العمر ويمنع ميتة السوء.

سوء الخاتمة وأسبابها

❁ سوء الخاتمة سببه الإصرار على المعصية، والجور في الوصية، ولا يكون ذلك إلا إذا تسلط الشيطان على العبد عند الموت فَيَحُول بينه وبين التوبة من المعاصي، ويمنعه من الرجوع عن المظالم في الوصية.

❁ وإنما تسلط الشيطان ذو الكيد الضعيف على العبد لضعف قلبه وضعف إيمانه، ولم يُضْعِف إيمانه إلا ظلمة المعاصي المطفئة لنور الإيمان؛ فإن الإيمان يقوى بالطاعة ويضعف بالمعصية، وسبب المعاصي هو حب الدنيا، الذي دفعه حبها والركون إليها إلى فعل تلك المعاصي في سبيل تحصيل شهوات الدنيا.

❁ ثم إن ضعف إيمانه يؤدي إلى ضعف حبه لله، الذي يزداد ضعفه إذا جاءت سكرات الموت؛ لأنه يستشعر فراق الدنيا وأنه سيخسر كل ما جمعه من الدنيا وشهواتها فيزداد تسلط الشيطان عليه أكثر وأكثر عياذًا بالله، فطالما عصى الله ليجمع ذلك المال من الحرام، والآن سيتركه كله، فكيف يظن البر ممن طالت مخالفته له؟ فييأس من رحمة الله.

❁ فمن مات محبًا لله قدم عليه قدوم البعيد المحسن المشتاق، فيلقاه ربه بالفرح والسرور والإكرام والروح والريحان، ومن مات ضعيف الحب لله مصرًا على مخالفته، قَدِمَ على الله قدوم العبد الآبق على سيده، فيساق إليه قهرًا، فبماذا تظن أن يلقاه مولاه!!

❁ وإذا عرفت خطر سوء الخاتمة فاحذر أسبابها، وأَعِدَ ما يصلح لذلك من ترك البدع والمعاصي، وإياك وتسويف التوبة والاستعداد للموت فإن العمر قصير، وأنت لا تعرف متى ينتهي، **والإنسان يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه**.

ولسوء الخاتمة أسباب أخرى :

❁ سوء الخاتمة تكون بالشك أو الجحود وسبب ذلك البدع، وما كان يعتقده في الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق وخلاف عقيدة أهل السنة، فلما ينكشف الغطاء عند الموت ويظهر بطلان بدعته فإنه يظن بطلان كل معتقداته الأخرى ويرى عمله على أساسها كله ضائعًا؛ فيقنط من رحمة الله وييأس من روح الله.

❁ وسوء الخاتمة تكون في الاعتراض على الله في قضائه بالموت، فيسخط على قدر الله وفعله به ولا يرضى بقضائه.

التسويف

❁ من ترك المبادرة بالتوبة كان بين خطرين :

١- أن يأتيه المرض أو الموت فلا يجد متسعًا من الوقت للتوبة ومحو السيئات، فيقدم على الله بقلب غير سليم فلا ينجو.

٢- أن يَمد الله في أجله وهو مقيم على المعصية فتتراكم ظلمة المعاصي على قلبه حتى يصير **رانًا وطبعًا** لا يقبل المحو، فلا يقدر على التوبة.

فإن العبد إذا أذنب ذنبًا نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب واستغفر صَقُلَ قلبه ورجع كما كان وجاء نور الطاعة يمحو ظلمة وسواد المعصية.

❁ وإن لم يتب تراكمت ظلمة الشهوات وصارت **رانًا** وأصبح من الصعب صقلها.

❁ وإذا تجمع «**الران**» صار «**طبعًا**» فهل يقبل وقتها المحو؟

الإسراف

❁ فمن أسرف على نفسه في الذنوب وانغمس فيها وجد الشيطان فيه فريسة سهلة فأغواه بأنواع المعاصي، فكلما فرغ من معصية أتى مثلها، **فكلما اقتحم باب معصية**

فُتح له باب معصية أخرى.

❁ فيأتيه الشيطان بعد المعصية ليُقَنِطه من رحمة الله ويُيَأسه من روح الله ويبين له مدى خسرانه، وكيف أن سيئاته طغت على حسناته وأنه مهما فعل فلن يُغفر له.

❁ وهنا يكره العمل الصالح وتثقل عليه التوبة ويختل توحيده، فإن لم تدركه رحمة الله مات على الإصرار على المعاصي فهلك.

وهذا **يستوجب أن يُنَقَى بقدر سيئاته في النار** إلا أن :

١ – تدركه مشيئة الله فتخرجه منها.

٢ – و تدركه شفاعة الشافعين.

٣– أو يقام عليه الحد في الدنيا فلا يعذب بالكبيرة مرة ثانية في الآخرة.

٤ – أو يخفف عنه بما يصيبه من المصائب المكفرة للذنوب.

ولكن الله خاطب أمثال هؤلاء بقوله: ﴿**قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

لمـاذا يذنب العبد ؟

١ ـ لأن العقاب ليس بحاضر وإنما مُغيب في الآخرة، فلا يدفعه إلى الذنب إلا الجهل بنهاية أمره، **وعدم رؤيته تعجيل العقوبة في الدنيا.**

٢ ـ لأنه يقول أنه سيتوب بعد الذنب، فلا يدفعه إلى الذنب **إلا طول الأمل.**

ولكن يا صاحب الأمل الطويل :

أ ـ لعل أجلك ينتهي فلا يمهلك الله حتى تتوب.

ب ـ وإن أمهلك الله فربما لا تقدر على التوبة أو لا تُوفَقَ لها.

فمثل هذا كمن ذهب يقتلع شجرة فوجدها لا تنقلع إلا بمشقة فقال أؤخرها سنة، وما علم أن الشجرة كلما بقيت زاد رسوخها، وأنه كلما طال عمره ازداد ضعفه.

فكلما أخر التوبة كلما ازداد تعلقه بالمعصية والفتنة بها، وكلما صَعُب عليه تركها والبعد عنها.

٣ ـ ولأنه يرجو عفو الله ولا يدفعه إلى ذلك إلا **أماني الغرور**، فالله يمكن أن يعفو، ولكن الأولى أن يستعد ليوم المعاد، ومثله كمثل رجل أنفق ماله كله وترك عياله فقراء وانتظر أن يرزقه الله كنزًا في الصحراء، وهذا ممكن، إلا أن هذا الرجل يسميه الناس : الأحمق.

أنقض عقد الإصرار

❁ فيجدر بالمؤمن ألا يصر على المعصية، ويتوب مباشرةً بعدها قبل أن تكتبها الملائكة، ولا يعقد النية على المعصية في المستقبل، ينوى أن يفعل غدًا من المعاصي كذا وكذا.

قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة:٥].

علاج الإصرار على المعاصي

❁ سبب الإصرار هو الغفلة والشهوة، **والغفلة** لابد أن يبطلها **بالعلم**، **والشهوة** لا بد أن يطفئها **بالصبر**، وهذا المرض موطنه القلب، وعلاجه عند أطبائه وهم العلماء.

علاج الشهوة :

❁ الشهوة علاجها **الصبر** عنها، ولا يدوم الصبر إلا **بالخوف**، ولا يتحقق الخوف إلا **بالعلم** العلم بعظمة من تعصيه، والعلم بشده الموقف بين يديه.

❁ وأول تحصيل العلم، حضور مجالس العلم، فيتعلم فيها وعيد الله لأصحاب المعاصي، فيخاف أن يلحقه العقاب فيسهل عليه الصبر.

وأول التوبة العلم

❁ولا تتم التوبة إلا **بالعلم والندم والعزم** : العلم بالذنب، والندم على الذنب، والعزم على عدم العودة إلى الذنب، فإن لم يعلم أن الذنب هو سبب البعد عن الرب لم يندم على الذنب ولم يتوجع على سلوك طريق البعد، وإذا لم يتوجع لم يرجع.

❁ فيصبح **العلم علاج ذلك جميعًا**، وتوفيق الله من وراء ذلك.

مرض القلب بالمعاصي أشد من مرض البدن بالحمى

١- لأن مريض القلب لا يدرى أنه مريض، فهو لا يشتكى من وجع، بل هو يستلذ بالمعصية.

٢- لأن نهايته غير مُشاهدة في الدنيا، فمريض البدن نهايته الموت، لذلك يجتهد الناس في علاجه قبل فواته.

❁ أما مريض القلب فنهايته جهنم، ولا نرى هذه النهاية في الدنيا، لذلك قَلَّ الاجتهاد في اعتزال ذلك المريض والبعد عنه والابتعاد عن مرضه، وهو المعاصي.

٣- لأن الطبيب قد مَرِضَ في هذا الزمن، فإن الداء هو حب الدنيا والطبيب أصابته هذه العدوى فصعب عليه علاج غيره قبل علاج نفسه.

شروط التوبة

والتوبة مقبولة من كل الذنوب حتى الكفر والشرك إذا استكملت شروطها الأربعة.

١- **الندم** على المعصية، وهو ألم وحُرقة في القلب بعد الذنب، وهو توجع القلب عند شعوره بالبعد عن الرب، وهو حزن على التفريط في حق الله يدفع العين للدمع من خشية الله.

❁ فمن علم أن العقوبة نازلةٌ بعزيزٍ لديه اشتدت مصيبته، وأي عزيز أعز عليه من

نفسه؛ وأي عقوبة أشد من النار؟ فمن علم أنه سُيعذب بذنبه في النار اشتد ندمه على جهله، واشتدت حسرته على ضياع فرصته.

٢- **الإقلاع** عن الذنب في الحاضر.

« فمن أكثر من الاستغفار ولم يقلع عن الذنب فإنما يغش نفسه وهو ليس بتائب. »

٣- **العزم على عدم العودة** إلى الذنب في المستقبل.

❁ وهذا أصعبها وهو الذي يحتاج إلى عزيمة كبيرة، ولتستعين على ذلك بشيئين :

أ - بدعاء الله عند التوبة، والإلحاح عليه، واللجوء إلى الله، وشدة الافتقار إليه أن يرزقك توبة نصوحًا.

ب- وكذلك بصحبة الصالحين، فإنهم يذكرونك بالله وينافسونك في الطاعة والإقبال على الله، ورؤيتهم تذكرك بالله، فدعك وأصحاب السوء وأرض السوء وأماكن السوء والمعاصي.

٤- **رد المظالم** للعباد إن كان الذنب في حق المخلوقين، فلا تُقْبَلُ التوبة إن لم ترد المال المغْتَصَبْ حتى لو بكيت الدهر كله، **فإن ظلم العباد ديوانٌ لا يترك الله منه شيئًا.**

❁ واعلم أن الذنب في حق النفس « بينك وبين الله » **أقرب إلى العفو**، والذنب في حق العبد **أقرب إلى المؤاخذة**، فالرب كريم والعبد شحيح.

• وإن التوبة من الشرك جعل الله لها شروطًا وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة حتى تتم لهم أخوة المؤمنين في الدين.

متى ترد التوبة

❁ باب التوبة مفتوح لكل البشر حتى تطلع الشمس من مغربها، ومفتوح للإنسان حتى يغرغر وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة حين يرى ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، وهنا لا تُقبل توبة التائب بعد ما أضاع زمن الإمهال.

٥ ـ التوكل

❁ **التوكل هو اعتماد القلب على الله ﷻ في تحصيل ما ينفعه في دينه ودنياه، ودفع ما يضره، وقطع الأمل في المخلوقين، ثم الثقة في قدرة الله على تحصيل ذلك، وفي حكمة الله البالغة وحسن عاقبته لعبده، بأنه سيُقَدِّر له ما ينفعه، ثم الرضا بقضاء الله لعبده في ذلك كله .**

التوكل هو كمال التفويض إلى الله :

التوكل هو كمال الطمأنينة بتدبير الله، وهو الوثوق في حكمته البالغة، وهو الرضا عن اختيار الله، وهو عدم تسخط قدره، فإن حدث ما تكره قلت : ﴿ **وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ** ﴾ [البقرة: ٢١٦].

أو قلت: ﴿**فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا** ﴾ [النساء:١٩].

❁ فمن كَمُل تفويضه لله استوى عنده الضيق والسعة، والفقر والغنى، والصحة والمرض ؛ لأن كل ذلك من قضاء الله، فرضي بجميع ذلك وحمد الله على كل قضائه.

– وكل ذلك من عمل القلب، **وهو لا ينافي عمل الجوارح** بدفع قَدَرِ الفقرِ بقَدَرِ السعي للرزق وبدفع قدر المرض بقدر التداوي.

التوكل هو اليقين :

❁ وهو شهود ملكوت الله وأنه هو المتصرف وحده في سماواته وأرضه، وأن مشيئته هي النافذة في كل ذرات الكون، فهو اليقين أن الأمر كله لله وحده، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فهو سبحانه وحده المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، الضار النافع.

❁ وهو شهود أن نواصي الخلق بيد الله، إن شاء قلّب قلوبهم عليك أو أذهب عقولهم عنك، أو قطع أفئدتهم فانقطع أثرهم وفعلهم.

التوكل هو حسن الظن بالله :

❁ فلابد أن تحسن الظن بالله حتى تتوكل عليه، فلابد أن تظن أنه يحفظك ويعطيك، وإنك لن تتوكل على من تسيء الظن به، فلابد أن تحسن الظن به حتى تفوّض الأمر إليه، ولابد أن تشهد رحمته، وتشهد أنه لا يخلف الميعاد وأنه أصدق قيلا.

❁ ومن حسن الظن بالله أنك إذا دعوته وتأخرت عليك الإجابة أن تقول: «لابد أن هذا هو الخير لي ولو كان في ما أطلبه خير لي لأعطاني إياه».

❁ وحسن الظن يورث الرضا بقضاء الله وتدبيره، وحسن الظن يجعلك توقن أن اختياره لك أحسن من تدبيرك لنفسك، فتنشغل بما يرضيه وتترك تدبير الأمور إليه سبحانه.

❁ ومن حسن الظن بالله يجعلك تثق برحمته لا بعملك، فقد كان النبيﷺ يقول : «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**» قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : «**وَلاَ أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»[1] . فكان لا يتوكل على عمله ولا يثق به ولا يعتمد عليه، بل كان يتوكل على الله ويثق برحمته ويحسن الظن به ويرجو أن يتقبل الله عمله، رغم أنه قد كمَّل العمل، وأتى بأفضل ما جاء به مخلوق ﷺ.

سوء الظن بالله :

وهو أن يدعو الله ويطلب منه أن يعينه على المعصية وهو يظن بذلك أنه يتوكل على الله، ومنهم من يتوكل على الله ليسرق أو لينال حرامًا.

لابد أن يكون المُتوكل عليه عظيمًا :

❁ قال تعالى : ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ** ﴾ [الفرقان: ٥٨].

❁ فسبب التوكل عليه أنه حي لا يموت ومن سواه يموتون، وأنه الآخر ليس بعده شيء، فمن توكل على غيره انقطع رجاؤه فيه بانقطاعه، وفنى اعتماده عليه بفنائه، وكيف ينفعه وأجله ليس بيده، ومن توكل على الله كفاه، وللبر هداه، وعن الناس أغناه.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

التوكل شرط الإيمان

❁ والتوكل على الله شرط إيمان العبد، فمن توكل عليه كفاه ومن توكل على غيره أخزاه، ومن توكل على غيره آمن بمن توكل عليه وكفر بالله.

❁ جعل الله التوكل شرط في الإيمان وركن فيه، قال تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

❁ فمن كان مؤمنًا فلابد أن يتوكل على الله، ومن لم يتوكل على الله تمامًا انتفى منه الإيمان تمامًا.

❁ ومن نقص توكله نقص إيمانه، وبالعكس صحيح : من اكتمل إيمانه فلابد أن يكتمل توكله.

حتى مجرد اللفظ

– فيمنع أن يقول الرجل لآخر: «توكلت على الله وعليك» بل لا يتوكل إلا على الله وحده، حتى قولهم: «توكلت على الله ثم عليك» فخطأ، بخلاف قوله: «ما شاء الله ثم شئت» ، فإن الله أثبت المشيئة للعبد، ولم يثبت التوكل إلا عليه سبحانه.

فضل التوكل

❁ فإن الله جعل التوكل قرين الهداية وقرين العبادة وقرين الإسلام وقرين الإيمان وقرين التقوى.

١- التوكل من الإيمان :

– قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٢]

❁ التوكل صفة لازمة للمؤمنين فهم يتوكلون على الله في كل أمور دينهم ودنياهم.

٢- إن الله يحب المتوكلين ويحب توكلهم عليه :

– قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٣- التوكل يضاعف ثواب العمل:

- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]، ثم قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال: ٣].

فذكر التوكل قبل الصلاة والزكاة في الآيات؛ لأنه إن سبقت نية التوكل على الله هذه العبادات الظاهرة من الصلاة و الزكاة تضاعف أجرها، فيتضاعف أجره إن ذهب يصلي متوكلاً على الله وإن عزم على الزكاة متوكلاً على الله.

٤- من حقق التوكل دخل الجنة بغير حساب؛ فقد أخبر النبي ﷺ أن من أمته سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فخاض الناس فيهم، فقال بعضهم: «لعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ»، وقال آخرون: «لعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئًا»، فخرج عليهم النبي ﷺ وقال: «**هُمُ الَّذِينَ لاَ يَرْقُونَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»[(١)].

أ- **فهم لا يرقون** بما لا يعرفون معناه فربما يكون فيه شرك، وإنما ينفعون إخوانهم بالرقى الشرعية ويدعون لهم، قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**»[(٢)].

ب- **وهم لا يسترقون**، يعني لا يطلبون الرقى من غيرهم من الصالحين أو غيرهم، **فإن قلوبهم من كمال تعلقها بالله لم تطلب النفع من سواه**، حتى وإن كان جائزًا، حتى إنهم لا يطلبون الدعاء الدنيوي من الصالحين، فقلوبهم لا ترى فاعلاً إلا الله ولا ترى بعده شيء.

- لكنهم يرقون أنفسهم ويطلبون من الله ويدعونه لأنفسهم لنيل خير الدنيا ودرجات الآخرة، وهذا لا ينافي التوكل، بل إنه من كمال التوكل ألّا يتعلق القلب إلا بالله.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).
(٢) رواه مسلم (٢١٩٩).

جـ- **ولا يتطيرون** فهم لا يتشاءمون ولا يتفاءلون بغير سبب شرعي؛ **لأن تعلق القلب بالمخلوقين من ضعف التوكل واليقين.**

د- **ولا يكتوون**؛ لأن الكي من أنواع التداوى المكروهة، والنبي ﷺ لم يكتو لكنه أذن في الكي وجعله آخر العلاج، وهذا لا ينفي أن تكون هناك أنواع كثيرة من الطب مباحة، وفعلها النبي ﷺ ولم ينهى عنها، وهي مباحة على الصحيح وليس من الأولى تركها.

٥- اللّه كافي من توكل عليه :

- من توكل على الله فلابد أن يحفظه الله، فهذا يعقوب عليه السلام قال لأبنائه أخوة يوسف عليه السلام حين أرادوا أن يلقوا أخاهم في البئر، وشعر أبوهم بمكرهم فلم يجد إلا التوكل على الله، فقال : ﴿ **فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ** ﴾ [يوسف:٦٤].

فكان حفظ الله ليوسف عليه السلام وهو بعيد عن أبيه يعقوب عليه السلام أتم وأعظم من حفظه له في وجود يعقوب عليه السلام إلى جواره.

- أما من لم يتوكل على الله فسيظل يحتاط لنفسه ويختار لها دون الالتزام بالشرع وسيهلك في أودية الدنيا؛ لأنه سيظن أنه لو التزم بالشرع سيضيع، وأن الله سيتركه، وأن عدوه سيدمره.

كيف يتحقق التوكل :

❁ **بالعلم** في صفات الله **واليقين** في وعد الله.

❁ ولا يتحقق إلا بعد أن يعلم العبد ويوقن أن الأمر كله لله وحده، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فهو وحده المعطي المانع وهو النافع الضار.

❁ فلا يملك القدرة التامة إلا هو، ولا يملك العلم التام إلا هو، ولا يعلم مصالح

عباده إلا هو، ولا يعلم كيف يَصِلون إليها إلا هو، ولا يقدر أن يوصلهم إليها إلا هو.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]

صدق التوكل ناتجٌ عن العلم بأسماء اللّه وصفاته:

فهو ناتج عن اليقين بصفات العظمة، وجلال الله، وصفات القدرة، وصفات العلم والسمع، وصفات بره بعباده ورحمته بهم، وصفات جوده وواسع عطائه وإكرامه لأوليائه، وصفات ملكه وإحكام تصرفه في خلقه، وحكمته البالغة وأنه ما خلق شيئًا عبثًا، وأنه سيجازي المحسن بالجنة وسيجازي المسيء بالنار، وأنه صادق الوعد، وأنه يملك نواصي عباده وقلوبهم يقلبها كيف يشاء.

علامة صدق التوكل

عدم الاطمئنان عند وجود الأسباب وعدم الجزع عند فقدانها، فالاطمئنان بالسبب والركون إليه من ضعف التوكل، وإنما ينبغي أن لا يطمئن قلبه إلا بمسبب الأسباب سبحانه.

❁ فسلم قلبك للوكيل وفوِّض أمرك لله ووقِّع عقد الوكالة وقل: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

❁ لذلك كانت **الاستخارة ودعاؤها من أعظم ما يحقق التوكل.**

❁ عندما يقول العبد: «**اللهم أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علَّام الغيوب. اللهم إن كان في هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله، فاقدره لي ويسره لي، وإن كان هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه، ثم اقسم لي الخير حيثما كان وأرضني به**»[(١)]، ففي هذا تمام التوكل على الله.

---

(١) رواه البخاري (١١٦٦، ٦٣٨٢، ٧٣٩٠).

فائدة التوكل

❁ فإذا استقر ذلك في قلب العبد **لم يلتفت إلى غير اللّه، ولم يرَ إلا قضاء اللّه وقدره** في تصريف قلوب عباده، فلا يتعلق قلبه بالأسباب وبمن هو دونه. فلا يرى أن النفع والضر يصله من المخلوقين، بل يرى أن الله هو الذي خلق العباد وأفعالهم، فلا يتعلق قلبه بغير الله.

❁ لذلك ترى المؤمن يزداد أمله ويشتد توكله كلما انقطعت الأسباب وضاقت السبل وبطلت الحيل.

اللّه يغار على قلوب عباده

❁ الله ﷻ يحب أن يتعلق قلب عبده به وحده، فإذا انشغلت قلوب أحبابه بغيره من أمور الدنيا والمباحات أخذ تلك الأشياء منهم حتى لا يصيروا ينشغلوا بغيره ـ سبحانه ـ ويتموا توكلهم عليه.

❁ فنبي الله إبراهيم عليه السلام حين تعلق قلبه بولده إسماعيل عليه السلام أمره الله بذبحه، فامتثل إبراهيم عليه السلام للأمر وتمَّ توكله فرد الله عليه ولده.

❁ ونبي الله يعقوب عليه السلام تعلق بحب ابنه يوسف عليه السلام جدًّا، فأخذه الله منه حتى تمَّ توكله، فرده الله إليه أكمل ما يكون الرجال.

الأخذ بالأسباب

❁ والمؤمن مع ذلك يبذل جهده في فعل الأسباب النافعة، ولا يعتقد أنها تنفع إلا بمشيئة الله.

❁ فترك الأخذ بالأسباب طعنٌ في الشرع، والاعتقاد في الأسباب طعن في التوحيد.

❁ **فلا ينبغي أن يسمي العبد عجزه توكلاً** « بأن لا يأخذ بالأسباب »، ولا توكله عجزًا، **وهذا هو التواكل.**

❁ والتوكل ذاته من أعظم الأسباب النافعة بل هو أنجحها.

❁ فإن التوكل هو الأخذ بالأسباب ثم الاعتماد على الله لتحقيق المطلوب.

❁ فالمتوكل يضع البذر في الأرض ثم يتوكل على الله في خلق الزرع، ومن لم يبذر البذر وانتظر أن يخلق الله النبات فمجنون قطعًا.

❁ والمتوكل يتزوج ويتوكل على الله في إنجاب الذرية، ومن توكل على الله في طلب الذرية ولم يتزوج فهذا لا عقل له.

❁ وترك التكسب ليس من التوكل.

❁ وشدة الأخذ بالأسباب لا تنافى التوكل، كمن يلبس الدرع في الحرب، وكمن يشد عقال البعير قبل أن يدخل المسجد ليصلى.

الأنبياء جميعًا أخذوا بالأسباب

فالأخذ بالأسباب واجب، والاعتقاد في الأسباب شرك

❁ فمن الأسباب ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، ومنها ما هو مباح.

١ - فالأنبياء تاجروا وعملوا وتكسبوا من عمل أيديهم، منهم التاجر وراعي الغنم والحداد والحائك والنجار، ولم يتركوا طلب الرزق وقالوا هذا توكل، فصحيح أن الرزق مكان تقديره في السماء، لكن مكان وقوعه وحصوله في الأرض، قال تعالى : ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات : ٢٢].

- **فلا يستطيع أحد أن يقطعه أو حتى يوصله لأنه في السماء.**

٢ - والنبي ﷺ حارب وعليه درعين؛ ليكون قدوة لنا، وهذا الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل.

٣- والنبي ﷺ عند الهجرة ذهب في عكس الاتجاه إلى الجنوب رغم أن المدينة شمال مكة ليذهب بعيدًا عن أعين المشركين، وجعل قطيعًا من الغنم يسير خلفه حتى يخفي آثار أقدامه ﷺ، رغم أن الله تعالى قادرٌ على أن يكفيه كل ذلك، ولم يفعل ذلك إلا ليعلمنا الأخذ بالأسباب، ومِلَاك ذلك أن يعتقد المسلم أن نجاته كانت بقدر الله ومشيئته، وإنما السبب كان وسيلة، والوسيلة لا تغني شيئًا بذاتها إلا أن يكون الله تعالى هو الذي قدر لها تأثيرها من النفع أو الضر.

❁ فالواجب على العبد هو الأخذ بالأسباب ليحصل على ثوابها، لكن لا يعتقد أن للأسباب تأثير في حدوث المقدور، وإنما يحدث بقدرة الله الغالبة ومشيئته النافذة لا بالأسباب.

ترك الأخذ بالأسباب طعن في الشرع :

❁ لأن سُنَّة النبي ﷺ هي الأخذ بالأسباب، وترك الأخذ بالأسباب هو ترك السُّنَّة.

❁ ومن ادعى ترك الأسباب وترك التكسب فدعواه ترك الأخذ بالأسباب باطلة، لأنه إذا جاءه الطعام أحتاج أن يرفعه إلى فمه ويمضغه، وهذا أخذ بالأسباب. فلم يترك بعضها ويفعل بعضها ؟ وما ذلك إلا لأنه ترك الصعب أو الشاق من الأسباب وأخذ السهل منها، وسبب ذلك هو الكسل، وليس التوكل.

❁ وهو عندما ادعى التوكل على الله وترك الأخذ بالأسباب إنما توكل على شخص آخر يأتيه بالرزق والصدقة، وهذا في الحقيقة توكل على غير الله.

التوكل على الله في طلب الرزق

❁ التوكل هو اليقين برزق الله، وإن من ضعف اليقين أن تذم الناس على ما لم يأتك الله، أو أن تحمدهم على رزق الله، فيتعلق قلبك بالأسباب وتنسى المسبب.

❁ واعلم أن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا كراهية كاره، ولن ينفعك في

ذلك اجتماع الناس لك، ولن يضرك اجتماعهم عليك وكراهيتهم لرزق الله لك، فتوجه إلى الله ولا تتملق هذا الغني أو تخاف من هذا الرئيس.

التوكل يزيد وينقص

❁ قال ﷺ : «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»[(١)].

❁ فمن الناس من يتوكل على الله حق توكله، ومنهم من توكله ناقص، لذلك فالتوكل يزيد وينقص.

❁ والطيور لا تدخر طعامًا في أعشاشها، فتبيت وتصبح جائعة ليس عندها شيء، فتغدوا طلبًا للرزق خماصًا جائعة، فترجع وتروح بطانًا شبعانة ممتلئة، فهي تنام مطمئنة رغم أنه ليس عندها شيء من الطعام، يعني ليس عندها سبب تعتمد عليه، لكن عندها حق التوكل الذي هو أعظم من كل الأسباب.

❁ وقد كان النبي ﷺ يدخر قوت سنة، ولكنه كان لا يمسكه، وكان ينفقه كله قبل أن تمر السنة حتى كان يأتيه الضيف ويقول «إني مجهود» يعني شديد الجوع والتعب، فيبعث إلى بيوت أزواجه كلهنَّ، فلا يجد شيئًا إلا الماء، حتى استضاف أبو طلحة وامرأته ذلك الرجل، فقد كان يمر الهلال ثم الهلال ثم الهلال ولا يوقد في بيوت النبي ﷺ نار، فلا يأكلون لحمًا ولا حتى خبزًا إلا ما كان من هذا التمر فقط، رغم أنه كان يدخر قوت سنة، لكنه كان ينفقه ﷺ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

❁ وعليه فمن ضعف التوكل سعي الناس الحثيث لتأمين المستقبل، يبذلون لذلك أعمارهم وأعراضهم ودينهم ولا يأتيهم إلا ما قُدِرَ لهم، وما كان ينبغي لهم إلا أن يجملوا في الطلب.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٣٧٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣١٠).

ويتفاوت العباد في مراتب التوكل تفاوتًا عظيمًا

❁ فمنهم من يتوكل على الله لتحصيل غِفَارة، ومنهم من يتوكل على الله لتحصيل إمارة، ومنهم من هِمَّته كِسرَتَين، ومنهم من هِمَّته قصرين.

وأعظم التوكل ما كان في أمر الآخرة

وأعظم التوكل على الله ما كان لصلاح دينه ودين غيره وهدايتهم، وزيادة إيمانهم وعلمهم، وما كان لنصرة الدين، وإعلاء كلمته وظهور الإسلام، ولإتمام الدعوة إلى الله، ولتحقيق الجهاد في سبيل الله، وأعلاه ما كان في أمر دخول الجنة والنجاة من النار، وأعظمه ما كان في دخول الفردوس الأعلى من الجنة، فإنه يعمل لذلك أعمالًا تليق بهذا المقام، ثم يتوكل على الله لتحصيل ذلك المراد من بلوغ أعلى الدرجات، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

❁ فأعظم التوكل ما كان **للثبات على الدين** حتى الممات، فقد كان هذا طلب الأنبياء، قال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقد كان نبينا محمد ﷺ يطلب الثبات على الدين وهو سيد الأولين والآخرين، فما بالكم بالمقصرين، قال ﷺ: «**اللهم مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْوبنا عَلَى طَاعَتِكَ**»[1].

ـ فسبحان مقلب القلوب الذي يقلب قلوب أعدائه ليصبحوا من إتباعه، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه ظل يحارب المسلمين عشرين سنة ثم قَلَّبَ الله قلبه لإتباع سيد المرسلين فانضم لركب المؤمنين، فلما صدق حبه لله وتوكله عليه رفعه الله فجعله سيفه الذي سلطه على الكافرين، فيا ويح أم خالد كيف ربح خالد وبم سينادى بعد وفاته حين تنقل روحه من سماء إلى سماء، سينادونه بأحب أسمائه إليه وإلى الله « سيف الله » فيا لفوز خالد حين يُنادى بهذا الاسم في السماء، وما ظنكم بالله حين يرد عليه سيفه، كيف يلقاه بأنواع الكرامة فوق ما يتمناه، فاللهم ثبت قلوبنا على طاعتك، واجعل خير عمرنا آخره، وخير أيامنا يوم نلقاك. آمين.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).

التوكل سلاح الأنبياء

❁ فالتوكل كان سلاح **إبراهيم** عليه السلام حين أُلقى في النار، والتوكل كان سلاح **إبراهيم** عليه السلام حين ترك ولده الوحيد الرضيع في صحراء لا زرع فيها ولا ماء ولا واقي من السباع، وكان سلاح **نوح** عليه السلام حين كفر به قومه، وسلاح **هود** عليه السلام حين عاداه قومه، وسلاح **يونس** عليه السلام حين بلعه الحوت، وسلاح **يوسف** عليه السلام حين ألقى في البئر، وسلاح **موسى** عليه السلام حين أدركه جيش فرعون، وسلاح نبينا **محمد** ﷺ حين كان في الغار، وسلاح أصحاب النبي محمد ﷺ حين اجتمع عليهم عدوهم.

١- هـود عليه السلام :

- فإن هود عليه السلام لما آذاه قومه توعدهم وقال لهم: ﴿**فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ**﴾ [هود: ٥٥]، يعني إني أتحداكم فاجتمعوا على إيذائي ولا تؤخروني ولا تعطوني أي مهلة، ثم قال: ﴿**إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم**﴾ [هود: ٥٦]، وما قال ذلك إلا لثقته بالله ﴿**مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا**﴾ [هود: ٥٦]، فهذا شهود أنه على الحق وأن الله هو الذي أمره بذلك، وأن الله يملك نواصي أعداءه وأنه لن يضيع رسوله مادام هو الذي أمره.

٢- موسى عليه السلام :

- إن التوكل الحق لا يظهر إلا في المواقف الشديدة، وإن الله يحب أن يرى صدق التوكل عليه من أوليائه فيبتليهم ليخرج أفضل ما عندهم، فيجازيهم عليه بما أعد لهم من كرامته، وما كانوا ليبلغوا تلك الدرجات لولا أن ثبتهم على طاعته قال تعالى: ﴿**لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا**﴾ [النور: ٣٨].

- فهؤلاء أصحاب موسى عليه السلام فروا من فرعون حتى بلغوا البحر، فانقطعت بهم الأسباب، وأيقنوا أن أمرهم إلى تباب، فالبحر أمامهم وجيوش فرعون خلفهم، فكل تلك الخيول الفارهة وكل تلك السيوف اللامعة وكل تلك العربات المتطورة،

وهم لا يملكون شيئا من هذا العتاد، وعلا صوت الأطفال بالصراخ والشيوخ بالأنين والعجائز بالعويل، وبلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنون.

– أما نبي الله موسى عليه السلام فقد كان في شأن مختلف، كان في طمأنينة تامة، وثقة بالله كاملة، حتى إذا بلغ الكرب منتهاه والأمر الصعب مداه قال أصحابه : ﴿ **إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾ [الشعراء: ٦١]، قال : ﴿ **قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فانفلق البحر ونجوا، فموسى عليه السلام كان يتحدث عن نفسه **ويوقن بنصر الله له هو**، ويشعر بالغربة حتى بين قومه بنو إسرائيل، فكان يشعر أنه في وادٍ وهم في وادٍ آخر فقال: ﴿**إِنَّ مَعِيَ رَبِّي** ﴾ [الشعراء:٦٢]، ولم يقل إن معنا ربنا، فهل كان يرى أن قومه لا يستحقون هذه المعية؟

٣- محمد ﷺ :

أما نبينا ﷺ لما أدركه الكفار هو وأبي بكر في الغار قال : ﴿ **لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة: ٤٠]

فموسى عليه السلام أثبت معية الله لنفسه ﴿ **قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [الشعراء : ٦٢]

ونبينا ﷺ أثبت معية الله لمن تبعه من أمته ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة : ٤٠]

٤- صدق توكل الصحابة رضي الله عنهم :

فإنهم لما كانوا في غزوة الأحزاب وجاءهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم وبلغ منهم الجوع والتعب وقلة النوم والنصب، وهددهم اليهود الأنذال في نسائهم بالعطب وهموا أن يغدروا بالحرمات ويهتكوا العرض ويلوثوا النسب، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت وبلغت القلوب الحناجر، قال الله عنهم: ﴿**وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب:٢٢]

فلم يفعل أصحاب محمد ﷺ فعل يهود ويأسوا من الله المعبود، بل ازدادوا إيمانًا وتسليمًا، فأعطاهم الرحمن قرة عين ويقينًا، فأمر الله جندًا واحدًا من جنده وهي الريح،

فعمت عيون الكافرين وذرت الرمال في وجوه الظالمين، وكفأت قدور الفاسقين، وقلعت خيام الخاسرين، وأنهت الحرب لصالح المسلمين، رغم أن الله تعالى قد أرسل جبريل عليه السلام في كتيبة هائلة من ملائكته وقد كان ملك واحدٌ من جنده قادرًا على أن يكفأ عليهم الأرض أو يصمهم بصيحة أو يحصبهم برمية، لكن الله أراد ما هو أفضل عاقبة من ذلك، أراد أن يمحص قلوب أحبابه ليظهر مكنونها من روائع الإيمان به، فيُحَصَّلوا في ذلك اليوم قدرًا من الحسنات تطيش به الكفَّات وتعلو به الدرجات، فإذا أدناهم منه في أعلى جنته جعل فضله السابق عليهم سببًا لنيل كرامته.

جزاء التوكل

❁ من كَمُلَ توكله دخل الجنة لأول وهلة وكان من السبعين ألف الأوائل الذين يدخلون الجنة بلا سابقة عذاب ولا مناقشة حساب.

❁ فتخيل نفسك في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، منهم أربعين سنة ينتظرون فصل القضاء، وبعد بدء الحساب يدخل المتوكلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، ينعمون على الأرائك في القصور مع الحور عشرات الآلاف من السنين، ولما يفرغ أهل المحشر من الحساب بعد، وإن كان هذا الجزاء والنعيم في هذه المدة من السنين والله كافيًا، فيا لفوز المجدين ويا لسعادة المشمرين ويا لنعيم المتوكلين.

❁ أما في الدنيا فإن الجزاء من جنس العمل، فمن صَدَق توكله على الله كان الله حسبه وكافيه فلو كادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل الله له من بيَنهَّن مخرجًا، وكفاه وأعطاه قبل أن يسأله، واستجاب له قبل أن يدعوه.

الفرق الضالة في التوكل

١- **القدري:** وهو الذي يدَّعى أن أفعاله تتم باختياره، وأن الله يعلمها حين يفعلها، فهذا لا يصح له توكل في أمر الدنيا ولا الآخرة ولا في أمر الهداية ولا في أمر الرزق؛ لأنه يرى نفسه الفاعل ولا يرى أن الله خلق فيه الفعل،فكيف يطلب المعونة أو

يتوكل على من لا يساعده فهو ينسب عبادته لنفسه لا لتوفيق الله له.

٢- **الجبري :** وهو الذي لا يرى لنفسه اختيارًا، ويرى الله هو الذي خلق فيه الطاعة والمعصية جبرًا، فهذا ليس له عبادة أصلًا؛ لأنه يرى أن الله هو الذي أجبره عليها وأنها ليست باختياره ولا من كسبه.

❁ والناجي من ذلك من حقق قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فاستعان بالله على طاعته وتوكل عليه لبلوغ جنته، ورأى أن فعله للطاعة من نعم الله عليه وتوفيق الله له، فكان وسطًا بين الغالي والجافي، وبين المُفَرِّط والمُفْرِط، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

أنواع التوكل

١- **التوكل الشركي :** أن يتوكل على أصحاب القبور والطواغيت في طلب النصر والرزق والشفاء وما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهذا شرك أكبر.

٢- **التوكل المحرم :** أن يتوكل على ذي سلطان في تحصيل ما يقدر عليه من متاع الدنيا أو دفع الأذى، وهذا لا يجوز؛ لأنه يعتمد بقلبه عليه، وهذا شرك أصغر.

٣- **التوكل الصحيح** هو : الاعتماد على الله بالقلب ورجائه والثقة فيه لتحقيق ما يرجوا الإنسان من جلب النفع ودفع الضُّرّر وتفويض الأمر إليه فيما يكون، فهو المتصرف في خلقه وحده ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

٤- **التوكيل** هو: أن يُوَكل من يستطيع أن يفعل له ما يريده، من مصالح الدنيا والآخرة، ثم يعتمد بقلبه على الله في تحصيله.

٦- الرجـاء

الرجاء في اللّه هو الطمع في إحسانه وعطائه والاستبشار والرغبة في جوده وفضله.

- فالمحسن يرجو ثواب ربه على إحسانه.
- والمذنب يرجو قبول توبته.
- وإن الله عند ظن عبده به، فليظن العبد به ما يشاء.

❁ ويجب أن يقترن ذلك مع بذل الجهد في الطاعة وحسن التوكل على الله أن يرزقك ثوابها.

❁ مع كونك ترى عملك ضعيفًا مليئًا بالنقص لا يستحق القبول، وهو مع ذلك ليس من كسبك بل من توفيق الله لك وهو الذي خلقه فيه، فكيف ترجو ثوابًا على شيء قد صنعه بك؟

❁ فينقطع الرجاء في عملك وتوجه كل الرجاء إلى كرمه ومنِّه.

قال ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: «**لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»[1].

أنواع الرجاء:

١ – هو رجاء ثواب الله.

٢ – ورجاء القرب منه.

٣ – ورجاء لقائه.

٤ – ورجاء النظر إلى وجهه.

٥ – ورجاء سماع خطابه.

٦ – ورجاء رضوانه، وهو أعلاها وغايتها وهو الذي يعطيه الله لأهل كرامته في الجنة،

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

يقول تعالى لأهل الجنة في الحديث القدسي: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ! وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(١).

حسن العمل قرين الرجاء

قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

فمن صدق رجاؤه حسن عمله، فهؤلاء المهاجرين المجاهدين، وليس فوق عملهم عمل، هم الذين يرجون رحمة الله، ليس العصاة البطالين المتكاسلين عن طاعة الله.

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾. [الأنبياء: ٩٠].

فلما صدقت رغبتهم في الله سارعوا في الخيرات، عكس حال المغرورين الذين طلبوا الدرجات وناموا عن الصلوات، وأضل منهم من انغمسوا في الشهوات وطلبوا من الله الرحمات.

التمني

هو طلب الدرجات العالية من الله مع الكسل عن الطاعة، وهو من صفات المنافقين.

❁ والرجاء لابد أن يتبعه اجتهاد في الطاعة؛ لأن الرجاء بدون عمل تمنٍ، والتمني مذموم.

قال تعالى: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ [الحديد: ١٤]، ويقول المتمني: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]، ويقول: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

ـ قال الحسن البصري : «كم من أناس خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، يقولون : نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل».

والرجاء مع المعصية وترك الطاعة غرور من الشيطان.

❁ فمثل الرجاء المقترن بالعمل الصالح، كمثل الزارع أتى إلى أرض طَيبة وبذر البذر وسقى الماء وانتظر حسن العاقبة والخير، فهذا انتظاره رجاءًا.

❁ ومثل الرجاء المقترن بالكسل، كمثل الزارع انتظر من الأرض الطيبة أن تنبت الزرع وحدها، وربما بذر البذر فقط بدون إتمام العمل بالسقاية، فهذا ليس رجاءًا وإنما **تمنى مذموم.**

❁ ومثل الرجاء المقترن بالمعاصي كمثل الزارع أتى إلى أرض خبيثة صحراء لا تقبل الماء ولا تنبت زرعًا وانتظر الحصاد، فهذا لا يسمى رجاءًا وإنما يسمى حمقًا وغرورًا.

اليـأس

هو انقطاع الرجاء والقنوط من رحمة الله، وسببه الإسراف في الذنوب والإحساس أن الله لن يغفر أبدًا، وعلاجه قول الله ﷻ : ﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر : ٥٣].

الرجاء عند الموت :

❁ لا يموت أحد إلا وهو يحسن الظن بالله، والرجاء عند نزول الموت أفضل من الخوف؛ لأن الخوف كالسوط الباعث على العمل، والمشرف على الموت لا يقدر على العمل، فلا يستفيد من الخوف، بل الرجاء في هذه الحالة يُقوي قلبه على ما سيقدم عليه من أهوال ويحببه إلى ربه.

❁ قال ﷺ : «**لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ بالله الظَّنَّ**»(١).

– يعني أن يظن أن الله يفعل به الخير، فيقبل الحسنات ويعفو عن السيئات ويجبر الزلات.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٧).

العمل والنِعَم

❁ فلو أن الله عَذَّب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، فالعبد لا يصلح أن يعامل ربه بالنِدِّية ويطالبه أن يدخله الجنة بعمله؛ لأن عبادة عمره كله لا تصلح أن تكون ثمنًا أو عوضًا ولو لنعمة واحدة من نعم الله عليه.

❁ فإن عامله الله بهذا الميزان غلبت نعمُة واحدةٌ كل طاعات عمره ولم يبق في الميزان ما يستحق به الجنة، بل بقيت كل نعم الله التي لم يجازيها العبد بشيء، فهل ترى مثل هذا يستحق الجنة؟

❁ حتى رسول الله ﷺ لم يدرِ ما يفعل الله به غدًا إلى أن أخبره الوحي بمنزلته يوم القيامة.

ليس العجب من عبد يتودد إلى سيده
بل العجب من ملكٍ يتودد إلى عبيده

(١) اللّه ينزل لعباده

❁ إذا كان ثلث الليل الأخير، حين تكثر المعاصي، ينزل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ إلى السماء الدنيا قبل أن يصعد عملهم إليه، نزولًا يليق بجلاله، يغفر للمستغفرين ويتوب على التائبين ويجيب الداعين.

❁ فهو تعالى لا ينتظر عباده أن يأتوه بل هو الذي يأتي و يسبقهم إليهم.

❁ فييسر لهم التوبة قبل أن تُكتب السيئات في صحائف الأعمال، ويستجيب لطالبي أنواع البر ويعينهم عليه حتى تصعد إليه أنواع الصالحات بدل السيئات.

❁ فما أرحمه من إله لا يحب أن يعذب عباده، بل يحب أن يحسنوا ليحسن إليهم.

(٢) اللّه لا يُعجّل العقوبة

❁ فإذا همَّ العبد بمعصية فإن ملك السيئات لا يكتبها، فإذا تركها العبد خشيةً لله كتبها الملك حسنة كاملة.

❁ فإذا فعلها العبد لم يكتبها ملك السيئات لمدة ساعة، فربما يتوب العبد خلال

الساعة، فإذا لم يتب العبد كتبها الملك سيئة واحدة.

❁ لكن إذا همَّ بحسنة كتبها ملك الحسنات فورًا، فإذا فعلها العبد كتبها الملك عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

(٣) اللّه يريد أن يتوب علينا ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٧]

قال ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقِرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً ثُمَّ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**»[(١)].

❁ فهو يقبل التوبة من عباده ويفرح بتوبة التائبين، ومن تقرب إليه شبرًا تقرب الله إليه ذراعًا، ومن تقرب إليه ذراعًا تقرب الله إليه باعًا، ومن أتاه يمشى أتاه الله تعالى هرولة.

(٤) اللّه يضاعف ثواب العمل

❁ فالسيئة عنده تكتب واحدة، وهى أسرع شيء محوًا، والحسنة تكتب عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

❁ فمن عمل عشر سيئات تكتب عشرة فقط، وربما يمحى شيء منها، ومن عمل حسنة واحدة تكتب أقل شيء عشر حسنات، فكأنما من عمل سيئاتٍ عشرة أضعاف الحسنات لا ينقطع أمله في دخول الجنة.

❁ ولكن الويل كل **الويل لمن غلبت آحاده عشراته**، يعني كثرت سيئاته التي يجازى عنها بالآحاد على حسناته التي يجازى عنها بالعشرات. فهل يهلك بعد ذلك على الله إلا هالك !!

(٥) اللّه تعالى يعطي ثوابًا عظيمًا على عمل قليل

❁ فصيام يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين، وصيام يوم عاشوراء يكفر ذنوب سنة،

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

والعمرة إلى العمرة تكفر ما بينهما، والحج المبرور يكفر ذنوب العبد كلها في عمره كله، وما كل هذه المنح ومكفرات الذنوب من الله إلا لأنه يريد أن يدخل عباده الجنة.

فهل يدخل النار بعد ذلك إلا من كان أهلًا لذلك!!

(٦) اللّه يريد بعباده اليسر ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]

❁ ولا يكلفهم من الأعمال إلا ما يستطيعون، ثم يسقط عنهم التكاليف بالمرض والعذر وبعدم الاستطاعة.

❁ بل يعطيهم ثواب العمل الصالح كاملًا إذا عزموا عليه ومنعهم مانع من فعله.

قال ﷺ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «**وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[(١)].

(٧) أسمائه الحسنى تدل على رحمته

❁ فهو أخبر عن نفسه تعالى أنه الرحمن الرحيم الغفور التواب العفو الودود الكريم الشكور، فكل هذه الصفات وغيرها تدل على أنه تعالى يريد أن يرحم عباده.

(٨) اللّه أظهر غناه ليُطَمِّعنا فيه

❁ فهو أخبر عن نفسه تعالى فقال: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:٢٨٤]، من ثروات وكنوز لكي يطمع فيه السائلين.

❁ فأنت ترى أصحاب الأموال في الدنيا يخفون أموالهم ويخبئون غناهم ويردون السائلين، أما رب العالمين فإنه أظهر غناه وعَدَّدَ ملكه لكي يطمعهم في سؤاله، ونزل بنفسه للسائلين قبل أن يسألوه، واقترب من الداعين قبل أن يدعوه، وأحب منهم الدعاء والسؤال وأعطاهم ما سألوا.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٢٣)، ومسلم (١٩١١).

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

❁ ثم زادهم من فضله وأخبرهم أن دعاءهم نفسه من أعظم العبادات التي سيعطيهم عليها ثوابًا عظيمًا.

قال ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»(١)

❁ وهو تعالى يحب الملحين في المسألة؛ فهو الغنى الحميد سبحانه. فيا لفوز الملحين عليه، فازوا بثواب دعاء الله، وفازوا بإجابة دعائهم.

❁ وهو سبحانه يستحي من عبده إذا دعاه ألا يعطيه ويرد يديه فارغتين.

(٩) حتى ابتلاؤه كله رحمة

❁ فالبلاء ظاهره الشقاء لكن حقيقته وعاقبته الرحمة.

❁ فإن الله يبتلي عبده ليكفر عنه خطيئةً عملها، أو ليرفعه درجةً في الجنة، أو ليستخرج منه معاني الصبر على البلاء فيرتفع بالصبر حتى يدخل الجنة بغير حساب.

❁ فإن الصابر إذا صبر على البلاء فإنه لا يعرف متى ينتهي البلاء، وبالتالي لا يعرف حدًا لصبره، والجزاء من جنس العمل، فيكون ثوابه من الله تعالى لا حد له ولا نهاية له « بغير حساب » لأنه أثناء البلاء لم يكن يعرف حدًا لنهاية صبره.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

❁ وقد يبتلي الله عبده ليفيق من معصية هو مقيمٌ عليها ويتقوى بنعم الله على فعلها.

❁ وقد يبتلي الله عبده بنزع بعض النعم منه فيدرك العبد فناء الدنيا ويشتاق للنعم التي لا تفنى في الجنة، فيعود العبد ويحمد الله على نعمه التي سلبها منه فيردها الله عليه أوفر ما كانت.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٩٦٩)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (١٧٨٨٨)، وصححه الألباني.

❁ وقد يبتلى الله عبده لينزع تعلق قلبه بحب النعمة التي ابتلاه بها كالأموال والأولاد حتى لا يعود يتعلق إلا بالله، ويكتسب بذلك صدق التوكل عليه، ويشاهد حكمة الله في أفعاله، ويرضى عن قضائه، حتى يحب اختيار الله له في وقوع البلاء أكثر من اختياره هو لنفسه من دوام العافية فتتم له بذلك أعلى درجات الهداية.

كيف لا ترجو اللّه وهو يريد أن يعطي عباده أعلى الدرجات على يسير الطاعات

اللّه يريد أن يعطي عباده

أعلى الدرجات على يسير الطاعات

أولاً: أعمال يدخل صاحبها الجنة بغير حساب ولا عذاب:

١- تمام التوكل على اللّه وعدم التشاؤم وترك الكي وطلب الرقية:

* قال رسول الله ﷺ: «فقيلَ لِي: هذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ...، هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، ولاَ يكتوون؛ وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُون»[(١)]. وزاد مسلم: «وَلاَ يَرْقُونَ».

ثانيًا: أعمال تحرم فاعلها على النار:

١- الإخلاص في كلمة « لا إله إلا اللّه »:

* قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله؛ إِلَّا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ النَّارَ»[(٢)].

* قال رسول الله ﷺ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ! قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ! قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ، ثَلَاثًا، قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ

(١) رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).
(٢) رواه البخاري (٦٤٢٢).

مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ؛ إِلَّا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ: إِذًا يَتَّكِلُوا»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: «ولا يُتصور تحقق القلب بمعنى «**لا إله إلا الله**» مع الإصرار على المعصية لامتلاء القلب بمحبة الله وخشيته، فتنبعث الجوارح إلى الطاعة، وتنكف عن المعصية».

٢- البكاء من خشية الله:

* قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ**»[(٢)]. فطوبى لمن صحت له دمعة واحدة من خشية الله.

٣- من ثار في وجهه غبار الجهاد ومثله الغبار في طريق الجُمع والجماعات والحج وطلب العلم:

* قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أُغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ الله؛ حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ**»[(٣)].

قال ابن حجر في «الفتح»: «دل الحديث على أن من أغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار سواء باشر القتال أم لا».

وقال: «فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار؛ فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفذ وسعه».

قال المناوي في «فيض القدير»: «وإذا كان هذا في غبار قدميه؛ فكيف بمن بذل نفسه فقاتل وقُتل في سبيل الله».

ذكر ابن حبان: «أن من سمع هذا الحديث من المجاهدين كان ينزل عن ما يركبه

---

(١) رواه البخاري (١٢٨).

(٢) رواه الترمذي (١٦٣٣)، وأحمد (١٠١٨٢)، والحاكم في «المستدرك»، والنسائي (٣١٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٦٩).

(٣) رواه البخاري (١٢٦٩).

ويمشي رجاء تحصيل ذلك الفضل العظيم».

* قال رسول الله ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرَيْ مُسْلِمٍ أَبَدًا»[١].

* قال رسول الله ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِيْ جَوْفِ مُؤْمِنٍ: غُبَارٌ فِيْ سَبِيلِ اللهِ، وَفَيْحُ جَهَنَّمَ»[٢].

٤- قتل المشرك في الحرب:

* قال رسول الله ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا»[٣].

* قال رسول الله ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا ثُمَّ سَدَّدَ وَقَارَبَ»[٤].

٥- صلاة أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى للهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»[٥].

٦- المحافظة على الصلاة المشهودة «الفجر والعصر»:

* قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا»[٦].

وهذان هما وقت رفع الأعمال إلى الله تعالى مرتين كل يوم.

٧- المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرُمَ عَلَى النَّارِ»[٧].

---

(١) رواه الترمذي (١٦٣٣)، والنسائي (٣١٠٧)، وابن ماجه (٢٧٧٤)، وأحمد (٧٤٣١)، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦١٧).

(٢) رواه أحمد (٨٢٧٤)، والنسائي (٣١٠٩)، وابن ماجه (٢٧٧٤)، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٢٠).

(٣) رواه مسلم (١٨٩١).

(٤) رواه النسائي (٣١٠٩)، وأحمد (٨٢٧٤، ٨٩٣٥)، والحاكم، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٧١)، وأصل الحديث عند مسلم (١٨٩١) بلفظٍ قريب.

(٥) رواه الترمذي (٢٤١)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٦٥٢).

(٦) رواه مسلم (٦٣٤).

(٧) رواه الترمذي (٤٢٨)، وأبو داود (١٢٦٩)، والنسائي (١٨١٦)، وابن ماجه (١١٦٠)، والحاكم وصححه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٩٥).

٨- حسن الخلق وأن يكون رحيمًا مع المؤمنين:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ سَهْلًا هَيِّنًا لَيِّنًا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»(١).

٩- الذَّبُ عن عرض المسلم:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْمُغِيبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ»(٢).

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ»(٣)

قال المناوي في «فيض القدير»: «لأن عرض المؤمن كَدَمِه، ومن عمل على صون عرضه كأنه صان دمه، فيجازى على ذلك بصونه من النار يوم القيامة إن كان ممن استحق دخولها، وإلا كان زيادة رفعة في درجاته في الآخرة في الجنة».

١٠- من عال ثلاث بنات أو أخوات وأحسن إليهنَّ فوق الواجب:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤)

* قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي يَعُولُ ثَلَاثَ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ، إِلاَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»(٥).

قال المناوي في «فيض القدير»: «فمن سترهنَّ بالإحسان جُوزي بالستر من النيران».

وقال: «فأحسن إليهنَّ بالقيام بهنَّ على الوجه الزائد عن الواجب من نحو إنفاق وتجهيز».

وقال: «بأن لا يمنَّ عليهنَّ ولا يظهر لهنَّ الضجر والملل ولا يحملهنَّ ما لا يطقنه».

---

(١) رواه أبو يعلى (٥٠٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤٣٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٥٩٥)، والطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٨٤).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٠٤٦٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٤٠).

(٣) رواه البيهقي في «الكبرى» (١٦٤٦١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٦٣).

(٤) رواه أحمد (٨٢٢٠)، وابن ماجه (٣٦٦٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٢٧).

(٥) رواه البيهقي في «الشعب» (١٠٥٢٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣٢) بلفظ: «مَنْ يَلِيّ مِنْ هذه البناتِ شَيئًا...»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٧٢).

١١- من صبر إذا مات له ثلاثة من الولد أو اثنين:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَفَنَ ثَلاثَةً مِنَ الْوَلَدِ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ النَّارَ»[(١)]

* قال رسول الله ﷺ: «لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ فَيَلِجَ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ»[(٢)].

* قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنكُنَّ مِن امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلاَثَةً إِلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، قالت امرأة: واثنين؟ قال: واثنين»[(٣)].

ثالثًا: حسنات تمحو الذنوب المتقدمة والمتأخرة:

١- إسباغ الوضوء:

* قال رسول الله ﷺ: «لَا يُسْبِغُ عَبْدٌ الْوُضُوءَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»[(٤)].

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَكَانَتْ صَلاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً»[(٥)].

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لاَ يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ غُفِرَ لَهُ مَا خَلاَ مِنْ ذَنْبِهِ»[(٦)].

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَغْتَرُّوا»[(٧)].

* قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ -أَوِ الْمُؤْمِنُ- فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ -أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ- فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ -أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ- فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ الْمَاءِ -أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ- حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»[(٨)].

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٨٠٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٣٨).
(٢) رواه البخاري (١٢٥١)، ومسلم (٢٦٣٤).
(٣) رواه البخاري (١٠٢)، ومسلم (٢٦٣٤).
(٤) أخرجه البزار (٤٢٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٥٠)، وحسنه الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٣٧)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٨٩) وحسنه.
(٥) رواه مسلم (٢٢٩).
(٦) رواه مسلم (٢٣٢).
(٧) رواه البخاري (٦٤٣٣).
(٨) رواه مسلم (٢٤٤).

* قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ، خَرَجَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ سَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَيَدَيْهِ، وَرِجْلَيْهِ، فَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ مَغْفُورًا لَهُ»(١).

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ، وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ»(٢).

٢- صوم رمضان إيمانًا واحتسابًا:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ»(٣).

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٤).

٣- قيام رمضان إيمانًا واحتسابًا:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ رمضان إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»(٥).

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٦).

٤- قيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»(٧).

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٨).

٥- من قال: الحمد لله الذي أطعمني « كساني » هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا، فَقَالَ: الْحَمْدُ الله الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ

---

(١) رواه أحمد (٢١٦٦٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٨).
(٢) رواه أحمد (٢٣٦٤٣)، والنسائي (١٤٤)، وابن ماجه (١٣٩٦)، وابن حبان (١٠٤٢)، والدارمي (٧١٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٧٢).
(٣) رواه أحمد (٨٧٧٥)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على «المسند».
(٤) رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).
(٥) رواه النسائي في «الكبرى» (٤/ ١٥٩)، وصححه الحويني في «تَنْبِيهُ الهَاجِدْ» (٤٦٥).
(٦) رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).
(٧) رواه النسائي في «الكبرى»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».
(٨) رواه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).

وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [«وَمَا تَأَخَّر» في بعض نسخ أبي داود-]: «ومَنْ لَبِسَ ثَوْبًا، فَقَالَ: الحَمْدُ لله الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»[(١)].

رابعًا: حسنات تمحو الذنوب المتقدمة:

١- الهجرة إلى دار الإسلام:

* قال رسول ﷺ لعمرو بن العاص: «أَمَا عَلِمْت أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ»[(٢)].

٢- العبادات وقت الفتن:

* قال رسول الله ﷺ: «عِبَادَةٌ فِي الهَرْجِ ، أَوِ الْفِتْنَةِ؛ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»[(٣)].

قال ابن العربي: «فإذا وقعت الفتن تعين على المرء أن يفر بدينه من الفتنة إلى العبادة ويهجر أولئك القوم وتلك الحالة».

وقال: «فالعبادة في الهرج تغفر ما تقدم مثل الهجرة».

٣- الذي يثبت في فتنة الدجال:

* قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وِزْرُهُ وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ وَجَبَ وِزْرُهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ»[(٤)].

٤- الحج المبرور الذي لا يخالطه إثم:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَجَّ لله فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّه»[(٥)].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٥٨)، وأبو داود (٤٠٢٣)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٨٦).

(٢) رواه مسلم (١٢١)

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٨) بدون: «**أو الفتنة**»، وهذا اللفظ عند الطبراني في «الكبير» (١٧٢٥٠).

(٤) رواه أحمد (٢٢٩١٦، ٢٢٩١٩)، وأبو داود (٤٢٤٤)، والحاكم (٨٣٣٢)، وحسنه الألباني في تحقيقه على «سنن أبي داود».

(٥) رواه البخاري (١٥٢١).

قال ابن حجر: «رجع كيوم ولدته أمه: أي بغير ذنب، وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات، وقال به أيضًا القرطبي والقاضي عياض».

قال المناوي في «فيض القدير»: «لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه، بل لابد أن يدخلها مع السابقين أو بغير عذاب، وإلا فكل مؤمن يدخلها وإن لم يحج».

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[١].

* قال رسول الله ﷺ: «الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ»[٢].

* قال رسول الله ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»[٣].

٥- الصلاة في بيت المقدس:

* قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ سُلَيْمَانَ بنَ دَاوُدَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ المَقْدسِ سأَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ خِلالًا ثلاثَة: سأَلَ الله حُكْمًا يُصادِفُ حُكْمَهُ؛ فأُوتِيَهُ، وسأَلَ الله مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ؛ فأُوتِيَهُ، وسأَلَ الله حِينَ فرَغ مِنْ بِناءِ المَسْجِدِ أَنْ لا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لا يَنْهَزُهُ إلاّ الصَّلاةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ؛ أَمَّا اثْنَتانِ فَقَدْ أُعْطيَهُما وأَرْجُو أَنْ يَكونَ قَدْ أُعْطِيَ الثّالِثَةَ»[٤].

٦- الاجتماع على ذكر الله تعالى:

* قال رسول الله ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ عَلَى ذِكْرٍ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ إِلاَّ قِيلَ لَهُمْ: قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ»[٥].

* قال رسول الله ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ الله تَعَالَى إِلاَّ نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ:

---

(١) رواه مسلم (١٣٥٠).

(٢) رواه مسلم (١٣٥٠).

(٣) رواه الترمذي (٨١٠)، والنسائي (٢٦٣٠)، وأحمد (٣٦٦٠)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢٥٢٤).

(٤) رواه أحمد (٢٧٧٦٢)، والنسائي (٦٩٣)، وابن ماجه (١٤٠٨)، وابن حبان (٦٤٢٠)، وابن خزيمة (١٣٣٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤١٧٥)، والحاكم (٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٩٠).

(٥) رواه ابن أبي شيبة (٢٩٤٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٠٧).

قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ»، وزاد في رواية: «وَبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ»[(١)].

٧- من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[(٢)]. وفي رواية: «حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ».

لأن «الحمد لله» تملأ الميزان، أي أن ذاكرها يمتلئ ميزانه ثوابًا، «سبحان الله وبحمده» تملئ ما بين السماوات والأرض.

قال ابن حجر: «ذكر ابن بطال عن بعض العلماء أن الفضل الوارد في حديث الباب وما شابهه إنما هو لأهل الفضل في الدين والطهارة من الجرائم العظام، وليس من أصرَّ على شهواته وانتهك دين الله وحرماته بلاحِقٍ بالأفاضل المطهرين من ذلك، ويشهد له قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

٨- القول عند سماع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا وبمحمد رسولاً وبالإسلام دينًا:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»[(٣)].

٩- كثرة المشي إلى المساجد والانتظار من صلاة إلى صلاة:

* قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ،

---

(١) رواه أحمد (١٢٠٤٥)، والطبراني في «الأوسط» (١٥٥٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥٣٤)، والضياء (٢٦٧٧)، وأبو يعلى (٤١٤١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٠٩).

(٢) رواه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١).

(٣) رواه مسلم (٣٨٦).

وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ»[١].

* قال رسول الله ﷺ: «كَفَّارَاتُ الْخَطَايَا: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَإِعْمَالُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ يَغْسِلُ الْخَطَايَا غَسْلا»[٢].

١٠- من قال خلف الإمام: « آمين » فوافق تأمين الملائكة:

* قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٣].

* قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الإِمَامُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٤].

١١- من قال خلف الإمام: اللهم ربنا لك الحمد ، فوافق قول الملائكة:

* قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٥].

١٢- من سبح وحمد وكبَّر ثلاثًا وثلاثين بعد الصلاة وختم المائة بـ: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ الله فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ الله ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ الله ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[٦].

---

(١) رواه مسلم (٢٥١).
(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٨٩).
(٣) رواه البخاري (٧٨٠)، ومسلم (٤١٠).
(٤) رواه البخاري (٧٨٢)، ومسلم (٤١٠).
(٥) رواه البخاري (٧٩٦)، ومسلم (٤٠٩).
(٦) رواه مسلم (٥٩٧).

١٣- صلاة الفجر في جماعة وذكر الله بعدها حتى تطلع الشمس، ثم يصلي ركعتين:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الفجر فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ الله حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ»[١].

١٤- صلاة ركعتين لا سهو فيهما:

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يَسْهُو فِيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٢].

١٥- الصبر على المرض الشديد:

* قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَبْتَلِي عَبْدَهُ بِالسَّقَمِ، حَتَّى يُكَفِّرَ عَنْهُ كُلَّ ذَنْبٍ»[٣].

* قال رسول الله ﷺ: «إِذَا اشْتَكَىٰ الْمُؤَمِّنُ أَخْلَصَهُ ذَلِكَ كَمَا يُخْلَصُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيْدِ»[٤].

* قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُصْرَعُ صَرْعَةً مِنْ مَرَضٍ إِلَّا بَعَثَهُ الله مِنْهَا طَاهِرًا»[٥].

* قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا فَحَمِدَنِي وَصَبَرَ عَلَى مَا بَلَيْتُهُ؛ فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الخَطَايَا، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ لِلْحَفَظَةِ: إِنِّي أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي هذَا وَابْتَلَيْتُهُ؛ فَأَجْرُوا لَهُ مَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ

---

(١) رواه الترمذي (٥٨٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٤٦).

(٢) رواه أبو داود (٩٠٥)، وأحمد (١٦٦٠٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٩٤).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١٥٤٨)، والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٧٠).

(٤) رواه ابن حبان (٢٩٩٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٧)، والطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٤).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض»، والطبراني في «الكبير» (٧٤٨٥)، والبيهقي في «الشعب» (٩٩٢٢)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٤٣).

قَبْلَ ذلِكَ مِنَ الأَجْرِ وَهُوَ صَحِيحٌ»[1].

(١) رواه أحمد (١٦٦٦٩)، والطبراني في «الكبير» (٧١٣٦) و«الأوسط» (٤٧٠٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٠٩/٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٠٠).

خامسًا: أنواع الشهادة التي تغفر الذنوب كلها إلا الدَّيْنُ:

١- القتل في سبيل اللّه:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٠].

* قال رسول الله ﷺ: «**الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ الله يُكَفِّرُ كُلَّ خَطِيئَةٍ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِلَّا الدَّيْنَ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِلَّا الدَّيْنَ**»[(١)].

٢- من أمر إمامًا جائرًا بمعروفٍ فقتله:

* قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**»[(٢)].

* قال رسول الله ﷺ: «**سَيِّد الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جائرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ**»[(٣)].

* سَأَلَ رجلٌ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ: «**أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**»[(٤)].

قوله ﷺ: «**أفضل الجهاد**» يعني أن بعضه أفضل من بعض، وأن من سيأتي بيانهم ليسوا في درجة من سبق ذكرهم.

٣- من سقط عن دابته في سبيل اللّه فمات فهو شهيد:

* قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صُرِعَ عَنْ دَابَّتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[(٥)].

* قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ فَصَلَ فِي سَبِيلِ الله فَمَاتَ أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ أَوْ وَقَصَهُ فَرَسُهُ أَوْ بَعِيرُهُ أَوْ لَدَغَتْهُ هَامَّةٌ أَوْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ أَوْ بِأَيِّ حَتْفٍ شَاءَ الله؛ فَإِنَّهُ شَهِيدٌ وَإِنَّ لَهُ الْجَنَّةَ**»[(٦)].

---

(١) رواه مسلم (١٨٨٦).
(٢) رواه أبو داود (٤٣٤٤)، وابن ماجه (٤٠١١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٤٠).
(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٩٥٨)، والحاكم (٤٨٧٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٠٨).
(٤) رواه النسائي (٤٢٠٩)، وأحمد (١٨٣٥١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٠٠).
(٥) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٣٦).
(٦) رواه أبو داود (٣٤٩٩)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٣٨٤٠).

٤- من قتل الخوارج أو قتلته الخوارج شهيد:

* سأل الفرزدق أبا هريرة وأبا سعيد الخدري رضي الله عنهما، فقال: إن قومًا يخرجون علينا يقتلون من قال: «لا إله إلا الله» ويُؤَمِنون من سواهم فقالا لي: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَتَلَهُمْ فَلَهُ أَجْرُ شَهِيْدٌ، وَمَنْ قَتَلُوْهُ فَلَهُ أَجْرُ شَهِيْدَيْنِ**»(١).

٥- من مات في الرباط مات شهيدًا:

* قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا مَاتَ شَهِيدًا**»(٢).

٦- من سأل اللّه الشهادة بصدق:

* قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ**»(٣).

* قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ الله الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ الله مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»(٤).

* قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ الله الْقَتْلَ فِي سَبِيلِ الله صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ أَعْطَاهُ الله أَجْرَ الشَّهِيدِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»(٥).

٧- من قتل دون ماله فهو شهيد:

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»(٦).

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ مَظْلُومًا فَلَهُ الْجَنَّةُ**»(٧) وفي رواية: «**دَخَلَ الجَنَّةَ**».

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٠٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٧٧٣)، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٢/ ٣٥٠): «سنده جيد».

(٢) رواه ابن أبي شيبة (١٩٨٠٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩٨٩٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٩٦٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٠١)، وأحمد بن حنبل في «الزهد» (١/ ٢١٤).

(٣) رواه مسلم (١٩٠٨).

(٤) رواه مسلم (١٩٠٩).

(٥) رواه الترمذي (١٦٥٤)، الطبراني في «الكبير» (٣٤٦٥)، والحاكم (٢٤١٠)، وقال ابن حجر في «الفتح»: «أنه جيد»، وصححه الألباني في تحقيقه على «جامع الترمذي».

(٦) رواه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١).

(٧) رواه النسائي (٤٠٨٦)، وأحمد (٧٠٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٤٦).

٨- من قتل دون دينه فهو شهيد :

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»(١).

٩- من قتل دون أهله فهو شهيد :

قال رسول الله ﷺ: «**وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»(٢).

١٠- من قتل دون دمه فهو شهيد :

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»(٣).

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ نَفسِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»(٤).

١١- من قتل دون مظلمته فهو شهيد :

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»(٥).

١٢- الغريق شهيد :

* قال رسول الله ﷺ: «**الغَرِيقُ شَهِيدٌ**»(٦).

* قال رسول الله ﷺ: «**مَا تَقُولُونَ فِي الشَّهِيدِ فِيكُمْ؟**» قالوا: القتل في سبيل الله، قال ﷺ: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ؛ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ**»(٧).

١٣- الحرق شهادة :

---

(١) رواه أحمد (١٦٥٥)، والترمذي (١٤٢١)، والنسائي (٤٠٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٤٥).

(٢) رواه أحمد (١٦٥٥)، والترمذي (١٤٢١)، والنسائي (٤٠٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٤٥).

(٣) رواه أحمد (١٦٥٥)، والترمذي (١٤٢١)، والنسائي (٤٠٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٤٥).

(٤) رواه المنذري في «الترغيب والترهيب»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤١٧٢).

(٥) رواه النسائي (٤٠٩٣)، وأحمد (٢٧٧٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٤٧).

(٦) رواه مسلم (١٩١٥).

(٧) رواه ابن ماجه (٢٧٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٠٢).

* قال رسول الله ﷺ: «**الطَّاعُونُ، وَالْغَرَقُ، وَالبَطْنُ، وَالْحَرَقُ، وَالنُّفَسَاءُ شَهَادَةٌ لأُمَّتِي**»[(١)].

* وقال رسول الله ﷺ: «**الْحَرِيقِ شَهِيدٌ**»[(٢)].

١٤- صاحب الهدم شهيد :

* قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَقَعُ عَلَيْهِ الْبَيْتَ فَهُوَ شَهِيْدٌ**»[(٣)].

١٥- من وقع من الجبال شهيد :

* قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مَنْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ الْجِبَالِ، وَيَأْكُلُهُ السِّبَاعُ، وَيَغْرَقُ فِي الْبِحَارِ؛ لَشُهَدَاءُ عِنْدَ الله**»[(٤)].

١٦- من افترسه السبع شهيد :

* قال رسول الله ﷺ: «**الطَّعْنُ، وَالطَّاعُونُ، وَالهَدْمُ، وأَكْلُ السَّبُعِ، وَالْغَرَقُ، وَالحَرَقُ، وَالْبَطْنُ، وَذَاتُ الجَنْبِ؛ شَهَادَةٌ**»[(٥)].

١٧- من لدغته حية أو عقرب فمات فهو شهيد:

* قال رسول الله ﷺ: «**أَوْ لَدَغَتْهُ هَامَّةٌ أَوْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ أَوْ بِأَيِّ حَتْفٍ شَاءَ الله فَإِنَّهُ شَهِيدٌ وَإِنَّ لَهُ الْجَنَّةَ**»[(٦)].

١٨- الطاعون شهادة :

* قال رسول الله ﷺ: «**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»[(٧)].

* قال رسول الله ﷺ: «**وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[(٨)].

---

(١) رواه أحمد (١٤٨٧٧)، والنسائي (٢٠٥٤)، والطبراني في «الكبير» (٧١٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٥٠).

(٢) رواه أبو داود (٣١١١)، و وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٣٩).

(٣) ذكره ابن عساكر (٥٣/ ١٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤١٧٢).

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٢٦٩/ ٩٥٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٩٧١٨)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٥٤٧): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

(٥) رواه الطبراني في «الكبير» (٤٦٠٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٥٣).

(٦) رواه أبو داود (٢٤٩٩)، والطبراني في «الكبير» (٣٤١٩)، والحاكم (٢٤١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٤٢٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤١٣).

(٧) رواه البخاري (٢٨٣٠)، ومسلم (١٩١٦).

(٨) رواه مسلم (١٩١٥).

١٩ – السل شهادة:

* قال رسول الله ﷺ: «**الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ الله شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ، وَالحَرقُ شَهَادَةٌ، وَالسِّلّ، وَالنُّفَسَاءُ يَجُرُّهَا وَلَدُهَا بِسَرَرِهَا إِلَى الجَنَّةِ**»[(١)].

٢٠- داء البطن والإسهال والاستسقاء شهادة :

* قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ**»[(٢)].

* قال رسول الله ﷺ: «**وَالْمُبْطُونُ شَهِيدٌ**»[(٣)].

٢١- صاحب الجنب وانتفاخ الصدر شهيد :

* قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ؛ الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ الله شَهَادَةٌ، وَالْمَطْعُونُ شَهَادَةٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهَادَةٌ -يَعْنِي الحَامِلَ-، وَالْغَرِقُ وَالْحَرِقُ وَالْمَجْنُوبُ شَهَادَةٌ**»[(٤)].

٢٢- النفساء شهيدة :

* قال رسول الله ﷺ: «**الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ الله شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ، وَالنُّفَسَاءُ شَهَادَةٌ**»[(٥)].

* قال رسول الله ﷺ: «**الْقَتِيلُ فِي سَبِيلِ الله شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَالنُّفَساءُ شَهِيدَةٌ**»[(٦)].

٢٣- المرأة تموت في الحمل أو الولادة شهيدة :

---

(١) رواه أحمد (١٥٥٦٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٣٩).
(٢) رواه مسلم (١٩١٥).
(٣) رواه أحمد (١٠٣٨٣)، وأبو داود (٣١١١)، والنسائي (١٨٤٦)، وابن ماجه (٢٨٠٤)، ومالك (٥٥٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٣٩).
(٤) رواه مسلم (١٩١٥).
(٥) رواه النسائي (٣١٩٤)، وأحمد (٨٠٣١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٣٨).
(٦) رواه أحمد (٢٢٢٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٤١).

* قال رسول الله ﷺ: «وَمَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ إِلَّا مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله؛ إِنَّ شُهَدَاءَكُمْ إِذًا لَقَلِيلٌ، الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ الله شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ، وَالْحَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالْمَغْمُومُ -يَعْنِي الْهَدِمَ- شَهَادَةٌ، وَالْمَجْنُونُ شَهَادَةٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ»[(١)].

٢٤- من دعا بدعاء يونس أربعين مرة في مرضه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]

* قال رسول الله ﷺ: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى اسْمِ الله الْأَعْظَمِ الَّذِيْ إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى؟ الدَّعْوَةَ التِيْ دَعَا بِهَا يُوْنُسُ حَيْثُ نَادَاهُ فِيْ الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فقال رجل: يا رسول الله! هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ قال رسول الله ﷺ: «ألا تسمع قول الله ﷻ: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ دَعَا بِهَا فِيْ مَرَضِهِ أَرْبَعِيْنَ مَرَّةً فَمَاتَ فِيْ مَرَضِهِ ذَلِكَ؛ أُعْطِيَ أَجْرَ شَهِيْدٍ، وَإِنْ بَرَأَ؛ بَرَأَ وَقَدْ غُفِرَ لَهُ جَمِيْعُ ذُنُوْبِهِ»[(٢)]

٢٥- الموت بعد المواظبة على قيام رمضان:

* جَاءَ رَسُولَ الله ﷺ رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ الله، وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ، وَصُمْتُ الشَّهْرَ، وَقُمْتُ رَمَضَانَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ»[(٣)].

قال ابن خزيمة: «استحقاق من قام رمضان اسم الصديقين والشهداء إذا جمع مع قيام رمضان صيام نهاره وكان مقيمًا للصلوات الخمس مؤديًا للزكاة شاهدًا لله بالوحدانية مقرًّا للنبي ﷺ بالرسالة».

٢٦- المتمسك بالسُنة في وقت الفتن:

* قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانَ صَبْرٍ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِ أَجْرُ خَمْسِينَ

---

(١) رواه النسائي (٣١٤٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٩٦).
(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨١٩) وصححه، ووافقه الذهبي.
(٣) رواه ابن خزيمة (٢٢١٢)، وابن حبان (٣٥٠٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦١)، و«صحيح ابن خزيمة» (٢٢١٢).

شَهِيدًا مِنكُمْ»[(١)].

* قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الْصَّبْرِ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيْهِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِيْنَ شَهِيْدٌ مِنْكُمْ، قَالُوْا: يَا نَبِيَّ الله! أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ مِنْكُمْ»[(٢)].

* وبعد؛ فهذه ستون بابًا أو أكثر من أبواب الخير كلها تقود إلى الجنة بإذن الله دلنا عليها رسولنا ﷺ الذي ما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه، وما ترك شرًّا إلا وحذرنا منه.

والله تعالى أمره أن يبلغ ذلك كله لأنه تعالى يريد بعباده اليسر ويريد أن يهديهم ويريد أن يتوب عليهم ويريد أن يخفف عنهم ويريد أن يطهرهم ويتم نعمته عليهم، وما يريد بهم العسر، وما يريد ظلمًا للعباد وما يريد ليجعل عليهم من حرج.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾ [النساء:٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٧].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء:٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة:٦].

وقال تعالى: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر:٣١].

وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة:٦].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين البر العفو الرحيم الكريم الحليم المعين

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٣٩٤)، والبزار (١٧٧٦)، والهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٣٤).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٥٨)، وأبو داود (٤٣٤١)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٩٤).

المجيب الستير الرفيق المحسن المنعم الرحمن الجواد الحنان المنان الوهاب التواب الرؤوف الصبور الشكور الغفور الودود.

٧ - حسن الظن بالله

❁ وحسن الظن بالله أن تعتقد أنه ما منعك إلا ليعطيك، وما ابتلاك إلا ليعافيك، وما امتحنك إلا ليصفِّيك.

❁ وأعظم حسن الظن بالله أن تفرح بالطاعة وتستبشر بها وتظن أن الله سيدخلك بها الجنة، ليس بسبب عملك، وإنما برحمته، فأنت تحسن الظن بربك وتسيء الظن بعملك.

ـ ومن لوازم حسن الظن بالله المداومة على الطاعة وعدم ترك التوبة.

وحسن الظن بالله من آثار الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى فهو تعالى يثيب المحسنين، ويقرب المتقين، وينتقم من المجرمين، ويرد عمل المرائين.

إساءة الظن بالنفس

❁ فهل خَلُصَ عملك من شوائب الرياء ورؤية النفس والعجب والمنِّ على الله وعلى خلقه، وهل كان على السنَّة تمامًا أم للنفس فيه هوى. فإن سَلِمَ من كل ذلك فيا لقلته إلى جانب المجتهدين، ويا لتأخره إلى جانب المسرعين إلى الله، فهل تُنافس به المتنافسين وهل تُدرك به منازل المقربين وهل يصلح أن تَلقى به رب العالمين ؟!

❁ فهو لا يرى نفسه إلا مخطئًا مذنبًا رغم اجتهاده في الطاعة، لكنه يرى طاعته بضاعة مزجاة بائرة رديئة الإتقان، قال ﷺ : «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي وَخَطَايَايَ وَعَمْدِي وَكُلُّ**

ذَلِكَ عِنْدِي»[1].

(١) رواه البخاري (٦٣٩٩)، ومسلم (٢٧١٩).

وقال ﷺ : «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى**»(١).

❁ فإن طاعة العبد لا تخلو من تقصير، فمن أطاع وقال: قد فعلت ووفيت، فهذا لا يُقبل منه عمله لأنه يظن الكمال بنفسه وبعمله ويمن به على ربه؛ فإن شهود الإنسان لأفعاله الصالحة نقص في الأعمال، فإن رأى أنه الذي فعل الصالحات بنفسه أو منَّ بها على ربه بطل العمل وانعدم ثوابه بالكلية.

❁ أما كامل الإيمان فإنه الذي يرى عمله الصالح فضلًا من الله عليه، والله هو الذي خلق فيه العمل الصالح، فهو يفعل الطاعات ولا يرى نفسه فاعلًا، وهو يجتهد في إحسان العمل ثم يطلب قبول العمل، فهذا الذي يقبل الله عمله رغم وجود التقصير فيه؛ بل وفي عمل كل العباد.

❁ ومن أحسن الظن بربه وأساء الظن بعمله فقد استبرأ لنفسه.

المغرور المنافق

هو صاحب العمل القليل الذي يظن أنه قد أدى كل ما عليه من واجبات وزيادة، ويرى أعماله كأنها الجبال وأنها حتمًا ستُقبل، ويمن بها على الله وعلى عباده.

قال تعالى : ﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴾ [الحجرات : ١٧].

ومما يدفعك إلى أن تحسن الظن بربك :

❁ أن تعلم أن من قال: « **لا إله إلا الله** » مخلصًا دخل الجنة. ألا يدفعك ذلك إلى الرجاء وحسن الظن بالله ؟! بعد أن تعلم أن إخلاص التوحيد جزاؤه الجنة.

---

(١) رواه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٧١).

❁ أما علمت أن بين المصراعين من مصاريع أبواب الجنة مسيرة أربعين سنة، وسيأتي عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، أما تخيلت نفسك وسط هذا الزحام وكيف يدخل كل هؤلاء ولست أنت فيهم ؟!

❁ أما علمت أنه يُؤتى بأشقى أهل الدنيا وهو من أهل الجنة، فيغمس غمسة في الجنة، ثم يقال له: «هل رأيت شقاءً قط؟» فيقول: «لا وعزتك يا رب ما رأيت شقاءً قط».

❁ أما علمت أنك إذا جلست في حلقة في المسجد تذكر الله وتتعلم الدين نزلت عليك الرحمة وحفَّتك السكينة وصعدت الملائكة بخبرك إلى الله، وهو أعلم، فيسألهم عنكم وماذا تطلبون، فتقول الملائكة : «يطلبون الجنة»، فيقول ﷻ : «ماذا لو رأوها؟» قالوا : «كانوا أشد لها طلبًا»، قال ﷻ : «ومما يتعوذون؟» قالت الملائكة: «يتعوذون من النار»، فيقول ﷻ : «ماذا لو رأوها؟» فيقولون: «كانوا أشد منها هربًا».

❁ قال تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢]، فإن عسى في حق الله واجبة، هو أوجب ذلك على نفسه برحمته وَمَنّه وفضله **فإن الكريم إذا طَمَّع الفقير في شيءٍ من غناه وفَّاه له.**

❁ فلو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد.

❁ ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد.

❁ ومن أحسن الظن بربه غلب على يقينه أن الله يدخله الجنة.

الجَنَّـة

❁ وما أدراك ما الجنة.. إنها ورب الكعبة، نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتز، وقصرٌ مشيد، ونهرٌ مطَّرد، وثمرةٌ نضيجة، وزوجةٌ حسناء جميلة، وحللٌ كثيرة، في مقام أبد.

❁ فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، فكل ما تخيلته فقد خطر على قلبك؛ فلابد أن تكون الجنة أجمل منه.

شباب دائم

❁ فإن المنادى ينادي : «**يا أهل الجنة! إن لكم أن تَصحُّوا فلا تسقموا أبدًا -فأهل الجنة لا يمرضون أبدًا-، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وأن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا -فأهل الجنة عند سن ثلاث وثلاثين لا يتعدوه أبدًا-، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا**»[(١)].

إنه يعرف منزله

❁ فإذا دخل أحدكم الجنة فإنه سيهتدي لقصره هناك أكثر من بيته الذي في الدنيا.

❁ أما رأيت زحام حجيج عرفات إذا رجع كلٌ منهم إلى دياره، هل يُخطِيء أحدٌ منهم بيته، كذلك زحام المؤمنين على باب الجنة، لا يخطئ أحدٌ منهم قصره.

الحور

❁ فإذا دخل قصره وجد زوجةً حوراء العين بهية المنظر، إذا رأته ضحكت له، فيخرج من وجهها نورٌ تضيء له الجنة.

❁ فإذا نظر إليها وجد عليها من حلل الحرير ما يخلب ناظره، يرى من خلالها مخ ساقها، من رقة الحرير ونعومة جلدها.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٧).

❁ فإذا شمها فيا لطيب ريحها؛ فإن عطرها لو هَلَّت منه نفحةٌ في السماء الدنيا لأهنأ للناس عيشها.

❁ وأما تاجها على رأسها لو بدا من جوهره شيء لآمن الناس من نورها.

❁ وأما ريقها لو سقطت منه قطرةٌ في بحار الدنيا لعذب للناس شربها.

❁ فإذا تكلمت فيا لطيب سماعها، فإذا غنت لزوجها فمزامير داود أقلها، فيا لحسرة المغبون إن فقد وصالها، ويا لذة الأسماع ونشوة الأفكار وجميل الأشعار، ويا لفوز من جوار ربه اختار، وفي الدنيا أعطى للمغنيات ظهره واستدار.

❁ ثم هي مُطهرة عن بول أو غائط أو حيض أو نفاس، عَرقها مِسك أزفر، وثغرها أنور من جوهر، ينتظر كل طاهر مطهر.

جمال أهل الجنة

❁ أما المؤمن نفسه في الجنة فإنه يكون له بهاء وجمال، وأقلهم من يكون جماله ضعف جمال نبي الله يوسف عليه السلام ، حتى أنه يبهر زوجاته الحور بجماله فيقلنَّ له : « والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك »، وقد كان هذا المؤمن أشعث أغبر في الدنيا من طول السعي في سبيل الله، لا يُؤبه له، لكنه كان إذا أقسم على الله أبر الله قسمه.

القصور

❁ فإذا نظر إلى قصره وجده لبنةً من ذهب ولبنةً من فضة بينهما المسك.. فيا لطيب هواء أنت فيه، فإن مسست الحائط فاح المسك، وإن تحرك الهواء فاح المسك، وإن فتحت الشرفات فاح المسك.

❁ وفي قصرك شرفات تطل على مملكة عظيمة، حصى أرضها من اللؤلؤ وأشجارها من الذهب، تسير في ظل الشجرةٍ منها مائة سنة لا تقطعها.

❁ وله بعد هذا القصر في كل أنحاء مملكته قصور، قصور شامخات في أعلى عليين.

❁ أبوابها الزمرد الأخضر والذهب الأصفر والفضة البيضاء، وأعمدتها من الجوهر، وأبراجها غرفٌ من المرجان والدر الأنور، أسرتها من الياقوت الأحمر، وفرشها من سندس وإستبرق.

❁ وشرفاتها قباب اللؤلؤ، وتطل الشرفات على جنات: ﴿جَنَّتَانِ﴾ ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ و﴿جَنَّتَانِ﴾ ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾.

المركبات

❁ ولك في الجنة دابة ذكية لا تحتاج أن تقودها أو تكلمها، فهي تعرف خاطرك ومرادك وهى مريحة جدًّا وسريعة جدًّا تضع قدمها عند آخر ما يقع عليه نظرها.

❁ فإذا ركبت دابتك تبتغي التنزه في مملكتك مرت بك على نهر من عسلٍ مصفّى، وآخر من لبنٍ، وثالث من خمرٍ لذةٍ للشاربين، لا فيها سُكرٌ ولا ذهاب عقلٍ، ومرت بك على أنواع نعيم لم تتخيلها ولم تطلبها من قبل.

التنزه

❁ وفي نهاية النزهة خيمة، ليست على الرمال، وإنما على الأزهار، وإذا الخيمة لؤلؤة مجوفة فيها من أنواع البهجة والسرور، وإذا لك فيها زوجات لم ترهنَّ قبل، إذا كنت مع إحداهنَّ لم تراك الأخرى لبعد ما بينهما ولسعة هذه اللؤلؤة.

الطعام

❁ أما الطعام، فإن اشتهيته دخل عليك ألفا خادم من قصرك، مع كل خادم سبعين صحيفة في كل صحيفة ألوان من الطعام، فتأكل منها جميعًا، وفيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فما تدرى أيها كانت الأنعم والألين والألذ والأصح.

السوق

❁ ويتقابل المؤمنون في سوق الجنة، وفيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان بوصفه، ولم يخطر على القلوب شبهه، فيأخذون منه ما اشتهوا بلا ثمن.

رفقاء الخير

❁ فإذا اشتقت إلى إخوانك، طار سرير عرشك إلى جوار سريره، فتتذاكران متى غفر الله لكم ومتى نلتم تلك الكرامة وهذا المقام، نعم إنه يوم كذا وكذا يوم عرفة، أم يوم الشهادة في سبيل الله، أم يوم ختم القرآن، أم يوم الصدقة العظيمة لله، أم يوم البكاء من خشية الله، أم عند الفطر يوم صوم الهاجرة، أم يوم قيام ليلة القدر بالبقرة والنساء وآل عمران.

رسول اللّه

❁ ثم تشتاق إلى النبي محمد ﷺ، ثم تشتاق إلى أصحابه والعشرة المبشرين سادات أهل الجنة ؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة رضي الله عنهم أجمعين.

❁ فإذا زرت رسول الله ﷺ فإنك لا تدري بأيهم تبدأ التقبيل، برأسه أم بيديه أم برجليه ﷺ فطالما أحببت وتمنيت أن تسمع القرآن منه، وأن تصلي خلفه، وأن تشهد المشاهد معه، وأن تقاتل بين يديه، وأن تفديه بنفسك وتقول له : «نحري دون نحرك». فالآن برد من الأكباد حرُّها، ودام بالوصل نعيمها.

النعيم الأعظم

❁ ثم تشتاق إلى رؤية رب العالمين ﷻ، فيستجيب سبحانه لعباده ويجمعهم في صعيدٍ واحدٍ ويكرم منازلهم ويجعلهم على منابر من ذهبٍ وفضةٍ وجوهر، فيقولون له : «اللهم أنت السلام ومنك السلام وحق لك الجلال والإكرام »، فيكلم كل واحد منهم ويسألهم ماذا تريدون، فيقولون: «ألم تُبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟» فيقول ﷻ : «أفلا أعطيكم خيرًا من ذلك؟» فيقولون: «ما هو؟» فيقول ﷻ : «أُحِلَّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا». فما أعطوا في الجنة عَطاءً خيرًا من النظر لوجه ربهم الكريم[1].

❁ ثم يقول لهم: سلوني ما شئتم فلا تزال الأماني بقلب كل رجلٍ منهم ولا يزال يعطيهم.

---

(١) رواه مسلم (١٨١).

❁ فيسأله أقلهم أمنية ويقول: «ربي تنافس أهل الدنيا في دنياهم، رب فآتني من كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا» فيقول الله تعالى: «لقد قَصُرت بك اليوم أمنيتك ولقد سألت دون منزلتك»، فإن هذا السائل على روعة طلبه لم يحسن المسألة ولكن الله يعطيه فوق ما سأله، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

❁ فيعودون إلى أهليهم أنضَر وأبهى ما كانوا بما أصابهم من تجلى الله عليهم بنوره.

انتهى عناء التكليف

❁ ويلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس، إنه تسبيح فرحة إذا رُزقوا زوجة جديدة، إنه تكبير إجلالٍ لله، إذا اشتهوا الطير في السماء فوقع بين أيديهم مشويًا.

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلاَ يَتْفُلُونَ وَلاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ:جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»[(١)].

– فهم لا يحتاجون إلى إخراج ما يأكلون، وإنما ينضح عليهم عرقًا ريحه أطيب من المسك.

أهل الجنة منزهون عن النقائص:

فهم لا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ونساؤهم لا تحضنَّ.

أدنى أهل الجنة

❁ فاجتهد يا عبد الله، فإن أدنى أهل الجنة منزلًا من يُؤتيه الله أكثر من عشرة أضعاف أعظم ملوك الدنيا، هذا الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، وإن لملوك الدنيا عشرات القصور والمنتجعات والمتنزهات والشواطئ والضيعات والجواري والخدم والمركبات.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٥).

السابقون

❁ أما أعظمهم منزلةً فأولئك الذين يريد الله تعالى، غرس كرامتهم بيديه وأعد لهم الجنة قبل أن يخلقهم، وأعد لهم فيها الزوجات والغلمان والأشجار والأنهار وقباب اللؤلؤ المجوف والحور والقصور كما يُعِدُ الأهلُ الوليمةَ لغائبهم إذا رَجَوا قدومه، ولله المثل الأعلى.

❁ إن الجنة قد تزينت وتزينت وتزينت، ولو أُذن لها لتكلمت وقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]

أنت مراقب

❁ وفى كل يوم تتزين زوجتك تنتظرك وهي في الجنة تراك وتسمع حديثك، وتسمع إيذاء زوجتك في الدنيا لك، وهي لم يرها ولن يراها أحدٌ إلا أنت، فإن أيقنت بذلك فهل تراك تعمل سيئةً قط؟ وهل تراك تكسل عن طاعةٍ قط؟ فهي لا تزيد على مر الأيام إلا جمالًا، فلا تزد أنت على الطاعات إلا استعجالًا.

❁ فيا طالبًا للمعالي وباذلًا للمهر الغالي.. هل ترضى بأقل من تلك الحورية.. فإن كنت لا ترضى فهل أعددت مهرها؟ إنه القرآن والقيام والصيام.. وما سماه النبي ﷺ بذروة السنام.

❁ فاجتهد واسأل الله الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن فإن الجنة درجات عددها كعدد آيات القرآن، وإن الله أعد للمجاهدين منها مائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض.

شرط دخول الجنة أن تكون طيبًا

❁ يعنى نقيًّا من الذنوب تمامًا، ليست فيك ذرة معصية، فإن كنت كذلك دخلت الجنة لأول وهلة، وإن غلبت حسناتك سيئاتك أخذت السيئات بمثلها من الحسنات، وكانت درجتك في الجنة بقدر ما بقي لك من حسنات، وإلا لزم أن تُنَقى.

❁ لذلك فإن الله تعالى قد وهب لك محطات لتنقِّيك حتى لا تدخل النار. فإن علمت تلك المحطات زاد حسن ظنك بربك، بل ظننت أن النار لن يدخلها أحدٌ أبدًا.

محطات التنقية

أولاً : في الدنيا :

١ـ التوبة : فتب الآن بدلًا من أن تزحف على الصراط فيقطع حده كل لحم ووتر ويخدش كل عظم وظفر.

٢ـ الاستغفار: استغفر من الذنوب التي تذكرها والتي لا تذكرها،فقد كان النبي ﷺ يستغفر في اليوم مائة مرة.

٣ـ الحسنات : واتبع السيئة الحسنة تمحها.

٤ـ المصائب المكفرة : فإنما يبتليك لينقِّيك ويصفِّيك ويكفر عنك من ذنوبك.

٥ ـ إقامة الحد عليه : ومن أقيم الحد عليه لا يُعذب على الذنب في الآخرة؛ لأن الله لا يعذب عبده على الذنب مرتين.

ثانيًا : عند الموت :

١ـ صلاة الجنازة : فمن صلى عليه أربعين شُفِّعوا فيه.

٢ـ فتنة القبر : فإن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، فمن لم ينقى قبل ذلك فهل يكفيه ظلمة القبر وضيق القبر ووحدته وسؤال الملكين.

٣ـ هدايا الأحياء إليك من ثواب الأعمال، فإن الحج والعمرة والصدقات والدعاء يصل ثوابها للميت.

❁ فإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : علمٌ ينتفع به، أو صدقةٌ جارية، أو ولدٌ صالح يدعو له.

ثالثًا : يوم القيامة :

١ـ أهوال القيامة : فرؤية الشمس وهي تُكوَّر والنجوم وهي تُنثر والبحار وهى تُفَجر وتشتعل والأرض وهى تُزَلزل، فهذا الرعب يمكن أن ينقيه.

٢ـ الوقوف بين يدي الجبار للسؤال : كيف استهنت بلقاء الملك وما الذي غَرَّك به؟

٣ـ شفاعة النبي ﷺ والأنبياء والصالحين.

٤ـ عفو الله ﷻ.

❁ فمن لم يكفه كل ذلك ليُنقى، فلابد أنه يستحق العذاب وسيبقى في النار بقدر ذنبه حتى تنقيه النار أو يعفو الله ﷻ عليه قبل إتمام العقوبة فيخرجه من النار ويدخله الجنة.

٨ ـ مجاهدة النفس

❁ هي فطام النفس عن الهوى، وهو بذل الجهد والطاقة حتى تستقيم النفس على أمر الله.

أنواع الأنفس : ثلاثة أنواع وهي :

١ ـ النفس الأمَّارة بالسوء ٢ ـ النفس اللوامة ٣ ـ النفس المطمئنة

أولاً: النفس الأمَّارة بالسوء :

❁ وهي مستقر الشر والقبائح والرذائل، وصاحبها لا يتوقف عن الفجور، ليس في الوقت الحاضر فقط، بل يخطط دومًا للفجور في المستقبل.

❁ ومثلها النفس الغافلة التي لا تدرى لماذا خُلقت ولا تسعى لدخول الجنة، وهذه النفس قد لا تفعل القبائح، وما ذلك إلا لأن الناس تستقذرها، ليس لأنها تُغضب الله.

❁ والناس في الدنيا فريقين **إما ضائع وإما طائع** وهم في الآخرة كذلك.

❁ وهذه النفس لا تعرف معروفًا و لا تنكر منكرًا، و قلبها أقسى من الحجارة، نعوذ بالله من قسوة القلب.

علاج قسوة القلب :

❁ وأنجح العلاج لذلك رؤية الموتى و زيارة القبور.

ـ فتخيل حين يضعون القطن على عينيك، فإنها أول شيء يسيل على التراب منك.

ـ أو حين يغسلك من لا تعلم أهو مشفقٌ عليك أو شامتٌ فيك.

ـ فإذا قَلَبَكَ خرجت منك نجاسة لا تستطيع لها دفعًا، ولا تستطيع لنفسك ضُرًّا ولا نفعًا.

ـ فإذا أهالوا عليك التراب كأني بك تصرخ : « لا تتركوني ».

ـ فإذا أتاك ملكان أسودان أزرقان وأقعداك للمحاكمة، فيا له من خذلان، ويالحسرة الندمان.

❁ إن أنفع شيء لقسوة القلب أن ترى المرضى ومن أشرف على الموت.

ـ وقد علا منهم الصراخ والأنين، أو ذهلت منهم العقول عن التدبير، أو هزلت منهم الأبدان عن الحراك، أو سال منهم البول والبراز أمام حشد الزائرين.

ـ فأين لذة الطعام الشهي؟ وأين راحة المركب الهني؟ وأين الغفلة بدفء الغطاء عن تلبية النداء « الأذان »؟ وأين لذة الأكل كان في نهار رمضان؟ وأين الزوجة الحسناء؟ والقصر المنيف؟ هل بقى معه من لذة ذلك شيء أو استقر عنده من نعيم ذلك شيء ؟!

ثانيًا: النفس اللوامة :

❁ وهي التي تندم عند المعصية وتشعر بالتقصير في حق الله وتكثر من لوم صاحبها، فهي تلومه إذا وقع في الذنب، وتلومه إذا فعل الحسنات أنه لم يستكثر منها. لكن هذه النفس تحتاج من يذكرها دومًا بالآخرة.

❁ فنحن نحتاج أن نحاسب أنفسنا كل يوم ونلومها.

ـ نلومها على ما كسبت ألسنتنا من كذب وغيبة واستهزاء وسباب، فإن هذا أكثر ما يُكِبُّ الناس في النار ـ حصائد ألسنتهم.

ـ يجب أن نلوم أنفسنا على إطلاق البصر، ونعلم أن غض البصر مفتاح حياة القلب ونور البصيرة.

ـ ويجب أن نمنع أنفسنا من شبهات المكاسب، فإن أكل الحرام يمنع إجابة الدعوات.

ثالثًا: النفس المطمئنة :

❁ وهي مستقر الإيمان، وهي نفس عرفت الله تعالى، فوحدته واطمأنت به ولم تحتر في أودية المِلَل والمذاهب.

❁ وهذه النفس تحب الله وتشتاق إليه وتخشاه وتخشع له.

❁ وقد يتقلب الإنسان بين هذه الدرجات وهذه الأنفس حسب داعي الهوى وحسب مجاهدته لنفسه.

إنما آفة النفس الهوى :

❁ من أحب شيئًا وأطاعه، وكان غاية قصده مطلوبه، ووالى لأجله وعادى لأجله، أصبح عبد ذلك الشيء وكان ذلك الشيء وهذا **الهوى معبوده وإلهه** ، قال تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[الفرقان : ٤٣].

ـ فمن قصد الدنيا والمال والزينة وطلبها على غير هدى من الله، ولم يبالِ أهي بما أحل الله أم بما حرم، فإنما استعبدته هذه الأشياء وتعلق قلبه بها من دون الله، وصار عبدًا لها، وعبدًا لما يهواه، إذ تَعلقُ القلب هو الرق والعبودية، **وإنما العبودية هي عبودية القلب.**

ـ فإنك تجد عبد الدنيا والمال والزينة لا يهوى شيئًا إلا فعله وركبه، لا يبالي أمن الحلال أم من الحرام.

ـ فإن من وقع في هوى شيء وعشقه فإنه لا يستطيع أن يثنيه عن مراده عقوبة الدنيا ولا الآخرة.

ـ فلا يثنيه ألم غربة قلبه الذي يشعر به بعد المعصية، ولا ما ينكل الله به من فقر وغيره في الدنيا ولا عذاب القبر ولا نار الآخرة، ولا يزيده ذلك إلا إقدامًا وحرصًا على الظفر بحاجته.

❁ فهو يظن أن السعادة في جمع المال والغنى، **وما علم أن الغنى بطلب المال هو عين الفقر إلى المال**، وإن تعلق القلب به وقصده من دون الله هو عبادته من دون الله، **وأما الغنى عن المال والشهوة فهو الغنى الحقيقي**؛ لأن المال لا يستعبده ولا يذله، ومن يستغني بقلبه عن المال تصفو عبوديته لله وحده.

❁ وإن مدمن الخمر الذي وقع في هواها لم يعد حرًا في أفعاله بل هو عبدٌ لها، قد أسرته إلى حضيضها فلا يستطيع أن يخرج من رقها.

❁ والقصد والتعلق إنما هو فعل القلب لا فعل الجوارح، فكم ممن مَلَكَ عَرَضَ الدنيا لم يتعلق بها بل تعلق قلبه بربه ورضاه فلم يخرج عن عبودية مولاه.

ـ وكم من فقيرٍ لهث خلف الدنيا وكانت غاية قصده وُمناه ولم يُحَصِل منها شيء، ورغم ذلك هو عبدها لشدة تعلق قلبه بها.

❁ **وعلامة عبودية القلب للهوى أنه إذا أُعطى ما يهواه رضي وإن مُنع سخط**، فرضاه وسخطه لغير الله، أما المؤمن فإنه يرضيه ما يرضى الله ويسخطه ما يسخط الله، ويحب ما يحبه الله ورسوله ويبغض ما يبغضه الله ورسوله.

❁ فكل ما عُصي الله به من الذنوب فسببه تقديم العبد هواه على أوامر ربه ومولاه.

❁ فكن عبدًا لله لا عبدًا للهوى؛ **فإن الهوى يهوى بصاحبه في النار**.

❁ ومن علم أن إلهه ومعبوده فرد فليفرده بالعبودية ولا يتبع شعب الهوى وأوديته.

أنـواع الجهـاد

١ ـ جهاد النفس. ٢ ـ جهاد الشيطان. ٣ ـ جهاد العصاة. ٤ـ جهاد الكفار.

(١) جهاد النفس

١ – وهو مجاهدة النفس في نهيها عن الشهوات.

٢ – ومجاهدة النفس في أمرها بفعل الخيرات.

٣ – ومجاهدة النفس في تعلم العلم النافع من علم التوحيد وفقه الفرائض.

٤ – ثم مجاهدة النفس في العمل بهذا العلم وإقامة الدنيا بشرع الله.

٥ – ثم مجاهدة النفس في دعوة الناس إلى هذا الحق.

٦ – ثم مجاهدة النفس على ما ستلاقيه في سبيل ذلك من أذى، ففي هذا الطريق ذُبح نبي الله يحيى عليه السلام ، ونُشر زكريا عليه السلام بالمناشير، وأُلقى إبراهيم عليه السلام في النار.

❁ فإذا أتممت جهاد النفس **أصبحت من الذين إذا أقسموا على الله أبرَّ قسمهم.**

❁ فإذا انتصرت على نفسك كنت على غيرها أقدر، فما الدابة الجموح بأحوج إلى لجام من نفسك.

❁ واعلم أن **رؤوس الهوى ثلاثة** : المال والنساء والمناصب، فإن **المأسور من أسره هواه** إلى شيء منها، وإن كان رئيس الناس، والحر من تحرر من رقِّها، وإن كان أسير الجسد، فإن المحبوس من حُبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه.

❁ فانظر هل أنت الذي تقود نفسك بشرع الله، أم أن الذي يقودها هواها على غير هدىً من الله، فأصبَحَتْ تعبد الهوى من دون الله، قال تعالى : ﴿ **أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ** ﴾ [الفرقان : ٤٣].

❁ ومن غلبه هواه لم يقدر أن يرحل إلى مولاه، وكيف يرحل من هو مُقيدٌ بشهواته وقد أبطأت به غفلاته؟

❁ واعلم أن أفضل مُروِّضٍ للنفس وكابح لزمامها هو كثرة السجود، وأن تمنعها بعض المباحات فتيأس من الوصول إلى المكروهات فضلًا عن المحرمات.

(٢) جهاد الشيطان

❁ فهو يوسوس بالشهوات والشبهات.

❁ فأما **الأول** : وهو مجاهدة **وسواس الشهوات، فلا يتم دفعه إلا بالصبر**، وسبيل ذلك أن يناجي العبد نفسه ويقول لها : إنما العمر أيامٌ قليلة و « **الدنيا ساعة فاجعلها طاعة** »، « **ومن قَصُرَ أمله صَلحَ عمله** » ، « فإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ».

❁ ثم انظر إلى الشهوات فإنها حقيرة، ولا يأتيها إلا أراذل الناس، وهي تُسقط المروءة، وهي لذة قصيرة وتعقبها حسرة طويلة، فصبر ساعة أهون من ألم كل ساعة.

– واعلم أنه من استذله الشيطان بالشهوات لم يقدر على عظائم الطاعات.

❁ وأما **الثاني** هو : مجاهدة **وساوس الشبهات**، فالشيطان يأتي للعبد فيشككه في الله وفى رحمته، ويشككه في الرسول ﷺ وفى صدقه، ويشككه في المؤمنين وفى إخلاصهم، **ولا ينجو العبد من ذلك إلا باليقين والعلم النافع.**

❁ ولا تتم مجاهدة الشيطان إلا بالصبر واليقين، **ومن تمَّت له مجاهدة الشيطان نال الإمامة في الدين « فبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين ».**

❁ وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجاهد الشيطان حتى غلبه، وخافه الشيطان حتى أنه كان يرجع عن الطريق الذي يسير فيه عمر رضي الله عنه فيسلك طريقًا غيره.

وسواس الشيطان في الصلاة :

❁ واعلم أن الشيطان يوسوس للمسلم في صلاته حتى يقطعها عليه ما استطاع، ولكنه لا يوسوس لأهل الكتاب ولا المشركين.

وسبب ذلك :

❁ أن الصلاة صلة بين المسلم وربه، والمسلم يستعين بالله ويستعيذ به من الشيطان، فيطلب العون منه ويلتجأ إليه ويحتمي بجنابه حتى لا يقطع الشيطان عليه صلاته بوساوسه، وحتى يظل الاتصال كاملًا بين المسلم وربه طيلة وقت الصلاة.

❁ لكن اليهود والنصارى والمشركين صلاتهم صلة بينهم وبين الشيطان، فكيف يقطعها الشيطان عليهم وهم يتصلون به؟

الفرق بين وسواس الشيطان وهوى النفس :

❁ الشيطان يوسوس بالمعصية، فإن جاهدته انتقل لمعصية أخرى، وهكذا ثالثة و رابعة، فهو لا يريد معصية بعينها، وإنما يريدك أن تزل فقط.

❁ أما النفس، فإنها تهوى معصيةً بعينها، تلح عليها إلحاحًا، وتعتادها لدرجة أن الشيطان لا يحتاج أن يزين للنفس هذه المعصية، ولأن النفس اعتادتها فإنها لا تجد لذة في إتيان تلك المعصية، ولكن تتألم إذا تركت ما اعتادت عليه.

ـ وسبب ذلك أن العبد لم يغلق الباب في وجه الشيطان أول مرة، فوقع في المعصية، فاختارتها نفسه ووقعت في هواها، فلم تعد تستطيع مفارقتها.

❁ لذلك في رمضان تصفَّد الشياطين، لكن ما زالت النفس تلح على صاحبها بالهوى، وهذا من أسباب عدم انقطاع المعاصي في رمضان رغم تصفيد مردة الجان.

ماذا يريد الشيطان :

١ـ أعظم ما يدعوك الشيطان إليه هو **الكفر** بأنواعه من الردة، بفعل ما ينقض الإسلام، أو الشرك بتوجيه شيء من العبادة إلى غير الله، أو النفاق، أو الشك في الله وقدرته، فإن رفضت ذلك.

٢ـ دعاك إلى **البدعة**، وأن تعتقد في صفات الله ما لا يليق به، أو تعترض على قدره أو تخترع طريقة في العبادة لم يفعلها رسول الله ﷺ، وقلما يوفق صاحب ذلك من البدع إلى توبة قبل الموت والعياذ بالله، فإن اعتصمت بالكتاب والسنة وأبيت ذلك.

٣ـ دعاك للوقوع في **الكبائر**، من عقوق الوالدين أو ربا أو غيبة أو ما يستوجب حدود الله من الزنا وشرب الخمر، فإن لم تفعل.

٤ـ زَيَّن لك **الصغائر** وإطلاق البصر فإن اعتصمت بالله.

٥ـ شغلك **بالمباحات** حتى يُضيع عليك الأوقات التي هي رأس مال الطاعات، فإن أبطلت كيده.

٦ـ شغلك **بالمفضول عن الفاضل**، فإذا دخلت خلوتك بعد العشاء تطلب العلم أمرك هو بقيام الليل وقيام الليل أقل من طلب العلم، وإنما همه أن ينقص حسناتك إن لم يزد سيئاتك، فإن كنت من أصحاب الهمة العالية لم يجد إليك سبيلًا.

٧ـ فقام **يؤزعليك من حولك** أزًا بأنواع المشاكل، يُضيع وقتك ويُوهن عزمك، ويشغل فكرك، ويشتت شملك، ويقطع عليك الطريق إلى ربك، فوجب عليك أن تستعيذ منه في بداية كل عملك، فإن الله يعينك عليه ويجعل كيده ضعيفًا، وهو تعالى لم يجعل له على المخلصين سبيلًا.

(٣) جهاد العصاة

❁ **وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

١ . وأول مراتبه الإنكار باليد لمن كانت لك ولاية عليهم، كالإمام له ولاية على رعيته، والأب له ولاية على بيته، وصاحب العمل له ولاية في شركته، وكل من مُكِّنَ في مكان فله ولاية عليه.

ـ وهو مأمور أن يقيم فيهم الصلاة والفرائض ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر.

٢ ـ **والمرتبة الثانية الجهاد باللسان**، وهو حين لا تكون لك ولاية على من تأمرهم، ولكن مازالت فريضة النصح قائمة عليك، فتنصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

٣ ـ **وأدنى المراتب الانكار بالقلب** « وهو أضعف الإيمان ».

الحسبة

❁ وجهاد العصاة هو الذي يسمى في الشرع « **الحسبة** ».

❁ **والمحتسب** هو رجل يعينه الخليفة أو أمير المؤمنين في الدولة المسلمة، وهو يسير في الأسواق والمساجد وتجمعات الناس يأمرهم بالمعروف، وإذا وجد منكرًا أزاله بيده، ثم ينصح لهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

❁ ومتى عُطِّلَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلدةٍ **إلا انتظرت العذاب**.

❁ ومتى أهمل أئمة الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تجنبًا لأذى الناس أو تلافيًا لإحراجهم، إلا ابتدأ الله بهم حين ينزل العذاب.

لكن درء المفاسد أولى من جلب المصالح

فلا ينهي عن منكر باليد أو باللسان وهو يعرف أنه سيؤدي إلى منكر أخر أكبر منه، أو سيعود على مسلمين آخرين بمنكر أكبر منه، فيصبح ترك المنكر الأول أهون، لكن بشرط عدم إقرار القلب له.

لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة

❁ فقد كان النبي ﷺ يصلي هو وأصحابه في صحن الكعبة زمن الاستضعاف بمكة، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا، ولم يأمر النبي ﷺ أصحابه يومًا بتحطيم واحد منها، بل نزل الأمر الإلهي المباشر إلى العصبة المؤمنة بالكف عن ذلك والكف عن الكفار.

❁ ولا شك أن وجود الأصنام دليل على الشرك ودليل على عبادة غير الله، وهذا هو الكفر الصريح، ولا شك أنه أكبر في المنكر من وجود بعض أماكن اللهو والفجور التي تفعل فيها المعاصي والكبائر التي ليست كفرًا، فالكف عنها في زمن الاستضعاف من باب أولى.

❁ ولقد كانت في مكة مثل ذلك من الخيام ذوات الرايات الحمراء تضعها البغايا إعلانًا بأن هذه الخيمة مكانًا للزنا، ولم يهدم النبي ﷺ ولا أصحابه واحدة منها طوال العهد المكي، ثلاثة عشر سنة من بداية الدعوة.

❁ **حتى كان يوم الفتح** هدمها النبي ﷺ كلها في ساعة واحدة **ولم يهراق في سبيل ذلك قطرة دم** واحدة زكية من أحد الصحابة هدمها وهو يقول: ﴿ **وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [الإسراء: ٨١].

❁ بل وأرسل أصحابه كخالد بن الوليد رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لهدم كل أصنام العرب وقتل من حال دون ذلك من سدنتها في يوم واحد، ولم تراق في سبيل ذلك قطرة دمٍ واحدة.

❁ وحدثني بربك ماذا كان سيحدث لو كسر أحد الصحابة أصبعًا واحدًا لأحد هذه الأصنام زمن الاستضعاف؟ كم كان سيراق في سبيل ذلك من دماء الصحابة سادات أهل الجنة؟ وكم كان ذلك سيضر بالدعوة جدًا أو يمنعها؟ وكم كان ذلك سيؤدي إلى غضب الكفار ويستثير حفيظتهم وسيجعل من يريد الدخول في الإسلام أن يرجع عن رأيه لما يرى من الإهانة والتنكيل تنزل بأتباعه؟

❁ إنه الوحي والنبوة الذي حقن دماء الصحابة، الذين أصبح الواحد منهم بعد ذلك يقود الجيوش ويدمر ممالك الكفر والناس خلفه، وأصبح الواحد منهم بعد ذلك يهتدي على يديه أمة تلو أمة، ويدخل بسببه الناس في دين الله أفواجًا، أليس من الخطأ أن يهراق دمه لأجل صنم قبل أن يحقق الله على يديه كل هذا الفتح؟

(٤) جهاد الكفار

١ ـ **وأول مراتبه بالقلب**، بأن تبغضهم وتبغض كفرهم ولا تتشبه بهم ولا تَودهم.

٢ ـ **وثاني المراتب باللسان**، فتظهر مساوئهم وتظهر محاسن الإسلام.

٣ ـ **وثالثه بالمال**، تنشر الإسلام، وتبطل دين الخذلان، وتؤلف به القلوب.

٤ ـ **ورابعها بالنفس**، وهو المخاصمة الكبرى، والمفاصلة العظمى، وهو ذروة سنام الدين، وأعلى درجات الإسلام، والعاقبة عليه إحدى الحسنيين « نصرٌ أو شهادة »، وهذا أكبر بذل لله، وعليه أعظم عطاءٍ من الله « **الفردوس الأعلى** ».

❁ وهذه الفريضة لا تسقط عن أحدٍ أبدًا، حتى غير المستطيع **لابد أن يعقد العزم على الغزو في سبيل الله حين يستطيع**، وإلا مات على شعبَّة من النفاق.

❁ من غلبه هواه وأحب أحد الأمور الثمانية «الآباء والأبناء والإخوان والزوجات والعشيرة والأموال والتجارات والمساكن» أكثر من حبه لربه و لرسوله وللجهاد في سبيله فهو فاسق، فإن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يتوعد بالعقاب والنكال من آثر هذه الأشياء أو بعضها على فعل ما أوجبه الله من الأعمال التي يحبها كالجهاد ونحوه.

❁ رغم أن الجهاد فيه تلف لنفسه وماله، وهي أحب الأشياء عنده، لكن حبه لله ولما يحبه الله أعظم من حبه لنفسه، والله يحب أن تموت في سبيله، فتجده يحب ما يحبه الله أكثر من حبه لسلامة نفسه وماله.

ومن أحكام الجهاد :

❁ تجنب قتل من لم يقاتل من الرهبان والنساء والأطفال والشيوخ.

❁ تحريم الغدر بالعدو وبدئهم بالقتال إلا بعد أن تبلغهم الدعوة حتى لا يظنوا أن المسلمين يقاتلون للدنيا والملك، وإنما هم يقاتلون للدين، فإذا علموا ذلك فلعله أن يميلهم إلى الحق والإسلام، وهذا في أول الحرب فقط ليس بين الجولات.

❁ وتحريم الأخذ من الغنائم قبل تقسيمها.

❁ وكراهية تشويه جثث الكفار والتمثيل بها.

❁ وتشريع الجهاد باقٍ حتى تضع الحرب أوزارها، وذلك حين ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام ولن يرفع تشريع الجهاد إلا بعد قتل اليهود والكفار، فإنه لن يقبل إلا الإسلام أو السيف، وإنه سينسخ تشريع الجزية فهي الحكم الوحيد الذي يُنسخ بعد موت النبي محمد ﷺ ؛ لأن حكمة تشريعها أنها تؤخذ من أهل الكتاب صغارًا لهم وللدفاع عنهم ويظلوا على دينهم، لكن نبي الله عيسى عليه السلام لن يقبل أن يظلوا على دينهم الباطل، فلا تبقى ملةٌ في الأرض غير الإسلام، فيكون الإسلام وقتها ظاهرًا في كل الأرض ويكون الدين كله لله.

أجر المجاهد :

❁ فإن فرس المجاهد ليتمشى في مسافة لجامه الذي رُبط فيه، فتكون للمجاهد حسنات، وإنه ليقطع اللجام، فتكون له حسنات، وإن الفرس ليشرب فتكون للمجاهد حسنات، وإنه ليتبول فتكون له حسنات، فيعطى المجاهد حسنات على كل وجه، ويأخذ المجاهد هذا الأجر على فرسه وعلى كل ما في معناه مما يستعين به من عتاد الحرب الحديثة، **فكيف يكون أجره هو على سعيه وطاعته وعبادته؟**

قال ﷺ: «**إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِي طِوَلِهِ فَيُكْتَبُ لَهُ حَسَنَاتٍ**»[(١)].

❁ ولا يبلغ أجر المجاهد من قام يصلى الليل فلا يفتر ويصوم النهار فلا يفطر، ولا يبلغ بكل تلك العبادة ما يُكتب للمجاهد من الحسنات والأجر حتى وهو نائم.

سئل رسول الله ﷺ عن أجر المجاهد فقال: «**الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله مَضْمُونٌ عَلَى الله إِمَّا أَنْ يَكْفِتَهُ إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَإِمَّا أَنْ يَرْجِعَهُ بِأَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ وَمَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الَّذِي لَا يَفْتُرُ حَتَّى يَرْجِعَ**»[(٢)].

❁ وأفضل الخلق من أتم كل مراتب الجهاد، وهو النبي ﷺ.

❁ وتزيد درجتك في الدنيا والآخرة كلما تشبهت بالنبي ﷺ وأتممت ما استطعت من مراتب الجهاد. **ومن اقتدى فقد اهتدى.**

---

(١) رواه البخاري (٢٧٨٥).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٧٥٤)، وصححه الألباني.

٩ ـ المحاسبة

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾. [الحشر : ١٨].

❁ من حاسب نفسه قبل أن يحاسب، خَفَّ في القيامة حسابه، وسَهُل عند السؤال جوابه، وحَسُنَ منقلبه ومآبه.

❁ ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في ساحات القيامة وقفاته، وإلى الخزي والمقت قادته سيئاته.

فالبدار البدار قبل فوات الأعمار، فالتوبة التوبة أيسر من طلب الأوبة، وهيهات حين مندم.

❁ واعلم أن الصالحين لم يحاسبوا أنفسهم على صغائر ذنوب الجوارح فقط بل حاسبوها على دقائق خطرات القلوب.

❁ اعلم أن أنفاس العمر جواهر ثمينة، إذا ضاع أحدها في غفلة لا تسترده إلى يوم القيامة، وكل نَفَس منها يمكن أن تشترى به كنز من كنوز الجنة لا ينتهي نعيمه أبدًا.

❁ أليس كل نفسه يمكن أن تذكر به الله فيكتب لك من الحسنات ما لا ينتهي ثوابها إلى أبد الآباد، أو تفعل فيها سيئات تدوم عليها الحسرات ولا تنفع فيها يوم القيامة العبرات؟

العبد يشترط على نفسه قبل العمل :

فالعبد يشترط على نفسه قدرًا من الأعمال الصالحة ويلزمها بذلك ويبدأ بالفرائض ثم النوافل ويقول لنفسه : « إعملي فربما تكون آخر ليلة لك فلا تضييعها. »

ـ ويعامل نفسه كالشريك الخوان الذي يريد أن يسرق لنفسه دائمًا، فهي تحب العجب وتحب الرياء وهذا يحبط العمل، وهي تحب المباحات بل الشهوات، وهذه السيئات تبطل مثلها من الحسنات.

❁ فيجب عليه أن يلجم نفسه ويزجرها ويشرط عليها ويحقق النية قبل العمل.

❁ فيقف العبد مع نفسه ويقول يا نفس إن عمري رأس مالى أتاجر فيه مع ربى، ويجب أن استغل كل نفس فيه لأحصل على أعظم الأرباح من ربى، فالتجارة معه أربح التجارة، والحسنة عنده بعشر أمثالها، ولا يهلك عند الله ولا يخسر إلا من يستحق الهلاك.

❁ فإن انتهى عمري توقفت كتابة الحسنات وتوقفت تجارتي مع ربى إلا من ثلاث ولا أدرى متى ينتهي عمري فلأجتهد الآن، فإنه وقت الإمهال قبل الندم عند حلول الآجال.

❁ ثم قف واندم على ما مضى من تضيع الوقت في المعاصي والغفلات، وَهْب أن الله تعالى بِمَنِّه قد عفي عن السيئات، أليس قد فاتك ثواب المحسنين الذين استغلوا تلك الأوقات في الطاعات؟ فياحسرتك حين يسبقك السابقون، ويا بعدك حين يفوز المقربون، فإن لم تكن مع المقربين فكن من الأبرار الذين هم دونهم في دار القرار، وإن لم تدرك منازل الأبرار فما لكلامي حاجة إلى التكرار.

❁ ثم قل إن هذا اليوم الجديد قد أنعم الله به علىَّ وأمهلني فيه، ولو توفاني لكنت أتمنى أن يُرجعني إلى الدنيا يومًا واحدًا أعمل فيه صالحًا، فاحسبي يا نفس أنك قد توفيت ثم رَدَكِ فلا تضيعي اليوم ولا ساعة منه ولا تميلي إلى الكسل فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك.

❁ والزمي الاستقامة وانقادي للحق، فَمَالَكِ يا نفس عن الهدى من مفر.

فيا عين : لا تنظري إلى مُحَرَمْ وإنما طالعي الصالحين الذين يذكرونك بالله، وطالعي كتب العلم النافع، ولا تنظري بالاحتقار إلى مسلم، وإنما انظري بالاحتقار إلى عملك إذا قورن بنعم الله عليك.

ويا لسان : دعك من الغيبة والكذب والنميمة، فقد خُلقت للذكر وتلاوة القرآن وتعلم العلم وإرشاد الناس إلى طريق الله وإصلاح ذات البين.

ويا بطن : تقللي من الطعام حتى تلحقي بالكرام، واجتنبي شبهات المكاسب لِتُجاب لك المطالب، وابتعدي عن الشهوات حتى تفوزي بالجنات.

العبد يوبخ نفسه بعد العمل :

❁ فينبغي أن يكون للمرء ساعة في آخر النهار يحاسب نفسه فيها على جميع حركاتها وسكناتها.

❁ فيحاسب نفسه ! كم أتمت من الأعمال الصالحة التي ألزمها بها في البداية.

❁ فإن وجد أعمالًا صالحة فليفتش فيها، هل خَلَتْ من الرياء أو طلب الدنيا أو العجب بها أو المن على الله أو على خلقه؟ وهل كلها كانت على السنة لم تَحِدْ عنها أبدًا؟ وهل هذا منتهى اجتهاده أم أنه كان يستطيع الاجتهاد أكثر من ذلك؟ وهل لم يكن في العمل كسلٌ البتة؟

❁ فإن وجد معاصي فليبادر بالندم على نقصان رأس ماله بدلًا من زيادته، فإن المعاصي أكلت من الحسنات الماضية بمثلها، وليسارع بالتوبة وليعزم على عملٍ صالحٍ ليمحوها.

❁ وليتفكر كيف وقع في تلك المعاصي وكيف أغواه الشيطان فينتبه ألا يقع في شركه مرة ثانية.

❁ ثم ليحدث نفسه : أتظنين أنك تطيقين عذاب الله؟ فاحتبسي يا نفس في شمس الظهيرة يوم صيفٍ ساعة، أو ضعي أصبعك في لهيب النار دقيقة، فإن كنت لا تستطيعين هذا وهو لا يقارن بعذاب الله فلمَ تجرأت على معصيته؟

❁ أم أنك تغترين بكرمه وفضله وأنه سيغفر الذنب؟ فلماذا لا تغترين بكرمه في طلب الأرزاق وتتركي السعي؟ فإن كنت لا تفعلين ذلك وتجتهدين في طلب الدنيا والمال بالسعي الشديد، فالآخرة أولى بالاجتهاد في طلب درجاتها بالسعي الشديد.

❁ ثم يحاسب نفسه على أفعال جوارحه سمعه وبصره وخطرات قلبه، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء : ٣٦].

❁ فيحاسب نفسه ماذا سمع اليوم ؟ وبماذا تكلم ؟ وفيما أنشغل فكره ؟ وأين انطلقت عينه ؟ وهل صدَّق ذلك فرجه أم كذَّبه؟ وماذا فعلت يده ؟ هل مست امرأة لا تحل له ؟ أم أخذت رشوة أم أخذت ربا أو ميسر؟ وإلى أين مشى ؟ إلى مساجد الله أم إلى حرمات الله؟ لا يترك من ذلك شاردة ولا واردة إلا حاسب نفسه عليها.

أوقات المحاسبة

١ – يحاسب نفسه نهارًا على عمل الليل، وليلًا على عمل النهار، قال ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا إلى النبي ﷺ : «**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ**»(١).

فإذا أخذ مضجعه لينام حاسب نفسه عل أفعال النهار، وإذا أصبح حاسب نفسه عن الليلة؛ هل ضاعت في النوم أم في اللهو؟ وهل كان لهوًا مباحًا مع زوجته وأولاده أم لهوًا محرمًا؟

٢ – فإن لم يستطع، حاسب نفسه كل يوم مرة عند النوم.

٣ – فإن لم يستطع حاسب نفسه في الأسبوع مرتين الاثنين والخميس، قال ﷺ : «**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ**»(٢)، فيستحضر عرض الأعمال، ويفتش فيها قبل أن تعرض على الله، وينقي هذه الأعمال من كل ما لا يحبه الله، حتى لا تفاجأ يوم القيامة أن ما كان يعرض من الأعمال كان يبغضه الله.

٤ – ثم المحاسبة كل سنة، كما قال النبي ﷺ عن شعبان : «**ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَفِيهِ تُرْفَعُ الْأَعْمَالُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦).
(٢) رواه مسلم (٢٥٦٥).
(٣) حسن: رواه أحمد (٢١٢٤٦)، وحسنه الألباني.

١٠ ـ المراقبة

❁ هي أن يراقب الإنسان ربه في باطنه وظاهره.

❁ مقام المراقبة هو مقام الإحسان، فلما سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإحسان أجابه ﷺ : «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

كيف يصل الإنسان إلى المراقبة :

بأن يستحضر أن الله يراه ويستحضر عظمة الله.

فوائد المراقبة :

١ – **الإخلاص** : فمتى استحضر رؤية الله له زال عنه الشعور برؤية الناس وكأنهم غير موجودين فزال الشعور بطلب مدحهم أو الهرب من ذمهم.

٢ – **استحضار عظمة الله** وواسع قدرته ودقيق سمعه وكمال بصره وعلو صفاته.

٣- **يستحضر أن الله لا يخفي عنه شيء** من أعمال عباده، قال تعالى مخبرًا عن لقمان وهو يعظ ابنه : ﴿ **يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان : ١٦].

٤- **استحضار موقفه بين يديه غدًا للمحاسبة.**

٥ – **فيحسن العبادة** جدًّا بتمام الإخلاص وكمال الإتباع، ويحسن ظاهره وباطنه.

٦ – **فيصون لسانه** وعينه وفرجه عن كل ما لا يحل، ويصون بطنه ومطعمه ومشربه عن الحرام.

---

(١) رواه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٨، ٩).

١١ ـ الصبر

❁ الصبر هو حمل النفس على ما تكره ابتغاء وجه الله، قال تعالى : ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة : ٢٥٠].

❁ الصبر نصف الإيمان، والصبر ضياء، وما أُعطى أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر، وقد ذكره الله في تسعين موضعًا في كتابه، لذلك كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد والتصبر لا يكون إلا بمعونة الله.

❁ إن الله تعالى قَدَّرَ وجود البلاء في حياة عباده المؤمنين ليرى منهم ما يحب من الصبر والتوكل والإنابة التي لن يفعلوها لولا البلاء، والله جعلها من أسباب رفعتهم في الجنة، لذلك أمرهم أن يستعينوا على البلاء بالصبر

لابد في الصبر من الاستعانة بالله

قال تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل : ١٢٧] فمن لم يصبره الله فلن يصبر، فإنك لن تحقق الصبر إلا بمعونة الله، وإنك لن تعبده إلا بمعونته، قال تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة].

قال تعالى : ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة : ٤٥].

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة : ١٥٣].

لابد أن يتكلف الإنسان الصبر

– قال ﷺ : «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله»[(١)]، فلابد أن يأمر نفسه بالصبر ويكرهها عليه رغم ما تميل إليه النفس من الجزع والشكوى إلى الخلق.

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٩).

وسماه النبي ﷺ الصبر « خير العطاء » و « أوسع العطاء ».

قال ﷺ : «**وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ**»(١).

يعني عطاء الصبر خيرٌ للعبد وأوسع من إعطائه ما يحب، مثلًا من أعطاه الله عافية ومالًا وأعطى غيره بلاءًا وأعطاه مع البلاء صبرًا، فما أعطاه المبتلى من الصبر أوسع وأفضل مما أعطاه المعافى، فالصبر أوسع من النعمة؛ **لأن ثواب الصبر باقٍ والنعمة زائلة.**

فضل الصبر وجزاؤه

١ – الصابر يفوز بمعية الله ﷻ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾ [البقرة : ١٥٣].

٢ – الصبر سبب الفلاح، قال تعالى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ٢٠٠].

فمن أسباب الفلاح في الآية :

١ – الصبر ٢ – المصابرة على الأعداء ٣ – المرابطة لحراسة الثغور٤ – التقوى.

ـ ومن أنواع الرباط قوله ﷺ : «**أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ١- إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، ٢- وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، ٣- وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»(٢). وهذه الأنواع الثلاثة العظيمة من الرباط مردها جميعًا إلى الصبر؛ لأنه لا بلوغ إليها إلا بالصبر.

٣ – جزاء الصبر يكون بلا حساب، قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر : ١٠]، يعني يثابون بغير أن ينصب لهم ميزان، ويعني يثابون بغير عددٍ للحسنات، وبمضاعفات لا يعلمها إلا الله.

❁ فمن تحمل مشقة التكاليف في الدنيا وصبر عليها خفف عنه الحساب يوم القيامة.

---

(١) الحديث السابق.

(٢) رواه مسلم (٢٥١).

❁ ومن استمتع بالدنيا وهرب من مشقة التكاليف ثقل عليه الحساب يوم القيامة.

❁ وإن الصابر حين يصبر لا يعلم متى ينتهي صبره الذي ينتهي بانتهاء بلائه «وربما كان قريبًا»، **فيكون جزاؤه من الله كذلك بلا نهاية**، فكما كان لا يعرف حدًا ينتهي إليه صبره كذلك يجعله الله لا يعرف حدًا لثوابه، وكما كان يوطن نفسه أن صبره بلا نهاية كذلك يجعل الله ثوابه بلا نهاية.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٤ – الصابر يجعله الله إمامًا في الدين، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا**﴾ [السجدة: ٢٤].

فبصرهم أصبح يُقتدى بهم ويُهتدى بهداهم، وأصبحوا قادة في الدنيا وأئمة في الدين، **فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين**، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: ٢٤]، فاليقين هو سبب الصبر وهو سبب التوكل.

فالصابر يصبر لتيقنه بوعد الله بحسن جزاء المحسن في الجنة، وسوء جزاء المُعرض في النار، وباليقين بوعد الله بقرب الفرج وقرب النصر وإن كان من المستضعفين.

ـ سُئل الشافعي: أيها أفضل للرجل: أن يمكن؟ أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى.

٥ – الصبر حظ عظيم، قال تعالى: ﴿**وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت: ٣٥]

فبعض الناس يعدد الأشياء التي حُرِمَ منها، وكان أولى به أن يعدد نعم الله عليه، ومن أهمها الصبر.

❁ **والبلاء الذي معه صبر أوسع من النعمة التي ليس معها شكر.**

٦ – الصبر ضياء، قال ﷺ: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»[(١)].

فهو يضيء قلب الإنسان ونفسه، وهو سبب لانشراح الصدر.

٧ – البلاء دليل حب الله لك.

قال ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»[(٢)].

❁ وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، وأشد الناس بلاءًا الأنبياء ثم الأشبه بهم، ويُبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه ضعف ابتلى على قدر دينه، والبلاء في حق الأنبياء هو في الحقيقة رحمة لهم كما هو رحمة لجميع المؤمنين.

الفرق بين ابتلاء رفع الدرجات وابتلاء العقوبة

- الأول ابتلاء محبة للعبد، والثاني ابتلاء سخط عليه.

- الأول يزيد معه الإيمان، والثاني يقل بعده الإيمان.

- الأول عامته تنزل على المؤمنين، والثاني عامته تنزل على العصاة والمجرمين.

- الأول يكون معه الصبر والشكر والاحتساب والرضا، والثاني يكون معه الجزع وعدم التسليم والتسخط وترك الفرائض والصلوات وإفساد الصيام.

والدليل أن ابتلاء رفع الدرجات يزيد معه إيمان المؤمنين لما يكون معه من الرضا والاحتساب، قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٢٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وصححه الألباني.

الصبر ثلاثة أنواع

أولاً: الصبر على فعل الطاعات : فقد حُفت الجنة بالمكاره:

❁ فيقاوم الكسل عن الصلاة، ويقاوم البخل عن الزكاة، ويقاوم الجبن عند الجهاد. فيجب أن تنشغل دائمًا بالطاعات **فنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل** والقلب الفارغ كالقدح الفارغ من الماء أو جزء منه، فلابد أن يملؤه الهواء، والهواء هنا هو الهوى، وهو وساوس الشيطان.

ـ فلو غفلت لحظة عن شَغْل قلبك بالنيات والأعمال الصالحة تسرب إليه الشيطان ولابد.

❁ وهذا النوع من الصبر دائم لا يقطعه إلا الموت.

❁ فإن الكفار يهددون المؤمنين في كل زمان بالسجن والنفي والقتل ، قال تعالى في تهديدهم للمؤمنين : ﴿ **لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ** ﴾ [الشعراء : ٢٩] وقال : ﴿ **لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ** ﴾ [الشعراء : ١٦٧] وقال : ﴿ **لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ** ﴾ [الشعراء : ١١٦].

❁ لكن المؤمنين يلتزمون بالطاعة ولا يلتفتون إلى كل هذا التخذيل والتهديد.

❁ ومن الصبر على الطاعة الصبر على كل تلك الأقدار والابتلاءات المؤلمة من السجن والقتل والنفي، التي ما أصابت المؤمن إلا بسبب طاعته، وهو لن يترك طاعته لله أبدًا، بل سيزيده البلاء إيمانًا، وسيزيده الإيمان طاعة وقربًا.

ثانيًا: الصبر عن المعاصي ، فقد حُفت النار بالشهوات :

❁ فإن الصبر ضد الهوى، والهوى هو مطالبة النفس بقضاء شهواتها من حلالها أو حرامها.

❁ ومن الصبر عن المعاصي الصبر عن تفكر القلب في وجوه الحيل لنيل الشهوات.

❁ فإن قيل أن الصبر على الطاعات هو **فعل العبد ما يستطيعه منها**، فإن

الصبر عن المعاصي هو **انتهاء العبد عن كل ما نهى الله عنه ورسوله**، ولا يقال أن الصبر عن المعاصي هو الانتهاء عن ما يستطيعه منها.

والناس في ذلك ثلاث مراتب:

١- **من قهر داعي الهوى**، وهم الصديقون المقربون الذين قالوا: **ربنا الله ثم استقاموا، فمن صبر ظفر.**

٢- **الذين قهرتهم شهواتهم** واسترقتهم واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت تجارتهم ودامت حسرتهم واشتدت غفلتهم، وهؤلاء كالأنعام بل هم أضل.

٣- **الذي مرة يقهر هواه ومرة يقهره هواه**، وهذا من المجاهدين لا من الظافرين، قال تعالى: ﴿ **خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ** ﴾ [التوبة: ١٠٢].

وعسى في حق الله واجبة، فما طمع الغني في شيء إلا وفاه، ومن أغنى من الله؟

ثالثًا: الصبر على المصائب وعلى أقدار الله المؤلمة.

❁ ومنها موت الأحبة، والابتلاء بالأمراض، وإصابة الأموال بالجوائح وغيرها من الآفات.

❁ وسبيل الصبر أن يعلم أن قضاء الله وقدره عن حكمة بالغة وعن علم تام، وقضاؤه ملؤه اللطف والرحمة.

❁ وإذا أراد الله بعبده خيرًا عَجَّل له العقوبة في الدنيا.

❁ وإن البلاء ليمحو الخطايا ويرفع الدرجات كما تمحو النار خبث الحديد والذهب والفضة.

ومنه الصبر على أذى المسلمين وما يصيبه من ذلك في عِرضه أو بدنه أو ماله، وترك القصاص منهم **والعفو عند المقدرة**، قال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»[١].

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٣٢)، وأحمد (٥٠٠٢)، وحسنه الألباني في تحقيقه على «سنن ابن ماجه».

الصبر على أقدار الله ثلاثة أنواع :

١ ـ صبر القلب:

هو منعه من الجزع واليأس من روح الله، أو القنوط من رحمة الله، وعدم الاعتراض على قضاء الله، والرضا بالله مدبرًا له في جميع أمره.

٢ ـ صبر اللسان:

هو منعه من التسخط على قدر الله، ومنعه من الدعاء على النفس بالويل والعذاب، ومن صبر اللسان منعه من التشكي للناس، فيكون كمن يشكو الخالق للمخلوقين، أو يشكو الرحيم للذي لا يرحم، أما الشكوى إلى الله فهي لا تنافي الصبر.

❁ فالشكوى إلى الناس لا تخفف البلاء كما يظنون، بل تزيد البلاء على الشاكي وتجعله يشعر بالحسرة بعدما وجد الشماتة عند الناس، وبعدما هان في أعين الناس بسبب فقده الدنيا التي كانوا يعظمونه من أجلها.

- أما الشكوى إلى الله فإنها فعل الأنبياء.

قال يعقوب عليه السلام: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦]

وقال أيوب عليه السلام: ﴿ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٣]

وقال نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [نوح: ٥ـ٦]

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قرأ شكوى يعقوب عليه السلام: «أشكو إليك جَلَد الفاجر وعجز الثقة».

٣ـ صبر الأعضاء:

هو الصبر عن لطم الخد وشق الثياب وفعل المحرمات، أما دمع العين فإنه لا يملكه الإنسان ولا يدخل في النهى.

❁ **فضعيف الإيمان** يجزع عند المصيبة ويفعل المعصية كلطم الخدود لينفس عن المصيبة أو شرب الخمر والمخدرات لينسى المصيبة، وكل هذا باطل فإنه لا ينفس ولا ينسى.

❁ فأما المؤمن فإنه لا يفعل ما يُسخط الله عند المصيبة بل يصبر على قضاء الله ويرضى به، ويسأل الله العافية، فتصبح هذه الطاعات وهذا الإيمان هو **عين العافية**، وأما أهل **المعاصي فهم أهل البلاء الحقيقي** بما سينالهم من المصائب يوم القيامة جزاء إعراضهم عن الطاعة.

آداب الصبر على المصائب

١ـ الصبر عند أول المصيبة، فمن جَزع أولًا ثم إذا رجع إلى رشده صبر، فلا يسمى صابرًا.

«مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: اتَّقِي الله وَاصْبِرِي، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»[(١)].

٢ـ أن يسترجع فيقول : **إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها.**

عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: **«سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهَا؛ إِلَّا أَجَرَهُ الله فِي مُصِيبَتِهِ وَخَلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»**[(٢)].

قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، صَاحِبِ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَتْ: ثُمَّ عَزَمَ الله ﷻ لِي فَقُلْتُهَا: اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (١٢٨٣).
(٢) رواه مسلم (٩١٨).

الرضا

❁ **وأعظم من الصبر الرضا بقضاء الله.**

❁ **الرضا :** هو ألا يجد الإنسان ألمًا لمصيبته، ولا يتمنى زوالها ولا أنها لم تقع، ويترك اختياره لنفسه، وإنما يوجد هذا الرضا عند كمال التفويض لله وانشغال القلب عن ألم المصيبة بما فيها من أنواع اللطف والرحمة وما يرى فيها من حكمة الله التي توجب استسلامه لها، وما يرى من حسن العاقبة بثواب الله في الآخرة.

والرضا هو :

١ـ أن يسلم العبد أمره إلى الله.

٢ـ ويحسن الظن به.

٣ـ ويرغب في ثوابه.

❁ فبالرضا يتحول ألم البلاء إلى لذة لعلمه أن الله هو الذي قدر هذا البلاء عليه وكتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الإنسان، بل قبل أن يخلق السموات والأرض، والله تعالى هو الذي خلق البلاء وشاءه، فلذة الرضا بقضاء الله تفوق ألم البلاء.

❁ وإذا صدق حب العبد لربه أحب فعله ورضي عنه، بل كان اختيار الله من البلاء أحب إلى نفسه من اختياره هو لنفسه، ومما يظنه هو خيرًا لنفسه، فالرضا هو كمال التفويض لله.

❁ واليقين بوعد الله الصادق بالفرج في الدنيا، وحسن العاقبة والثواب في الآخرة، هو الذي يبلغ العبد مرتبة الرضا.

❁ وإن كان يجوز للعبد أن يسأل الله زوال البلاء الذي يمنعه من فعل الطاعات، فيجوز له أن يسأل الله زوال المرض الذي يقعده عن الصلاة وشهود الجمع والجماعات، ويسأل الله زوال الفقر الذي يمنعه من حج بيت الله الحرام وإخراج الصدقات.

الدعاء والطلب من الله أن يكشف الضر لا ينافي الرضا

❁ وربما يسأل الله الجاه ليستعمله في هداية الناس؛ لأن الناس يقتدون بأهل المناصب في صلاحهم وفسادهم.

❁ فقد كان بعض الصحابة يسأل الله المال لأجل أن ينفقه في سبيل الله، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: «**ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ**»[1]، يعني ذهب أهل الأموال والصدقات بثواب الله، وكانوا يريدون المال للنفقة لا لحظ النفس منه، وكانوا يتمنون هذا الفضل رغم علمهم أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، فإن أصحاب القناطير المقنطرة يحاسبون على كل ذرة فيها، وأن أول الناس يدخلون الجنة هم فقراء المهاجرين.

وفي الحديث أن ثاني أفضل صنف من الناس من يقول: لو أن لي مالًا لعملت فيه مثل فلان من الطاعة، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»[2]

ومثلهم الذين قعدت بهم النفقة وحبسهم العذر عن الجهاد مع رسول الله ﷺ فتخلفوا في المدينة؛ لكنهم كانوا يتمنون الجهاد مع رسول الله ﷺ فأثبت الله لهم أجر الجهاد كاملًا.

❁ وأعلى من الرضا **شكر الله على المصيبة** لما يرى فيها من النعمة؛ ولأنه أصبح يحب اختيار الله له أكثر من اختياره هو لنفسه.

(١) رواه مسلم (١٦٧٤).
(2) رواه الترمذي (٢٢٤٧).

التسخط

❁ أما من سخط على المصيبة فجزاؤه سخط الله عليه والعياذ بالله من الخذلان.

فبعض الناس يتمنى الموت عند وقوع البلاء ويظن أن فيه الراحة، ولكنه ما تمنى الموت إلا لقلة صبره، ولو مات على ذلك ما كان في الموت راحة؛ لأنه إن مات على ذلك لم يمت على الإيمان الكامل لنقص الصبر عنده، فقد يعذب على ذلك ولا ينعم، فلا يكون في الموت راحة.

جزاء الرضا

وجزاء الصبر والرضا هو راحة القلب في الدنيا وزيادة الإيمان.

❁ فما من عبدٍ أصابته مصيبة فعلم أنها بِقَدر الله وحكمته البالغة وعلمه السابق، فصبر واحتسب الأجر عليها عند الله واستسلم لقضاء الله ورضي بها، وقال : **إنا لله وإنا إليه راجعون**، إلا عوَّضه الله عما فاته من الدنيا **هدىً في قلبه**، ويقينًا صادقًا بحسن عاقبته.

والرضا والشكر بعد الصبر يستوجب صلاة الله على العبد، وهي مغفرة ذنوبه، ورفع درجته، ورضا الله عنه، وتَنَزُّل رحمته عليه، وكل هذا الفضل لا يتأتى إلا بالمصائب التي يخلقها الله بحكمته البالغة وهو محمودٌ عليها.

فوائد البلاء

❁ فقد يخلف الله عليه ما كان أُخذ منه، **فإنما يبتليه ليجبره، وينقص بعض ما في يده ليزيده.**

❁ وإن في المصائب فوائد منها:

١ ـ أنها **تكفر الذنوب**.

٢ ـ وأنها **تعجيل لعقوبة معاصيه** في الدنيا فلا يُؤاخذ بها في الآخرة فيلقى الله وليس عليه ذنب.

٣ ـ والمصائب **تُذكره بالتوبة** والاستغفار، فإن تاب واستغفر أبدل الله ذنبه بحسنات كثيرة.

٤ ـ وإن المصائب **تكسر قلب المؤمن** وتقتضي الإنابة إلى الله والذل له والافتقار بين يديه، فيدفعه ذلك إلى ترك التكُبر والعجب بالنفس، فلا ينسب تحصيل المنافع إلى نفسه بل إلى فضل الله ورحمته، وكل ذلك من أَجَّلْ العبادات.

ـ فإن المرض يحصل به ذل العبد لربه ودعاؤه وتوبته وتكفير خطاياه ويرق به قلبه ويذهب عنه الكبرياء والعدوان، ولكن الصحة لا تحصل بها هذه المصالح.

٥ ـ وأعظمها **حسن الظن بالله** في قضائه.

❁ لذلك كان **الصبر من نعم الله على العبد.**

❁ وإن **عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء** إذا صبر واحتسب.

❁ فإن كان البلاء بهذا المعنى فهو عين العافية **وكانت المنحة في ثنايا المحنة.**

العزاء في البلاء

❁ واعلم أن الدنيا كدرها لا يصفو ولذتها لا تدوم، وهي تتقلب بأهلها من بلاء إلى بلاء، فغنيها فقير، وصحيحها سقيم، وقويها ضعيف، ومَلِكُها مملوك، إن أسعدت يومًا اتعست أيامًا، فانفض يدك منها واطلب سعادة لا تنقطع، وغنى لا يفتقر، وصحة لا تنقضي، وقوة لا تنتهي، وملكًا لا يزول، واطلب نعيمًا لا كدر فيه، ولذة لا تنتهي في جنة ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الابتلاء بالسراء

ـ قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «**ابتلينا بالضراء فصبرنا ثم ابتلينا بالسراء فلم نصبر**».

ـ وقد يكون البلاء بالعطاء أكبر من البلاء بالحرمان، قال تعالى: ﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ [الأنفال: ٢٨]، فوجودهم فتنة وحرمانهم فتنة من نوع آخر وقال تعالى: ﴿ **فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ** ﴾ [التوبة: ٥٥]

ـ فالصحة عافية من وجه، وبلاء من عدة وجوه؛ لأن كثير من الناس يستعملها في معصية الله فيتبع الشهوات ويظلم الخلق، فمن استعمل نعمة الله في معاصيه كانت العافية بلاء عليه.

ـ قال ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[(١)].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

الغني الشاكر أم الفقير الصابر

❁ فعلى قدر كمال الصبر والشكر يكون التفضيل بين الغنى الشاكر والفقير الصابر فكلاهما يحتاج إلى صبر وشكر .

❁ فالغني لابد له من صبر على نفقة هذا المال في طاعة الله، فإن نفسه تثبطه عن الطاعة وتخيفه من الفقر، ولابد له من صبر على عدم نفقة هذا المال في نيل الشهوات العاجلة المحرمة، هذا مع ما يلزمه من مقام الشكر على نعمة الله.

❁ والفقير لابد له أن يتذكر نعم الله عليه في الصحة والذرية وانشراح الصدر للإيمان ولابد له أن يشكر الله على كل ذلك، هذا مع مقام ما يلزمه من الصبر على بلائه.

النعم تحتاج إلى صبر :

فمن أعطى نعمة المال والصحة يجب أن يطيع الله في ذلك، فينفق المال في وجوه الصدقات والجهاد والنسك من الحج والعمرة ويلزم نفسه بذلك، فإن أبت عليه أكرهها؛ لأن النفس تميل إلى البخل بالمال وتجبن عن الجهاد وتكسل عن الحج والعمرة، فيجب عليه أن يصبر **على الطاعات التي هي في الحقيقة شكر للنعمة الأولى من المال والصحة.**

العبرة ليست بالعطاء أو البلاء إنما العبرة بزيادة الإيمان

ـ فمن الناس من **أعطاه اللّه الدنيا** فتفاخر بها وتكبر وأسرف في الشهوات فكان **العطاء إبعادًا له** عن الله.

ـ ومن الناس **من منعه اللّه الدنيا** فسخط على قضاء الله وجزع وترك العبادة فكان **المنع إبعادًا له** عن الله.

ـ ومن الناس من **أعطاه اللّه الدنيا** فشكر وصرفها في طاعة الله ومراضيه فكان **العطاء قربًا له** من الله.

ـ ومن الناس من **منعه اللّه الدنيا** فصبر ورضي على قضاء الله وانكسرت نفسه فأقبل على الطاعة فكان **المنع قربًا له** من الله.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦]

الصبرُ نية

وإلا فالكفار يصبرون ولا أجر لهم وذلك لسببين :

أولاً: أنهم غير مؤمنين فلا يقبل منهم عمل بدون الإيمان.

ثانيًا : أنهم لم يبتغوا بصبرهم وجه الله وإنما يبتغون الدنيا ونصر الديانات الباطلة.

من أنواع الصبر الباطلة:

١ – فالكفار يصبرون أنفسهم على عبادة آلهتهم الباطلة، قال تعالى : ﴿ **وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ** ﴾ [ص : ٦].

٢ – الشيوعيون يصبرون في حروبهم رغم الألم والجراح ولا ثواب لهم.

٣ – إتباع بوذا يعذبون أنفسهم ويقولون تعذيب النفس هو تهذيبها.

٤ – واليوجا ما هي إلا تعذيب النفس بغرض تصفيتها.

٥ – ورهبان النصارى يعذبون أنفسهم حتى يترقوا في وظائف الكهنوت.

٦ – والصوفيون يعذبون أنفسهم بلبس الخشن والعطش من غير صيام مما لم يأمر به الله، غرضهم تصفية النفس من الإرادات السيئة.

٧ – وبعض المسلمين يبتدعون ألمًا ليصبروا عليه لم يأذن به الله، فإن ثلاثة نفر أتوا النبي ﷺ فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَالله! إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ؛ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[(١)] .

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

يجب أن يكون الصبر مع الله وبالله ولله

❁ مع الله يعني **تبعًا لأوامر** الله، فيصبر عليها وعن محارم الله فيصبر عنها.

❁ وبالله يعني **استعانة به** سبحانه، فإنك لن تصبر على طاعته إلا بمعونته.

❁ ولله يعني **إخلاصًا له** وابتغاءً لوجه ورغبة في ثوابه لا طلبًا لشهرة الدنيا ووجوه الناس ومراآتهم.

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

فإن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر أيًا ما كان المؤمن وأيًا ما كان الكافر.

فقد مر يومًا موكب أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني قاضي الأندلس، في أبهة ونعمة، المقصد منها تعظيم شريعة الله وأن من يحكم بها ينفذ حكمه حتى على الخليفة وأكابر الدولة.

مر ذلك الموكب على يهودي فقير شحاذ قد ساءت حاله، فاستوقفه وسأله إن كانت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فأي سجن أنت فيه وأي جنة أنا فيها؟

فرد عليه الإمام : ما أنا فيه سجن بالنسبة لما أعده الله للمؤمنين في الجنة من النعيم.

وما أنت فيه نعيم بالنسبة لما ستلاقيه في النار من العذاب.

فهي سجن المؤمن وإن كان في أنعم نعيم لأنه سجنٌ إذا قورن بنعيم الجنة الذي ينتظره، وجنة الكافر وإن كان أفقر الناس وأمرض الناس وأشدهم بلاءًا؛ لأن ذلك جنة إذا قورن بعذاب النار الذي ينتظره.

قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»[1]

(1) رواه مسلم (٥٠٢١).

١٢ ـ الحمد والشكر

❁ الحمد هو شهود القلب لنعم الله، فيعترف بها، ولا ينسبها لغيره، ويحمده عليها باللسان وبالقلب، ثم يصرف تلك النعمة في مراضيه بالجوارح، ثم لا يرى نفسه قد قام بحق الله عليه أبدًا.

❁ **الحمد :** هو ثناء القلب واللسان على المنعم وتعظيم القلب له ومحبته لكمال صفاته ولإحسانه إلى مخلوقاته.

❁ فالحمد يكون على **شيئين**.

الأول: على صفات ذاته من الجمال والكمال والعظمة، فثناؤه على نفسه من كمالاته.

❁ وإن الله يحب الحمد، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

والثاني : على صفات أفعاله وإحسانه إلى عباده من رزقهم وإحيائهم وشفائهم وكافة الإنعام عليهم.

الشكر : هو الثناء على الله بنعمه، والشكر عبادة قلبية ولسانية وبدنية.

❁ قال تعالى : ﴿**وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ [البقرة: ١٥٢]، فالإنسان إما شاكرٌ للنعمة أو كافرٌ بها جاحدٌ لها.

❁ والحمد يكون بالقلب واللسان.

ـ والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، قال تعالى : ﴿**ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا**﴾ [سبأ: ١٣]

فكل أنواع الطاعات تُعد من الشكر؛ لأنها تصريف نعمه في مراضيه ومن نعمه المال والعافية، فالصدقات والصلوات من الطاعات وهي من شكر نعمة المال والعافية.

❁ والمؤمن يشكر ربه على نعم الدين ونعم الدنيا.

ـ وعامة الناس يشكرونه على نعم الدنيا فقط ولا يشعرون بنعمة الدين.

ـ وأكثر أهل الأرض من المشركين المعرضين الذين لا يعرفون الرحمن ولا يقرون بوجوده ولا يشكرونه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٧].

❁ وأعظم نعم الله التي تستحق الشكر هي نعمة الهداية للتوحيد ونبذ الشرك.

الفرق بين المدح والحمد:

والحمد لابد فيه من تعظيم القلب ومحبة المحمود، وأما إن كان بلا تعظيم ومحبة فهو المدح، فالمادح قد يكره الممدوح وقد لا يعظمه، ولا يمدحه إلا للمصلحة أو المال، فإذا لم يجدها فقد ينقلب ذامًا له، لذلك قال ﷺ : «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ**»(١)؛ لأنه لا يفعل ذلك إلا منافق.

أهمية الحمد

أولاً : في القرآن :

والله بدأ بالحمد وختم به، فبدأ كتابه بقوله ﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [الفاتحة:٢] وبدأ كثير من سور القرآن بالحمد، **وختم به** فجعل آخر كلام أهل الجنة ﴿**وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [يونس: ١٠].

ثانيًا : في السنة :

❁ وإن النبي ﷺ أمرنا بالحمد في أحاديث كثيرة.

١ – قال ﷺ من أذكار الصباح والمساء : «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٣٠٠٢).

(٢) رواه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).

٢-قال ﷺ: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لله، والحَمْدُ لله»[١]، يقر لله بالملك ويحمده عليه.

٣-من دعاء الركوع والسجود قوله ﷺ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ»[٢]، «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[٣]

٤-قوله ﷺ: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ»[٤].

٥-الحمد أفضل الدعاء. قال ﷺ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لله»[٥]

ثالثًا: حمد الله هو أول النجاة يوم القيامة

❁ فإن أهل المحشر يفزعون إلى الأنبياء بعد طول قيامهم بلا حساب، فيعتذر أولوا العزم من الرسل واحدًا واحدًا، قال النبي ﷺ «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي»[٦].

فانظر إلى فضل الحمد كيف كان السبيل الوحيد لإطفاء غضب الرب سبحانه وتعالى، فيا خيبة المعرضين عن حمده، ويا خسارة الغافلين عن شكره، ويا ندم اللاهين عن ذكره.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٣).
(٢) رواه مسلم (٣٩).
(٣) رواه البخاري (٧٩٤)، ومسلم (٤٨٣).
(٤) رواه مسلم (٤٧١).
(٥) حسن: رواه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وحسنه الألباني.
(٦) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

الحمد في الفاتحة

❁ فلابد أن يحمد العبد ربه كل يوم سبعة عشر مرة على الأقل وهي عدد الركعات الواجبة التي يقرأ فيها الفاتحة، ولابد أن يستشعر العبد الثناء بقلبه على الله.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

❁ وفي الفاتحة **يحمد العبد ربه على ألوهيته** فيقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فلا يستحق العبادة إله غير الله وكل من دونه باطل.

❁ فأعظم إحسان من الله إلى عباده أن أرسل إليهم رسله وأنزل إليهم كتبه، ليعرفوه إلهًا واحدًا، ويطمئنوا لعبادته ويسعدوا بطاعته.

❁ فأعظم إحسان الله إلى خلقه أنه تعالى المتفرد بالألوهية.

❁ فيا لشقاء من يعبد آلهة عدة متفرقين، وله أنداد متباعدين، فإلى من يخلص العبادة، وإذا هو قد أضاع عمره في الترحال بينهم يبتغي رضاءهم، فيا لشقائه في الدنيا، ويا لطول عذابه حين القدوم على الملك، يوم لا ملك إلا هو ولا إله غيره.

❁ قال تعالى مخبرًا عن يوسف عليه السلام: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يوسف: ٣٨] **فجعل توفيق الله إلى عبادته من أعظم نعم الله على عباده .**

❁ فمن إحسان الله إليك **أنه لم يجعلك عبدًا لعبيد**، ثم قال بعدها : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨]، فاللهم اجعلنا لك من الشاكرين المثنين عليك بنعمك لا إله إلا أنت.

❁ ومن شكر نعمة الله على أن وفقك لطاعته أن تصبر على هذا الدين، وأن توحد الله في كل وقت وحين، تثبت على عبادته سواء وجدت معينًا أو لم تجد، قال تعالى:

﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٤٤]، أما من ثبت فقد شكر نعمة الدين قال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

ثم تحمده على ربوبيته فهو الذي أنعم على عباده بالحياة والسمع والبصر والرزق والأهل والمال والشفاء والقوة وتدبير الأمور.

❁ فيستشعر الإنسان أن الله تعالى قهر بربوبيته كل عباده، ملكهم ومملوكهم، فلا يملك أحد منهم حتى نفسه، ولا يملك نبض قلبه، ولا هيأته، ولا شكله، ولا نوعه، ولا اسم أبيه، ولا اسم أمه، ولا الموعد الذي يولد فيه، ولا الوقت الذي يموت فيه، فهو مقهور مغلوب بربوبية الله.

❁ فمن أعظم إحسانه إليك أنه لم يجعل أمرك بيد غيره، ولم يجعلك مملوكًا لغيره، فجعل عطاءك ومنعك من عنده، وجعل حياتك وموتك من عنده.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾

- **ثم تحمده على رحمته العامة بخلقه**، وهو معنى اسمه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وهذا من صفات كماله أن يرحم حتى المعرضين عن طاعته.

❁ فما دام مخلوقًا فلا بد سيرحمه الله، وإن كان كافرًا فاجرًا، فبرحمته أعطاهم السمع والبصر واليد والرجل وإن كانوا يعصونه بها بعد ذلك، ومن رحمته بهم أن جعل الحنان في قلوب أمهاتهم عليهم، ولولا ذلك لهلكوا صغارًا، وسبحان الله، إذا صاروا كبارًا بارزوا الله بالمعاصي.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾

- **ثم تحمده على رحمته الخاصة بالمؤمنين** وهو معنى اسمه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فهو الذي ينعم بقبول أعمالهم، وهو الذي يعطيهم الثواب الكبير على العمل القليل.

❁ فهو الذي منَّ عليك بالدين والإيمان، وأعطاك ما لم يعطي غيرك، وجعل ذلك سببًا لكي يرحمك في الآخرة رحمة واسعة حين يعذب غيرك، فإن ظللت تحمده على ذلك وتسجد له طول عمرك ما أديت شكره سبحانه.

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾

- **ثم تحمده على ملكه ليوم الحساب** ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ فلن تطيب الدنيا إلا إذا أيقنت أن لها نهاية عادلة يحكم فيها ملك مقسط يجازي المحسن بإحسانه ويقتص للمظلوم من الظالم، فاللهم لك الحمد على ذلك وعلى أنك ملك يوم الدين، يوم لا ملك غيرك، ولا حاكم سواك.

❁ فلو أن إنسانًا مظلومًا وظالمه غلبه وقهره في الدنيا، ولكن يقينه أن الله سيأخذ له حقه يوم القيامة من ظالمه، أليس ذلك من أعظم الإحسان إلى ذلك المظلوم؛ ولو ترك الله هذا الأمر لغيره لكان فيه الخلل العظيم، قال تعالى: ﴿ **لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

❁ ففي هذا اليوم يزول ملك كل ملوك الدنيا، **وإن كان ملكهم في الحقيقة غير حقيقي**، لأنهم لم يصبحوا ملوكًا إلا بعد أن ملَّكهم الله مُلكهم، فهو تعالى قادر على أن ينزع ملكهم منهم متى شاء، أو ينزعهم هم من ملكهم بالموت متى شاء.

❁ وبعض الناس ليس بملك، ولكنه يملك بعض الدنيا من العقارات والأموال، وهذا أيضًا ملْكٌ غير حقيقي؛ لأنه يملك ولكن لفترة محددة هي هذه الدنيا، يعني مدة حياته أو جزءًا من حياته، وكأن الله أقرضه ما يملكه فترة الدنيا فقط، ثم يأخذه منه عند موته، فيقرضه لغيره، فهذا مُلك غير حقيقي، فهو في الحقيقة **عبد مملوك في صورة ملك متصرف**.

وأما مُلك الله فهو صفة لازمة لذاته لم يكتسبها بعد خلق مخلوقاته فشتان بين ملك ومملوك.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

- **ثم تحمده على عبادته ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾**فأعظم إحسان الله على عباده أن جعلهم يعبدوه، وأنقذهم من عبادة غيره فاللهم لك الحمد أن أرسلت إلينا رسلك، وأنزلت إلينا كتبك، وجعلتنا نتبع شرعك، فانظر إلى ما اختصك الله به من العلم وحجب غيرك فأنت تعرف من صفات كماله وجلاله ما يستوجب طاعته ومن حكمته البالغة ووعده الصادق ما يستوجب عبادته، وهذا العلم الفاضل لا يعلمه كل الخلق، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] فاللهم لك الحمد على ما علمتنا ما نعبدك به.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

- **ثم تحمده على إعانته ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** فإنك لن تطعه إلا بمعونته، فانظر إلى معونته لك بتيسير طاعته وتوفيقه لك، حيث لم يوفق غيرك، وجعل طاعته سببًا لنيل جنته فالحمد له أولًا أن أعانك على طاعته، والحمد له ثانيًا أن قبل منك الطاعة، والحمد لله ثالثًا أن أورثك بها الجنة، فاللهم لك الحمد على ما اختصصتنا به من معونتك وثوابك.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

- **ثم تحمده على هدايته ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾** فاشهد بقلبك أنه هداك وترك غيرك، ولولا أن هداك لكنت من المغضوب عليهم والعياذ بالله وهم اليهود، أو الضالين وهم النصارى.

فإن الله لم يهدك هداية الإرشاد فحسب، بل هدى قلبك إلى إتباع شرعه، ثم هداك هداية الثبات على دينه. فهداك الله ثلاث مرات: الأولى: **إرشاد**، والثانية: **إتباع الرشاد**، والثالثة: **ثبات حتى الممات.**

- وإنك إن ظللت تحمده على ذلك عمرك ما وفيت حقه من الحمد.

قال رسول الله ﷺ : «**خلق الله الملائكة لعبادته أصنافا ، فإن منهم الملائكة قياما صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة سجودا منذ خلقهم إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة ، وتجلى لهم تعالى ، ونظروا إلى وجهه الكريم ، قالوا : سبحانك ، ما عبدناك حق عبادتك**»[1]

(1) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٤٨٢).

الحمد أعظم من النعمة

❁ ما أنعم الله على عبد من نعمة فحمد الله عليها إلا كان حمده لله نعمة من الله أكبر من النعمة الأولى، فإن حمدَ العبدُ لربه من توفيق الرب لعبده، والحمد ذاته نعمة من الله تستوجب على العبد أن يطيل شكرها، وأن يحمد الله الذي أنعم عليه بها، فإن قول العبد « الحمد لله » نعمة أكبر من نعيم الدنيا، لأن ثواب الحمد لا يفنى، ونعيم الدنيا لا يبقى.

الشكر نعمة تحتاج إلى شكر:

❁ قال موسى عليه السلام : « **يا رب كيف أشكرك وشكرك نعمة تحتاج إلى شكر؟ فقال: يا موسى الآن شكرتني**»(١)

❁ قال ﷺ : «**لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٢) .

❁ فلا يحصى أحد ثناءً على الله؛ لأنه هو أعلم بنفسه من خلقه.

حكمة الله

❁ فإن الله أنعم علينا بالنعم وجعلنا محتاجين إلى نعمه، ثم أحسن إلينا وأمرنا أن نأخذ من نعمه حاجاتنا، **ثم جعل النعمة سبيل إلى ما هو أعظم منها ألا وهو شكر الله عليها**، فهي التي يحب الله من عبده، وهي التي أختص بها المؤمنين، وهي التي يسكنهم بها الجنة.

❁ فأنت تحتاج إلى الشكر لتأخذ الأجر أكثر من حاجتك إلى النعمة.

❁ فالشكر نعمة باقية يمتد نعيمها ما دامت الجنة، والنعمة الدنيوية فانية بفناء الدنيا.

---

(١) رواه أحمد في الزهد ص(٦٧).
(٢) رواه مسلم (٤٨٦).

❁ وأعظم نعمة تحتاج إلى شكرها هي صلاح قلبك بالشكر.

❁ وإن كان بدنك لا يحيا إلا بالطعام، فإن قلبك لا يحيا إلا بالشكر، فبالطعام تصلح الدنيا، وبالشكر تصلح الآخرة، والآخرة خير من الدنيا، فحاجتك إلى الشكر لصلاح آخرتك أعظم من حاجتك إلى الطعام لصلاح دنياك.

❁ ومن حمد الله على نعمة لم يُسأل عن نعيمها يوم القيامة حين يسألُ الناس عن كل نعيم الدنيا.

متاع البلاغ ومتاع الغرور

❁ لذلك تصبح النعمة **في حق المؤمن متاع بلاغ** تُبلغه ما هو خيرًا منها في الجنة.

❁ وتصبح النعمة في **حق غير المؤمن متاع غرور**، يَغْتَر بها ويأمن مكر الله ويستغني بها عن فقره لله، فتصبح إملاءً من الله له، يملى له ويمهله ثم لا يهمله، حتى إذا اطمأن بها وغفل عن الله أخذه أخذ عزيزٍ مقتدر، ثم أورثه النار يوم القيامة.

لماذا يغفل الناس عن الشكر

❁ لأنهم يرون نعم الله متواترة عليهم فلا يشعرون بها إلا حين فقدها.

❁ مثل العبد يكون عند مَالكٍ سيء فيضربه دائمًا، فإذا ترك الضرب ساعة شكره العبد، فإذا باعه إلى مالكٍ رحيم لا يضرب غلبه البَطَر وترك الشكر.

❁ أما ترى نعم الله حولك؟ أليس الهواء من نعم الله؟ ولولاه لمات الإنسان، ولكن هل تشعر بهذه النعمة؟

❁ أتحب أن تُسلب نعمة البصر مقابل ثروة من المال؟ أتحب أن تسلب نعمة الكلام كذلك بثروة؟ أتقبل أن تفقد عينًا أو رجلًا أو عضوًا منك بثروة؟ أو تسلب نعمة العقل بثروة؟ فإن كنت لا تقبل أيًا من ذلك، أفما تستحي أن تشكر الله وأنت تملك بيت مال كامل؟

❁ **فليس كل العباد يشعر بالنعمة، وليس كل من شعر بالنعمة يشكر الله على النعمة.**

❁ ولا تزال نعمه ﷻ إلى عباده نازلة وهم فقراء إليه، ولا تزال ذنوبهم إليه صاعدة وهو الغنى عنهم.

أيظل العبد يحتاج للبلاء حتى يشعر بالنعماء

أيظل العبد لا يؤدى عبادة الشكر إلا عند وجود الضُر، فلا يشكر الله على الصحة إلا إذا وجد المرض، ولا يشكر الله على الإيمان إلا عندما يرى الكفران.

- فإن خلق المتضادات من نعم الله، فهو خلق المرض لكي نشكره على العافية، وخلق الكفر لكي نشكره على الإسلام.

❁ وإن القلب ذو البصيرة ينظر لكل شيء حوله فيدرك حكمة الله في خلقه، وإذا تتبع الحكمة حتى النهاية وجدها تصب في شيء واحد، وهى وجوب حمده على كل فعله وقدره وخلقه.

وإنَّ شُكْرَ النعمة مستوجب للزيادة

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]، فالشكر سبيل الزيادة، قال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، أي سيعطيهم أعظم الجزاء.

فمن رزقه الله الحمد والشكر فإنما أراد أن يرزقه الزيادة في النعم.

كيف يكون العبد من الشاكرين؟

١ـ الإقرار بوجود النعمة.

فإن شكر النعمة هو الاعتراف بها، قال ﷺ في دعاء سيد الاستغفار: «**أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ**» يعني أعترف بها، «**وأبوء بذنبي**» يعني أُقرُ به وأطلب المغفرة.

ونص الدعاء هو : «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**»[1]

٢ـ نسبتها إلى المنعم سبحانه.

٣ـ الرضا بها والثناء على الله بها ومحبته والخضوع له.

٤ـ بذلها في طاعة الله وفيما يحب سبحانه، فلابد في الشكر من عملٍ يتبع علم القلب بالنعمة، عملٌ يُصَّرف النعمة في مرضاة الله بعد علم القلب أنها من عند الله، فإن شكر العبد للرب يستوجب شكر الرب، فالله شكور، وهو سبحانه يقبل اليسير من العمل ويغفر الكثير من الزلل.

كيفية الشكر:

ـ إن العبد لا يكون شاكرًا لمولاه إلا إذا استعمل نعمه في رضاه.

❁ فيستعمل **قلبه** في حمد الله والرضا به وشهود نعمة الله والإقرار بها والفرح بها وتعظيمه بها.

❁ فيستعمل **لسانه** في شكر الله والثناء عليه ودوام ذكره، فيقول **الحمد لله** أو **اللهم لك الحمد والشكر.**

❁ ويستعمل **بدنه** فيصرف النعم في طاعة الله وفي معونة الخلق وقضاء حوائجهم.

---

(1) رواه البخاري (٥٨٣١).

❁ ويستعمل **ماله** في النفقة في سبيل الله، ثم لا يستعين بالنعمة على معصية الله.

فمن غفل عن استحضار أن النعم من الله، استعملها في معصيته، ومن استحضر أن النعم من الله أدي إلى انقياد الجوارح وخضوعها للمنعم فلا يجد العبد سبيلًا إلا استعمالها في مراضيه، قال ﷻ: ﴿ **ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ** ﴾ [سبأ: ١٣] وهو مع ذلك لا يرى نفسه قد قام بحق الله أبدًا.

الشكر أعظم مقامات الدين

❁ واعلم أن مقام الشكر هو أعلى مقامات الدين على الإطلاق، وهو مقام الأنبياء، والوصول إليه يكون بمداومة شكر الله في كل أحوال العبد.

فإن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فإذا سُئل عن ذلك كان يقول: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[1].

فَعُلِم من ذلك أن الشكر هو أعلى مقامات الدين؛ لأن النبي ﷺ لن يختار لنفسه ولن يسعى لتحصيل إلا أعلى مقامات الدين، ألا وهو الشكر، فكان يشكر ربه بقلبه ولسانه وبدنه وماله.

وأعظم الشكر هو شكر الله على البلاء:

لما يَرى فيه من:

١- تكفير السيئات.

٢ – وحسن العاقبة في الجنة.

٣ – ما يحصل له من انكسار القلب ولين النفس للعبادة في الدنيا.

٤ –ولما يرى فيه من حكمة الله البالغة وقدرته الغالبة وغناه عن خلقه وافتقار الخلق إليه.

---

(١) رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

هل الشكر أعظم من الصبر ؟

❁ اعلم أن فتنة السراء أعظم من فتنة الضراء؛ لأن الأولى عليها الشكر، والثانية عليها الصبر.

❁ فإن فتنة السراء معها النعمة وما يلازمها من التكبر بها والاغترار بها وهذا يصرف عن الشكر.

❁ وإن فتنة الضراء معها البلاء وما يلازمه من الانكسار ومخالطة الضعفاء، وهذا يُسهل الصبر.

جزاء الشكر رضا اللّه

قال ﷺ : «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»[1]، فالله تعالى طلب منا شكر النعمة بمجرد كلمات ما أيسرها «الحمد لله» إن قالها العبد شكره ربه ولم يحاسبه على النعمة يوم القيامة، فالله يعطي العطاء العظيم ويرضي من العبد الحمد القليل، فاللهم لك الحمد كما نقول، وخيرًا مما نقول واللهم لك الحمد كما تقول.

التفكر في النعمة

❁ هل تفكرت في نعمة **شربة الماء** ؟

ـ متى نزلت تلك القطرات من السماء وفي أي مكان؟ وأين تجمعت لتصير أنهارًا؟ وكيف تفرعت تلك الأنهار؟ وكم سارت من الأميال حتى تصل إلى بلدك؟ فسخر الله لها من يأخذها فينقيها من الشوائب والأضرار ثم يضخها إليك، ثم سخر الله من ينقلها إليك بوسائل شتى حتى صارت في بيتك، وما عليك إلا أن تفتح الصنبور لتجد الماء الزلال.

ـ كل هذه النعم في نعمة واحدة، فكم تستحق هذه النعمة الواحدة من الحمد والشكر؟

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٢).

ـ ثم تفكر في تدبير تلك الشربة في بدنك، فإن الله تعالى جعل في المرئ حركة تدفع ما فيه باتجاه المعدة سواء كنت واقفًا أو نائمًا أو مقلوبًا، ولو اختلت تلك الحركة لم تنعم بِشَرْبة أبدًا، ثم جعل امتصاص ذلك الماء من المعدة والأمعاء، ولو حدث خلل في الامتصاص لحدث الجفاف ولمات الإنسان، ثم يُصير الله ذلك الماء في العروق حتى يصل إلى الخلايا فيحدث الري بإذن الله، حتى إذا حدث الارتواء بدرجة معينة أوقف مركز الري في المخ عملية الشرب، ولو حدث خلل في المخ لظل الإنسان يشرب حتى يموت، أو لأعرض عن الشرب حتى يموت.

ـ ثم تفكر في تصريف تلك الشربة، فإن الماء عنصر أساسي في المعادلات الحيوية في الجسم، وبدون الماء يفسد الجسم، فتفكر إذا غسل هذا الماء الخلايا وحمل ما فيها من السموم والشوائب والفضلات، فإن بقاءه في الجسم بعد ذلك لخطر جدًّا على الإنسان، وهنا يأتي دور الكلية لإخراج ذلك الماء إلى المجاري البولية، ولو حدث خلل في الكلية لم يمكن إخراج ذلك الماء ولمات الإنسان، ثم يسير ذلك الماء المختلط بالفضلات والذي أصبح اسمه الآن البول، يسير البول في الحالب ثم المثانة حتى يخرج من المخرج الذي خلقه الله تعالى، ولو حدث انسداد في أي من تلك القنوات لمات الإنسان.

ـ كل ذلك من شربة وتصريفها، **ألا تستحق تلك الشربة حمدًا طويلًا يستغرق كل العمر؟**

ـ أما آن لك أن تشعر بالضعف والعجز أمام قدرة الله؟

ـ أما آن لك أن تشعر أنه أعطاك قبل أن تسأله أو حتى تعرف ما الذي تسأله؟

ـ أما آن لك أن تشعر بعظيم رحمته أنه **أنعم بكل ذلك حتى على أهل الإعراض عنه؟**

ـ إنه لم يطلب منك أمام كل ذلك إلا كلمة واحدة ألا وهي **الحمد لله** فإن فعلت فقد شكرت كل ذلك وهل هناك عمل أقل من حركة اللسان بـ **الحمد لله؟**

ـ أرأيت كيف **يقبل الله القليل من العمل ويجازي به الكثير من النعم؟**

ـ فهل رأيت شكورًا أعظم من الله؟ وهل رأيت رحيمًا أعظم من الله؟ وهل رأيت صبورًا أعظم من الله؟ لا يقطع عن عباده نعمه رغم إعراضهم، وهل رأيت حليمًا أعظم من الله؟ لا يعاجل بالعقوبة من عصاه، وهل رأيت حكيمًا أعظم من الله؟ دبَّر ما تراه، فأحكم تدبيره في نظام رائع، نعمه بادية في كل مرحلة بل في كل شيء.

ـ فاللهم لك الحمد أن جعلتنا عبيدك، ولك الحمد بما أنعمت علينا من النعم، ولك الحمد أن عرفتنا تلك النعم، وإنَّا نسألك أن ترزقنا شكر هذه النعم، اللهم آمين. آمين.

الله شكـــور

❁ يعني يشكر القليل من العمل ويكافئ عليه بالأضعاف المضاعفة من الأجر ويقبل حمد عباده وشكرهم رغم تقصيرهم ويغفر الكثير من الزلل.

قال ﷺ : «**مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ: وَاللهِ! لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لاَ يُؤْذِيهِمْ؛ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ**»(١)، فانظر إلى هذا العمل القليل وهذا الأجر الجزيل.

قال رسول الله ﷺ : «**أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنْ الْعَطَشِ فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا**»(٢)

زوال الشكر من القلب بالكلية يعني زوال الإيمان بالكلية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولو لم يشكر الإنسان ربه ﷻ ولا بقلبه حتى رأى

(١) رواه مسلم (١٩١٤).
(٢) رواه مسلم (٤١٦٣).

أن الله لم ينعم عليه وأنه استحق ذلك بنفسه وأن هذا كان لابد وأن يحصل له، ولو لم يعطه الله لظلمه، لم يكن هذا مؤمنًا أصلًا، ومن لم ير فضل الله عليه ونعمته عليه لم يكن مؤمنًا، بل من رأى نفسه مستحقًا لهذه النعم رغمًا على الله ﷻ لم يكن مسلمًا أصلًا.»

قال تعالى : ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة : ١٧٢]، **فلو لم يشكر الله لم يعبده، ومن لم يعبده فقد كفر به سبحانه.**

من أعظم مهام إبليس وإغوائه

إخراج العباد عن الشكر، حيث ذكر الله تعالى عنه قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٧].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٧].

❁ وهذا ظن إبليس الذي صدق فيهم، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ : ٢٠]

ـ فقال تعالى : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ : ١٣] ، وقال : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف : ٣٨].

ومن جَحْد النعمة أن يقول العبد :

١ـ لقد أوتيت هذا النعيم والمال بسبب علمي وخبرتي وبشهاداتي وإتقاني لأمور الدنيا.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص : ٧٨]

٢ـ أو يقول : لقد أوتيت هذا المال كابرًا عن كابر، يتفاخر بآبائه وما كان معهم من لعاعة الدنيا.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا للهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا فَقَالَ أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ قَالَ فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا وَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ فَقَالَ لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[1]

٣ـ أو يقول: إن الله أعطاني النعم لأنه يعلم أنى استحقها.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٥).

قال تعالى: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]

٤ـ أو يقول: إن الله يحبني لذلك أعطاني.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]

❁ وما علم هذا الغافل أن الله يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولكنه سبحانه لا يعطى الدين إلا لمن يحب.

❁ وإن الله سبحانه يُجَنِبُ عباده المخلصين الدنيا حتى لا ينشغلوا بها عن ذكره وعبادته كما تجنب الأم وليدها النار.

❁ و لم يعلم أن الله إنما أعطاه ليختبره، أيطيعه في هذا المال أم يعصيه؟ وليبتليه أيشكر أم يكفر؟

وجوب شكر المحسن:

❁ وكما نحن مأمورون أن نشكر الله على نعمه، كذلك يجب أن نشكر الناس الذين جعلهم الله أسبابًا لإيصال تلك النعم إلينا، فيجب علينا مكافئتهم، فإن لم نجد ما نكافئهم به فندعو لفاعل الخير ونقول له: جزاك الله خيرًا، ونثني عليه حتى نظن أنَّا قد كافأناه.

١٣- الاستعاذة

❁ وهى الامتناع بالله والالتجاء له.

❁ ويستعاذ بالله وبوجهه الكريم وبسلطانه وبكلماته التامات وبرضاه وبمعافاته.

❁ وأعظمها الاستعاذة من الشيطان من همزة ونزغه ونفثه ونفخه وَشَركه ووسوسته.

❁ ويستعاذ من سخط الله، ومن عقوبته، ومن شر مخلوقاته، ومن الدجال، ومن المتكبرين، ومن غلبة الرجال، ومن الفتن ومن فتنة القبر وعذابه، ومن فتنة النار وعذابها، ومن فتنة الغنى ومن فتنة الفقر، ومن ضلع الدَيَّن، ومن المأثم والمغرم، ومن

فتنة المحيى والممات، ومن كل أنواع البلاء.

❁ويستعاذ من كل الأخلاق الرديئة، ومن الهم والحَزن والعجز والكسل وكبر السن والبخل والجبن.

❁ ومن أفضل ما يستعاذ به، سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾

❁ ومن أفضل ما يستعاذ به عند السفر أن يقول إذا نزل بمكان: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**».

١٤- الاستعانة

❁ هي طلب العون من الله على فعل مصالح الدنيا ونيل درجات الآخرة.

❁ فالمؤمن يبرأ من حوله وقوته إلا أن يكون بالله، فإنه لا تحول له عن المعصية إلا بتوفيق الله، ولا قوة له على الطاعة إلا بمعونة الله.

❁ وأعظم ما يطلب فيه المسلم المعونة في الله هو : المعونة على ذكر الله وعبادته.

١٥- الاستغاثة

❁ هي طلب الغوث من الله في جلب خير أو دفع شر.

❁ ولا يستغاث إلا بالله.

❁ وتحرم الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق.

❁ وتحرم الاستغاثة بالغائب مطلقًا.

١٦ـ التقوى

اعلم بارك الله في دينك وزاد في يقينك أن التقوى هي :

١ - التقوى هي أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

٢- التقوى هي العمل بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا، فيعمل الطاعات إيمانًا بالله ورجاءً لثوابه، ويترك المعاصي إيمانًا بالله وخوفًا من عذابه.

٣ - قال مجاهد : «التقوى هي أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر»، فيكون في حال حركته وسكونه ذاكرًا لأوامر ربه ليمتثلها ولنواهيه فيجتنبها.

٤ - وهي الالتزام بطاعته خوفًا من عقوبته.

٥- التقوى هي أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله ﷻ بفعل طاعته واجتناب معصيته.

٦- والتقوى هي أن تترك ما تهوى لما تخشى.

٧ – والتقوى هي ألا يفتقدك حيث أمرك، وأن لا يجدك حيث نهاك.

٨- التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل.

٩- التقوى هي أن ينزه نفسه عن أن ينشغل قلبه عن ربه ﷻ.

درجات المتقين

والناس في تقواهم درجات :

١ - **فمنهم من يجتنب الكفر والخلود في النار** لكنه لا يجتنب الكبائر ويفرط في الفرائض، وهذا لا يطلق عليه اسم **متقي** لاستحقاقه العذاب إن لم يتداركه عفو الله.

٢- **ومنهم من يجتنب الوقوع في البدع**، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٩٣].

التقوى الأولى عن الشرك، والتقوى الثانية عن البدعة، والتقوى الثالثة بفعل الطاعات والإحسان.

٣- **ومنهم من يجتنب الكبائر دون الصغائر** ويأتي بالفرائض دون النوافل، قال تعالى في المعاصي : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١] وقال رسول الله ﷺ في الطاعات : «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**»(١).

٤- **ومنهم من يفعل الواجبات والمستحبات ويترك المحرمات** والمكروهات بل حتى يترك الشبهات التي لا يدري أهي من المكروهات أم من المباحات، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

❁ فالتقوى هي فعل الطاعات كلها صغيرها وكبيرها، وترك المعاصي كلها صغيرها وكبيرها.

❁ فيجتهد في الطاعات والنوافل لعل كثرة النوافل تعوض ما يكون من تقصير في الفرائض، وإن اجتناب الصغائر يجعل بين العبد وبين الكبائر ساترًا حصينًا، فإنه لابد أن يخترق الصغائر حتى يصل إلى الكبائر، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

٥- **ومنهم من يتقي بعض الحلال خشية أن يكون حرامًا**، فالمتقي أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه.

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣).

- فالدنيا مثل طريق فيه شوك، والشوك هو المعاصي، فإذا سرت على هذا الطريق اتقيت الشوك، فكذلك عليك في هذه الدنيا أن تتقي المعاصي.

قال أبو هريرة: «»

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢]

- فيتقيه حتى من مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يراه حلالاً خشية أن يكون حرامًا فيكون حجابًا بينه وبين الحرام.

قال أبو الدرداء: «»

- فلا تحقرن شيئًا من الخير أن تفعله، ولا تحقرن شيئًا من الشر أن تتقيه.

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨].

٦- **عدم انشغال القلب بغير الله**، قال تعالى: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الفتح: ٢٦]

- فالتقوى أكرم سريرة باطنة.

- وأزين زينة ظاهرة.

- وأعظم ثواب مدخر.

أساس التقوى العلم

فبالعلم يعرف العبد ما يتقيه وكيف يبتعد عن سخط الله وكيف ينال ثوابه.

ـ فكيف يتقي من لا يدري ما الذي يتقيه؟ فإن كنت لم تدرس العلم أكلت الربا وأنت لا تدري، وظلمت الناس وأنت لا تدري، وجهلت كيفية الطهارة، ففسدت عليك صلاتك وأنت لا تدري.

اللهم اهدنا سواء السبيل، واغفر لنا ما بدا من التقصير، وأدخلنا الجنة برحمتك في شفاعة البشير النذير.

ما الذي نتقيه ؟

نتقي الله، ونتقي النار، ونتقي يوم القيامة.

١ - **نتقي الله**، وتتضمن خشيته وهيبته واتقاء سخطه.

❁ قال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦].

❁ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر:١٨].

❁ قال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

❁ قال تعالى : ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

٢ - **نتقي النار**؛ وهي محل عقوبة الله.

❁ قال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

❁ قال تعالى : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤].

٣- **نتقي يوم القيامة** ؛ وهو يوم غضب الله على من عصاه.

❁ قال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

❁ قال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة: ٤٨].

أهمية التقوى

التفاضل في الأعمال يكون عليها، والارتقاء في درجات الجنة يكون بحسبها، ولا يقبل عملٌ أصلًا بدونها.

١- أمر الله عباده بالتعاون لتحقيقها لأهميتها

❁ قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]

فالبر هو الإحسان إلى الخلق، وفي هذا رضاهم، **والتقوى** هي إحسان العبادة للخالق، وفي هذا رضاه سبحانه.

❁ فمن اجتمع له رضا الخلق ورضا الخالق، فقد تمت سعادته ونعمته.[١]

❁ وأوجه البر على حسب الطاقة، فالعالم يعلم الناس، والغني يكفيهم بماله، والشجاع يزود عن أعراضهم، فيصبح المسلمون كالجسد الواحد، قال ﷺ: «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ**»[٢].

❁ وعليه فإنه يحرم التعاون على الإثم والعدوان، مثل أن يعمل الإنسان في تصنيع المحرمات كالخمر والدخان، ويحرم عليه أن ينقلها أو يحملها أو يبيعها أو يعين فاعل ذلك على أي شيء كأن يصلح ما تهدم من مصنعه أو يصلح له وسيلة نقله أو ينقل له أموال بيعه أو يبيع له الأشياء الحلال التي سيحولها إلى حرام كالعنب والشعير، ومثله بيع السلاح لمن سيعصى به الله.

٢- أهل التقوى هم أولياء الله

- قال تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

- قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣].

- قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

فبين سبحانه أنه لا يستحق ولايته إلا أهل تقواه.

٣- أهل التقوى هم أكرم الناس

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

سئل رسول الله ﷺ: **مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قال: «أَتْقَاهُمْ»**[٣].

---

(١) نقله القرطبي عن الماوردي.
(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٧٥١)، وابن ماجه (٢٦٨٣)، وصححه الألباني.
(٣) رواه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٨).

جعل الله التقوى هو ميزان التفاضل بين الناس لا ميزان النسب والمال والجاه.

«فأكرم الناس وأفضلهم أتقاهم لله، ولا كرم ولا فضل لغير المتقي ولو كان رفيع النسب»[1].

٤ – أهل التقوى هم أهل العقول

❁ ثم قال: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧] قال الزمخشري في الكشاف: « وخافوا عقابي يا أولي الألباب، ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له ».

٥- التقوى هي أفضل زاد

❁ قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فإن التقوى خير الزاد للآخرة، وهي البعد عن القبائح.

٦- التقوى أزين لباس

❁قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] ولباس التقوى هو **الحياء والخشوع** والعمل الصالح، فالتقوى هي طاعة الله وهي أفضل لباس يستر عورات الظاهر والباطن، وهل هناك ستر أفضل من الطاعات؟

❁ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لباس التقوى هو العمل الصالح، وهو **السمت الحسن في الوجه**، فهو نور الطاعة يظهر أثرها في وجه صاحبها ».

❁ ومن أدعى أن أفضل اللباس الخشن، فمجتهد مخطئ؛ لأن الإمام مالك رحمه الله وغيره من أئمة العلماء كانوا يلبسون أفضل الثياب في مجلس التحديث عن رسول الله ﷺ تعظيمًا للعلم ولرسول الله ﷺ، وكانت التقوى في قلوبهم أمثال الجبال.

---

(١) قاله الشنقيطي في «أضواء البيان».

٧- التقوى وصية الله للعالمين

❁قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

ـ أليس الله تعالى هو أحكم الحاكمين؟ وهو يعلم بما يصلح العبد من كل أحد، أليس هو أرحم الراحمين وهو أنصح للعبد وأرأف به من كل أحد؟

– ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد، وأجمع للخير، وأعظم للأجر، من التقوى لكان الله تعالى أمر عباده بها.

– فلما أوصى بهذه الخصلة الواحدة الأولين والآخرين واقتصر عليها، علمت أنها الغاية التي لا مقصود دونها.

– وعلمت أن هذه الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخيري الدنيا والآخرة المبلغة إلى أعلى الدرجات[١]

٨- التقوى وصية النبي ﷺ لأمته

فالتقوى تكفل السعادة في الدنيا والآخرة لمن تمسك بها[٢].

❁ قال ﷺ : «**عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى الله وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[٣].

❁ قال رسول الله ﷺ : «**اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[٤].

❁ قال رسول الله ﷺ : «**اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ الله لَكَ**

---

(١) قاله الغزالي في منهاج العابدين.
(٢) قاله ابن رجب .
(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٦٦٩٢)، وصححه الألباني.
(٤) حسن: رواه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٢٠٨٤٧)، وحسنه الألباني.

تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرْ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»[١].

- قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «اتَّقُوا الله رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ؛ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»[٢].

❁ قال رسول الله ﷺ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ الله وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ»[٣].

❁ قال رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه حين شعر منه ضعفًا وطلبًا للإمارة: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلَانِيَتِهِ وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ، وَلَا تَسْأَلَنَّ أَحَدًا شَيْئًا وَإِنْ سَقَطَ سَوْطُكَ، وَلَا تَقْبِضْ أَمَانَةً، وَلَا تَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ»[٤].

❁ قال ﷺ حين ودع قومًا للسفر: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ»[٥]، يعني على كل شيء مرتفع.

❁ وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا»[٦].

٩- التقوى هي وصية كل الرسل إلى أقوامهم

❁ لاشك أن الرسل هم أطهر الناس قلوبًا وأذكاهم عقولًا، وأنصح الناس للناس، فلو علموا أن هناك خصلة أنفع للناس من التقوى ما تركوها، فلما أجمعوا جميعًا على وصية أقوامهم بالتقوى اتضح أنها أفضل خصلة وأجمع للخير وأجلب للسعادة وأكثر في الثواب وأعلى في الدرجات.

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٢٣٠٥)، وأحمد (٨٠٣٤)، وحسنه الألباني.
(٢) صحيح: رواه الترمذي (٦١٦)، وصححه الألباني.
(٣) حسن: رواه أحمد (١١٣٦٥)، وحسنه الألباني.
(٤) حسن: رواه أحمد (٢١٠٦٣)، وحسنه الألباني.
(٥) حسن: رواه الترمذي (٣٤٤٥)، وابن ماجه (٢٧٧١)، وأحمد (٨١١١)، وحسنه الألباني.
(٦) رواه مسلم (٢٧٢٢).

قال الله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء : ١٠٥ ـ ١٠٦].

وقال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء : ١٢٣ ـ ١٢٤].

وقال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء : ١٤١ ـ ١٤٢].

وقال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء : ١٦٠ ـ ١٦١].

وقال تعالى : ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء : ١٧٦ ـ ١٧٧]

وقال تعالى : ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء : ١٠ ـ ١١]

١٠- التقوى هي وصية أئمة الدين للأمة

❁ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته : «أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله».

❁ كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه : «فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل ، فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نصب عينيك».

❁ كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل : «أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يُثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا الله وإياكم من المتقين».

❁ وخطب الناس بعد ولايته وقال: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل، فإن تقوى الله عز وجل خلف من كل شيء، وليس من تقوى الله خلف».

❁ وقال يونس بن عبيد رحمه الله لأخ له : «أوصيك بتقوى الله والإحسان؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون».

❁ وقال زيد بن أسلم رحمه الله : «من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا».

❁ وقال الثوري رحمه الله: «إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئًا».

كيف تتقي الله عَزَّوَجَلَّ ؟

١ – بأن تتعلم حب الله فتسعى لطاعته.

٢ – وأن تشعر بمراقبته فتستحي من معصيته.

٣ – وأن تعرف عاقبة المعاصي من عذاب الدنيا نكال الآخرة.

٤ – وأن تتعلم كيف تغلب هواك.

❁ فلابد أن يحرص المؤمن على تحصيل التقوى، فإن المؤمن إذا رُغِّبَ في الخير رَغَب، وإذا خُوِّف من الشر هرب، ولا خير فيمن إذا زُجر لا ينزجر، وإذا أُمر لا يأتمر.

❁ فلابد للمسلم أن يلجم نفسه بلجام التقوى، ويحرس حواسه : العين والأذن واللسان والقلب والبطن والفرج، ألاَّ تقع في خلاف التقوى.

❁ فيبتعد عن المعاصي والإسراف في الحلال حتى لا يكسل عن تحصيل الطاعات، فإن **ضياع الوقت في تحصيل المباحات يهدر الطاقات التي كانت تستغل في تحصيل القربات.**

ومما يعين على تحصيل التقوى

١- أن تحب اللّه، فحبه هو الذي يدفعك لطاعته وعدم مخالفته .

❁ فالمحبة شجرة في القلب ساقها معرفة المحبوب، وفروعها الذل له، وغصونها خشيته، وأوراقها الحياء منه، وثمرتها طاعته، والغذاء الذي يسقيها ذكره[1] .

---

(١) قاله ابن القيم في «روضة المحبين».

❁ فإن المحب يفرح بخدمة محبوبه وطاعته ولا تطاوعه نفسه على معصيته، فمن تعود حب الله أحب طاعته واعتادت جوارحه عليها، فإذا أمره الملعون بمعصية استوحش منها ومرت به المعصية محتشمة؛ لأن قلبه ينكرها وجوارحه لم تعتادها.

٢- أن تشعر بمراقبة اللّه وقربه لك فتستحي من المعصية وتجتهد في تحسين الطاعة.

❁ فلو قُدِّرَ أنَّ أحدًا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئًا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهما إلا أتى به.

فاتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك، فتخشى الناس أن ينظروا إليك ولا تخشى الرقيب عليك.

❁ فإن من جالس الصالحين امتنع أن يفعل شيئًا من النقائص أمامهم احتراما لهم واستحياءً منهم، فكيف يفعل أمام من هو مطلع عليه في سره وعلانيته؟ ولله المثل الأعلى.[(١)].

❁ فمن استحضر قربه أوجب له ذلك الخشية والهيبة والتعظيم[(٢)].

❁ فخف الله على قدر قدرته عليك واستحي من الله على قدر قربك منه.[(٣)]

❁ قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم، في بر أو بحر وفي ليل أو نهار وفي البيوت أو في القفار، الجميع في علمه سواء، فيسمع كلامكم ويعلم سركم وجهركم[(٤)].

---

(١) قاله ابن كثير في تفسيره.
(٢) قاله ابن رجب في «جامع العلوم والحكم».
(٣) قاله ابن رجب في «جامع العلوم والحكم».
(٤) قاله ابن رجب في «جامع العلوم والحكم».

❁ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

❁ قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

❁ قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾. [يونس: ٦١].

قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَحْيُوا مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لله، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ**»(١).

فليحفظ جميع جوارحه عما لا يرضاه الله من قول أو فعل.

❁ قال رسول الله ﷺ: «**ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت**»(٢).

❁ قال رسول الله ﷺ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا الله عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ الله! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ! قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ الله انْتَهَكُوهَا**»(٣).

فضاع منهم كل ذلك الثواب لأنهم لم يكونوا يشعرون بمراقبة الله لهم، وكانوا إذا اختفوا عن الناس وخلوا بمحارم الله انتهكوها.

❁ قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُنَجِّيَاتٍ، وَثَلَاثٌ كَفَّارَاتٌ،**

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٢٤٥٨)، وحسنه الألباني في الصحيح الجامع (٩٣٥).
(٢) صحيح: رواه ابن حبان (٤٠٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٥٩).
(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٣٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٠٥).

وَثَلاثٌ دَرَجَاتٌ. فَأَمَّا المُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بنفْسِهِ. وَأَمَّا المُنَجِّيَاتُ: فالعدلُ فِي الْغضبِ والرضَى، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَخَشْيَةُ الله فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ. وَأَمَّا الْكَفَّارَاتُ : فَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ، وَنَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ. وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ : فَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلامِ، وَصَلاةٌ بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ»(١) .

❁ وسئل النبي ﷺ عن الإحسان فقال : «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(٢) .

❁ سئل الجُنَيد بِمَ يستعان على غض البصر؟ فقال : «بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى ما تنظر إليه».

❁ وكان الإمام أحمد ينشد :

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفي عليه يغيب

٣- أن تعرف أن عاقبة المعاصي هي عذاب الدنيا والآخرة.

❁ فمن فعل المعاصي تعرض لعذاب الله العاجل في الدنيا والآجل يوم القيامة وحل به ضيق الصدر، وخبث النفس، وقلة الرزق، ومحق البركة، وبغض الخلق بعد بغض الخالق سبحانه.

❁ فما الذي أخرج آدم عليه السلام وحواء من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الأحزان والمصائب إلا المعصية.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٥٧٥٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٨٠٢).
(٢) رواه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٨، ٩).

❁ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء ومسخه، فجعل ظاهره أقبح صورة وباطنه أقبح من ظاهره وأبدله بالقرب بعدًا، وبالرحمة لعنة، وبالجنة نارًا تلظى، حتى رضي بأن يكون قائدًا في الشر بعد أن كان إمامًا في العبادة، ما فعل به ذلك إلا المعصية والكبر.

❁ وما الذي أغرق قوم نوح عليه السلام بل والأرض كلها إلا المعاصي.

❁ وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى دمرت ديارهم وجعلتهم موتى كأنهم أعجاز نخل خاوية إلا المعاصي والإعراض عن الله.

❁ وما الذي أرسل الصيحة على قوم ثمود حتى قُطِّعت قلوبهم إلا المعصية .

❁ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نباح كلابها، ثم قلبت فجعل عاليها سافلها، ثم أمطرت الحجارة، إلا المعاصي والشهوات.

❁ وما الذي أرسل على قوم شعيب عليه السلام سحاب العذاب، فأمطر على رؤوسهم نارًا تلظى إلا المعاصي.

❁ وما الذي أغرق قوم فرعون في البحر ونقل أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق والأرواح للحرق إلا المعاصي.

تفنى اللذاذة ممن نال لذتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء من مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

٤- أن تتعلم كيف تغلب هواك.

❁ إذا لم تطاوعك نفسك على فعل الطاعة وترك المعصية

١- فذكرها الإخلاص وإرادة وجه الله والتقرب إليه والشوق إلى لقائه والشوق في الوصول إلى رضاه، فإن أبت عليك.

٢- فذكرها الجنة ونعيمها وحورها وقصورها، فإنك لا تبلغ ذلك إلا بالطاعة والبعد عن المعاصي، فإن أبت عليك.

٣- فخوفها من النار والزقوم والغسلين والعقارب والثعابين وأنها مستقر لكل لئيم، فإن أبت عليك.

٤- فذكرها بأخلاق الرجال، وأن المعاصي تخدش المروءة، ولا يأتيها إلا أراذل الناس، فإن أبت عليك.

٥- فذكرها بالفضيحة بين النـاس في الدنيـا ويوم العرض في الآخرة، فـإن أبت عليك...

فاعلم أنك انقلبت في هذه الساعة إلى حيوان لا إنسان...

وأن فعلك هذا لا يصلح إلا للجحيم والنيران...

واعلم أن الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما تجلبه الشهوة من مصائب

١ - الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ألم العقوبة عليها في الدنيا وعقوبة الله عليها في الآخرة.

٢ - الصبر عن الشهوة أسهل من تضييع الوقت الذي يمكن أن تكتسب فيه حسنات كثيرة.

٣ - الصبر عن الشهوة أسهل من ضياع المال لتحصيل الشهوة، والعيال أولى به، وإنفاقه في سبيل الله أولى له.

٤ - الصبر عن الشهوة أسهل من تنجيس العِرض بالتهم والجنايات المقترنة بفعل الشهوات.

٥ - الصبر عن الشهوة أسهل من انحطاط القدر بين الناس والمساواة مع الأراذل والرعاع.

٦ - الصبر عن الشهوة أسهل من سلب النعم التي أنت فيها، فإن المعاصي تذهبها منك إلى قوم آخرين هم لها حافظين.

قال تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]

المؤمن لا يستلذ بالمعصية

أما المؤمن فإنه لا يستلذ بالمعصية؛ لأنه ينغص عليه التلذذ بها:

١ - علمه بتحريمها.

٢ - خوفه من العقوبة المترتبة عليه.

٣ - شعوره بمراقبة الله له.

لا يستلذ بالمعصية بعد كل ذلك إلا دائم الغفلة، وإنما الشهوة لحظة سرعان ما تمضي ويعقبها خزي دائم، وندم متلازم، وبكاء متواصل، وأسف على ضياع حسناتٍ بقدر السيئات، وحسرة على ضياع الأوقات في غير الطاعات.

الهوى

❁ فالناس فريقان لا ثالث لهما: إما متبعين لرسولهم، أو متبعين لهواهم.

- قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠].

❁ ومتبع الهوى من أضل الناس ومن الظالمين.

المعصية تؤلم المؤمن بما لا تؤلم غيره

فتخيل رجل لم يشرب الخمر أبدًا إذا شرب كأسًا واحدًا ما يفعل به ذلك الكأس، إنه يقلب رأسه؛ بل يقلب حياته؛ بل يضعه على حافة الهاوية، إن لم يكن قد سقط فيها بالفعل.

وتخيل آخر مدمن خمر شرب مائة كأس ثم شرب الكأس رقم مائة وواحد، ما يفعل به ذلك الكأس؟

إنه لا يكاد يشعر أنه شرب شيئًا، ولا يجد فرقًا كبيرًا بين كأس الخمر وكأس الماء، فهذا كالمنافق لا يشعر بألم المعصية ولا يشعر أنه فعلها.

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

❁ والهوى يُضل عن سبيل الله.

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

❁ وأما من غلب هواه فإن جنة الفردوس مأواه.

- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾. [النازعات: ٤٠ - ٤١].

- قال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

هو العبد يهوى المعصية، فيذكر مقام وجلال ربه العظيم ويذكر هول مقامه بين يديه في الآخرة للحساب، فيترك المعصية لله.

والناس في ترك المعاصي درجات

١ - منهم من يتركها محبة لله وإعظامًا له أن يخالف أمره، وهذا أعلى مراتب الخشية وأعلى دوافع التقوى.

٢ - ومنهم من يتركها يبتغي النعيم في الجنة، فيصوم عن شهواته في الدنيا ليفطر عليها في الجنة.

- قال ﷺ : «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ أَنْ يَتُوبَ»[(١)].

- فإنه يُحرم شربها في الجنة، ولكن الجنة ينال فيها العبد كل ما يشتهي، فكيف يشتهي الخمر ولا يشربها ؟ يكون ذلك بأن يجعله الله لا يشتهيها، وهذا نقص في نعيمه[(٢)].

٣- ومنهم من يتركها خوفًا من النار واتقاء غضب الجبار.

٤ - ومنهم من يتركها لما يعقب المعصية من مصائب وألم في الدنيا وسلب للنعم.

وكم من معاصي نال منهنَّ لذة ... ومات فخلاها وذاق الدواهيا
تصرم لذات المعاصي وتنقضي ... وتبقى تبعات المعاصي كما هي
فيا سوءتا والله راءٍ وسامع ... لعبدٍ بعين الله يغشى المعاصيا

٥ - ومنهم من يتركها خوف العار وتنجيس العرض وانحطاط القدر بين الناس.

٦ - ومنهم من يتركها خوفًا لذهاب العفة والحياء والوقار والمروءة والشهامة.

ما إن دعاني الهوى لفاحشة ... إلا نهاني الحياء والكرم
فلا إلى فاحش مددت يدي ... ولا مشت بي مريبة قدم

---

(١) قاله النووي في شرح مسلم.
(٢) رواه البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٣).

١٧ ـ الورع

ـ الورع هو ترك ما ليس به بأس خوفًا مما به بأس.

قال ﷺ : «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ**»[(١)] .

درجات الورع :

١ ـ الورع الواجب : وهو كف النفس عما حرم الله.

٢ ـ الورع المستحب: هو كف النفس عن المكروهات والمشتبهات حتى لا يقع في الحرام.

كيف تصل إلى الورع :

❁ بتعظيم حرمات الله حتى لا تقع فيها، وتعظيم أمر الله ألا تفعله أو أن تفعل خلافه، وتعظيم أمر رسول الله ﷺ فتتبعه ولا تستهين بذرة من سنته.

❁ فإن محقرات الذنوب هي المهلكة، والمؤمن يرى ذنبه كالجبل يوشك أن يقع عليه.

ـ والمنافق يرى ذنبه كالذباب وقف على أنفه فأطاره ويرى أنه يكفيه أن يقول : استغفر الله، بعد أن يأتي الكبائر يظن أن ذلك يمحوها جميعًا من غير أن يتوب توبة كاملة بأن يندم على الذنب ويقلع عنه ويعزم على عدم العودة إليه.

علامة الورع :

ـ علامة الوَرِعْ أنه لا يترك شيئًا من المستحبات إلا فعلها، فيحزن حزنًا شديدًا لفَوْت تكبيرة الإحرام، أو فَوْت سُنَّة صلاة، أو التقصير في قيام ليلة.

ـ فضلًا عن ترك كل المنهيات، فلا يتم الورع إلا بترك جميعها.

---

(١) رواه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩).

١٨ـ الزهد

❁ **الزهد** هو نفض اليدين من الدنيا **وعدم تعلق القلب بها، والسلامة من الانشغال بها** طلبًا لها أو تركًا، **وإسكات اللسان عنها** ذمًا لها أو مدحًا، فلا ينافس في عزها ولا يجزع من ذلها.

❁ الزهد أن يرى الدنيا كما هي عند الله لا تساوي جناح بعوضة.

ـ فإن رآها كذلك لم ينافس عليها، ولم يتطلع إليها، ولم يحزن لزوالها، وما زال يحقر قدرها.

ـ فلا يحرص عليها إذا فقدها، ولا يبخل بها إذا وجدها، ولا يلهث لتحصيل المزيد من أجنحة بعوضها.

❁ فاحرص **إذا ملكت الدنيا أن لا تملكك، ولا تتخذها ربًا فتتخذك عبدًا،** فإن العبد سيسأل يوم القيامة عن أربع أسئلة منها ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلمون أن الطمع فقر وأن اليأس غنى، وأنه من يأس مما عند الناس استغنى عنهم.

الزهد لا يعني الفقر

❁ فقد يكون الزاهد من أكثر الناس غنًى كعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، فقد قُسم ميراثه من الدنانير الذهب بين زوجاته الأربع بالفؤس وجميعهن يرثن الثُمن، فكان ربع الثمن نصيب الزوجة يصعب عده، وإنما جعلوه كومات متساوية بالفؤس، وإن كانت لتأتيه الدنيا وهى راغمة، ولكن لم يتعلق قلبه بطلبها، وإذا تحدث فغالبًا ما يغفل عن ذكرها، وتترفع نفسه أن تتثاقل إلى حضيض ذلها، فلا ينافس فيها أهلها حتى لا يصيبه من دنسها.

❁ وقد يكون الفقير مولع بالدنيا يلهث في تحصيلها، ويركض في دروبها، ولا يتم له جمعها، ليس له حديث إلا عنها وعن أهلها، ينضح قلبه بحبها، وخسارة فوتها، قد شغلت عليه عقله وقلبه وصباحه ومنامه.

❁ فكثير من الناس **فقراء من الدنيا وإلى الدنيا**، فكثير منهم ليست عندهم شهوات الدنيا التي يتطلعون إليها، لكن قلوبهم لا ترضى بذلك، بل تظل قلوبهم متعلقة بتلك الشهوات ويظلون يجرون ويلهثون لتحصيلها، وقد لا يُقَدرها الله لهم.

❁ ومن وجدها منهم فلا يكتفي بما حصل منها بل يتطلع إلى المزيد، ولا يملأ فاهه إلى التراب.

قال ﷺ : «**لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ**»[(١)].

قال ﷺ : «**وَلَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَانٍ، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَالِثٌ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**»[(٢)].

الزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد منها :

❁ فليس الزهد فراغ اليد من عرض الدنيا، وإنما الزهد فراغ القلب من طلبها، وقد يكون الغني الرشيد من أزهد الناس، وقد يكون الفقير السفيه من أجشع الناس.

❁ ومن أكثر ذم الدنيا دل هذا على أنها تشغل حيزًا من قلبه، وإنما هو يدفعها بلسانه لِتَمَكُنها من قلبه، ولكن الزاهد من غفل عنها قلبه وصمت عنها لسانه.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٣٩)، ومسلم (١٠٤٨).
(٢) لفظ آخر للحديث السابق.

لا تذم الدنيا :

❁ فالدنيا لا تُذم ولا تُمدح، ففيها اكتسب الصالحون الدرجات، وبسببها انزلق المعرضون في الدركات، وإنما المذموم تعلق القلب بها.

❁ فكن كالغريب المرتحل، هل ينشغل بإتمام مهمته التي رحل من أجلها أم بتزيين المكان الذي يرتحل فيه، ويضع فيه من أنواع المتاع والزينة وهو يعلم أنه تاركه ولابد، حتى وإن غرَّه المكان وانشغل به، فإن عقد انتفاعه بهذا المكان له أجل محدد ، فإما أن يتركه اختيارًا أو يطرد عنه طردًا.

الزهد في النفس

❁ وهو أعلى درجات الزهد.

❁ فإن بلال قد **هانت عليه نفسه في الله** فلم يعد يُقِمْ لها وزنًا، فلم يشعر بعذابهم وإن أجهدهم تعذيبه، ولم تؤثر سياطهم على صلابة إيمانه ولو بأقل شيء، ولم يظهر لهم من الجزع أدنى شيء، فعلا عليهم بإيمانه، فكان هو السيد وهم العبيد، وكان هو العزيز وهم الأذلاء، فإن بلال لما تحرر من ركونه إلى نفسه وحظوظها قويت عزيمته جدًا ففضحت قوته ضعفهم، وأظهرت عزيمته خوارهم.

❁ والزهد في النفس هو أقرب شيء لقبول العمل، فهو **أبعد شيء عن الرياء والمن**، فكيف يرائي لنفس لا تزن عنده شيء؟ وكيف يطلب مدح الناس للاشيء؟ وكيف يمن بالعمل وهو لا يرى أنها قد فعلت شيء؟ وإنما الفعل فعل الله، والإعانة منه، والتوفيق توفيقه، والسداد سداده، ولولاه لما سبحت نفسه تسبيحة، ولا قدرت على فعل طاعة.

❁ والزاهد في نفسه **هو أكثر الناس تواضعًا**، فكيف تتكبر نفسه وهي **أذل** شيء

لو أدخلها الله النار، وكيف تتكبر وهي **أفقر** شيء إلى الله لو أدخلها الجنة؟

ـ وكيف يعلو بها على عباد الله وهو يراها **دون** كل الصالحين؟ ويراها تعيش في كوكب غير كوكب الفاسقين.

– فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول يوم عرفة : «لو نادى منادٌ من السماء أن الله قد غفر لأهل الموقف إلا واحد لظننت أنني هو» رغم أنه في الحقيقة أفضل أهل الموقف وأقربهم إلى الله.

❁ والزاهد في نفسه **لا ينافس على الدنيا** ولا يحرص عليها ولا يبخل بها، فكيف يرهق نفسه لتحصيل كل ذلك لنفسه وهو لا يرى أنها تستحق شيء؟ فهو لا يرى المتنافسين فيها إلا لاعبين، ولا يرى المتشاحنين من أجلها إلا في لهو عظيم.

❁ والزاهد في نفسه **لا يفعل المعاصي**، فلأجل ماذا يغضب مولاه ويتعرض لسخطه؟ لأجل نفسٍ لن تغني عنه من الله شيئًا، فمن الذي ينفع رضاه إذا غضب الله؟ ومن الذي يحمي من سخط الله؟ فهو لا يُبَدي مراد نفسه الأمارة على مراد الله أبدًا.

❁ والزاهد في نفسه **دائم التوبة**، لا تقع منه هفوة إلا بادر بالإنابة، ولا تبدو منه غفلة إلا سارع بالتوبة، فإن الملائكة تمهل العاصي ساعة قبل أن تكتب المعصية لعله يتوب، فهذا لا تكاد تكتب له سيئة فمهلة الساعة له كثير، فهو سريع الإفاقة، لا يطول به نوم الغفلة.

❁ والزاهد في نفسه **لا يجد شديد جهد في ترويضها** ومجاهدتها، فكلما قل شأنها عنده كلما سهل عليه إلجامها بلجام الطاعة، وكلما ضعفت كلما سهل قيادها إلى ربها وما فيه سعادتها.

❁ والزاهد في نفسه هو **أسرع الناس إلى التضحية** في سبيل دينه، فإن ضحى

بنفسه لا يرى أنه ضحى بشيء غالٍ أو نفيس، بل لا يرى أنه ضحى بشيء في ذات الله.

❁ وإن ضحى بماله فكل ما على الأرض من أموال لا يساوي جناح بعوضة في ميزان الله، ولكي يعرف قيمة ماله فليقارنه بما على الأرض من أموال، ثم ليعرف أنه يملك من جناح البعوضة بقدر هذا المال.

ـ وما على وجه الأرض كله فاني، والشيء الوحيد الذي يمكن نقله من دار الفناء إلى دار البقاء هو العمل الصالح، فلا يمكن نقل الأموال إلى الجنة إلا بعد أن تتحول إلى عمل صالح بنفقتها في محاب الله ومراضيه، فإن فعل ذلك دامت له وبقيت يتنعم بها إلى أبد الآباد، وإن بخل وضَنَّ بها ذهب إلى دار القرار بدونها، فتحسر على فقدانها كلها ولم يشفع له ذلك من المحاسبة على جمعها.

❁ والزاهد في نفسه هو **أسرع ملبي لنداء الجهاد**، فكيف يتثاقل لزوجة وأبناء وهو قد قطع عن نفسه شريان حظوظها؟ وكيف يقنع بالقصور والضيعات وهو قد منع نفسه من التعلق بها؟ وكيف يرضى بالتجارات بعد ما علم أن مع الله التجارة الرابحة؟ فالدرهم في الدنيا إن أفلح بدرهمين، وهو عند الله بسبعمائة.

– فهو قد نفى عن نفسه التعلق بأي شيء من الدنيا، فهو مستعد على الدوام لتلبية كل صيحة، ولا يقول: أمهلني أسبوع أصفي حساباتي، ولا أمهلني أيام أصفي تجاراتي، أو أمهلني ساعات أقضي حاجات أولادي.

❁ والزهد في النفس **أعون شيء على الصبر** فهو لا يرى البلاء ينقص منه شيئًا، فاجتماع الدنيا عنده مثل فقدها وحضورها مثل غيابها، فإن نقص شيء فبقدر الله، وإن زاد شيءٌ فابتلاء من الله، أيشكر أم يكفر، فهو لا يعامل ربه بالصبر على البلاء بل بالرضا بالقضاء، والتسليم لمشيئة الله، ولو كان الأمر إليه لاختار ما قضاه مولاه لأنه لا يتم إلا بعلمه السابق ومشيئته وخلقه وتقديره، فكيف يسخطه أو يعترض عليه؟ بل

عليه أن يرضى به ويسلم إليه، فكيف تعترض نفسه وهي ليست بشيء؟ وكيف تسخط على قدر الله وهي أفقر شيء إليه وأذل شيء بين يديه؟

– فالبلاء ما نزل إلا بحكمة الله البالغة، وهو أحد نوعين: **إما عقوبة أو امتحان**، فإن كان **عقوبة** فهي تستحقه، والحمد لله أن عجل العقوبة في هذا الدار حتى تقدم عليه في الآخرة قدوم الأبرار.

– وأما إن كان **امتحان**، فهذا وقت إظهار الإيمان، فإن أظهرت يقينها ارتفعت درجاتها، وإلى الفردوس الأعلى صارت منزلتها، وإن أظهرت يأسها وقنوطها لم يخفف ذلك من ألمها بل زاد ألم القلب على ألم الجوارح ولم يخفف من البلاء شيئًا بل زاد من شماتة الحسَّاد كيلاً، فإن الجزع واليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله لا تخفف البلاء، وإن الشكوى إلى الخلق لا تجلب إلا سخط الخالق، مع إهانة النفس وذلها بين من كانوا في يومٍ أقرانها، وإن الحازم الرشيد من رضي عن الله، فأرضاه الله يوم المزيد.

❁ الزاهد في نفسه **لا يخاف إلا الله**، فهو ينظر بعين الإجلال للخالق، فيهون في عينيه كل المخلوقين، ثم هو لا يأبه لضر نفسه، فهي ضئيلة الشأن عنده، لذلك لا يخاف ممن يستطيع أن يؤذيها.

– فتجده يصدع بالحق ويقول الصدق لا يخاف في الله لومة لائم فهو لا يخاف من سجن أو نفي أو قتل.

– قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ما يفعل أعدائي بي ؟ إن قتلي شهادة وإن سجني خلوة وإن نفيي سياحة » ماذا يفعلون بمن غناه في قلبه وتوكله على ربه؟ فإنه لا يزال في جنة قربه لا ينزعوه منها حتى بقتله، فإن استشهاده فهو القرب الحقيقي، وهو الغنى السرمدي، وهي الأمنية التي مازال يلح بها إذا كان الثلث الأخير من الليل، أإذا حان وقت بلوغها وإجابة دعائها تزعزعت نفسه وضعف يقينه فما هذا من خلق الكرام.

– فهذا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين قُتل قادة المجاهدين في مؤتة وصار هو الأمين على راية المسلمين تزعزعت نفسه فردها إلى يقينها، وكان يقول يرغمها على النزول إلى القتال :

والله يـــا نفـــس لتنزلنـــه لتَنْزِلِنّـــه أو لَتُكْرَهِنّـــه
إنمـــا أنـــت نطفـــة في شـــنة مـــالي أراك تكـــرهين الجنـــة

فقاتل حتى قتل رضي الله عنه، فلحق بأصحابه في جنة عالية قطوفها دانية.

❁ والزاهد في نفسه **لا يحتاج إلى التقية**، فنفسه أهون عنده من أن يكذب ليحميها، والطاغية أهون عنده من أن يتملقه أو يداهنه، ودينه أغلى عنده من أن يعطي فيه الدنية، وربه أعظم عنده من أن يهان اسمه، حتى وإن كان قلبه مطمئن بالإيمان، فمن يأخذ بالعزيمة إن لم يأخذ بها هو؟ ومن ذا يرتفع بإيمانه إن لم يرتفع هو؟ ومن ذا يتعزز بدينه إن لم يتعزز هو؟ وليعلم الطاغية أن من المؤمنين من لا يردهم عن دينهم شيء، وليعلم الطاغية أنه هو الذليل بإتباعه للشيطان، وأن المؤمن هو العزيز بانتسابه للرحمن.

– مالنا إذا تكلمنا عن الصالحين شعرنا بأننا من المنافقين؟

فاللهم ثبتنا على هذا الدين واملآ قلوبنا باليقين وأذقنا برد عفوك ولذة مناجاتك ونعيم قربك، وانزع من قلوبنا كل تعلق بغيرك، واقطع من نفوسنا كل رغبة في سواك، برحمتك يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١٩ ـ الافتقار إلى الله

❁ هو الشعور بالفقر والاحتياج إلى الله.

❁ وهو الاستغناء بالخالق والغنى عن المخلوق.

❁ وهو الافتقار إلى توفيق الله لفعل الطاعات والفرح بأدائها والمسابقة إليها.

❁ وهو تخلص القلب من شهوات الدنيا : المال والنساء والرياسة، فلا يتعلق بها، ولا ينافس عليها، ولا يفرح بجمعها، ولا يبخل ببذلها، ولا يحزن لفواتها.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

❁ ولا يشعر العبد بالافتقار إلى الله **إلا إذا تخلص قلبه من الافتقار إلى الدنيا،** ومن الحرص عليها وكنزها والبخل والشح بها.

الحرص :

❁ فلا يحرص على الدنيا إذا فُقدت، ولا يبخل بها إذا وُجدت، ولا يلهث في طلب المزيد منها، وإنما الواجب هو الإجمال في الطلب، فيطلبها إذا إحتاجها بطريق جميل.

الكنز :

كل مالٍ لم تؤد زكاته، فهو مال مكنوز سيعذب به صاحبه يوم القيامة، قال تعالى : ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة : ٣٥].

البخل :

هو إمساك المال عن نفقته فيما أوجب الله من الزكاة والصلة وما تقوم به الحياة من المأكل والملبس والمسكن، وهو إمساك المال عن ما تجب عليه نفقتهم من الذرية والأبوين والزوجة والإخوة الفقراء.

الشُح :

❁ هو تطلع العبد إلى ما ليس في يده وإلى ما حرمه الله عليه وما نهاه عنه.

❁ **فالبخل هو إمساك ما يملك، والشح هو طلب ما لا يملك.**

والشح لو كان في الحلال لكان مذمومًا لأنه :

١ ـ شغل للقلب بما غيره من الطاعات أنفع منه.

٢ ـ ولأنه يؤدي إلى تعود حياة الترف، فإذا مَرَّ بضائقة لم يستطع تحمل خشُونة العيش فيطلب الترف من حلال كان أو من حرام.

❁ ولا يزال الشح بالإنسان إلى أن يدفعه إلى سفك الدماء وانتهاك المحارم.

قال ﷺ : «**وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»[(١)].

سبب الشح :

❁ هو الافتقار إلى الدنيا دون الافتقار إلى الله.

❁ **والافتقار إلى الله هو السلامة من الدنيا طلبًا وتركًا.**

❁ **طلبًا**: فهو لا ينافس عليها؛ لأنه يراها لا تساوي شيئًا ولا تستحق أن ينافس عليها.

❁ **تركًا** : فإذا تركها لا يشعر أنه ضحى بشيء له قيمة، فهل من ترك جناح البعوضة يرى أنه قد ضحى بشيء؟

والسلامة من الدنيا :

❁ أن لا ينافس في عزها، ولا يجزع من ذلها، ولا يحزن على ما فاته منها، ولا يفرح

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٨).

بما نال منها فرح العجب والغرور ولا ينسب ما حصَّل منها إلى فعله وكسبه وإنما إلى فضل الله وكرمه، قال الله تعالى في وصف المعجب بنفسه المغرور بماله : ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف : ٣٤].

❁ وإن قارون قال : ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص : ٧٨].

ـ فرأى نفسه مستحقًا للمال لما يراه من كمال نفسه وإنه فرح بهذا المال فرح العُجب بالنفس والكبر على الخلق فاستحق العذاب، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص : ٧٦].

❁ **فالدنيا لعب ولهو،** وهي متاع، والمتاع إما متاع بلاغ أو **متاع غرور،** وكليهما سيصير حطامًا في النهاية، قال تعالى : ﴿ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [الحديد : ٢٠].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠] .

ما ذم الدنيا إلا لأنها عظيمة في نفسه

❁ ومن أكثر من الكلام على الدنيا وأنه تركها لله، فهو لأنه لا يراها جناح بعوضة، وإلا لم تستحق أن يذكرها، وإنما أكثر من ذكرها لأنه يراها جوهرة لكنه يرغم نفسه على تركها لينال خيرًا منها في الآخرة.

❁ ومن رآها جوهرة ورأى نفسه لا تحرص عليها، فإنما رأى نفسه قد زهد في ما تنافس فيه الناس، ورأى لنفسه فضلًا عليهم.

❁وأما من رآها جيفة ورأى الضباع تتنافس عليها امتنع عن منافستهم فيها ولم يرى أنه فعل شيئًا عظيمًا.

المسارعة إلى الخيرات

❁ وإنما المطلوب المنافسة والمسارعة إلى المغفرة ونيل الدرجات العاليات في الجنة.

قال الله تعالى : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١]

❁ فمن رأى الدنيا متاع غرور ترك المنافسة عليها والمسابقة إليها وسابق إلى المغفرة والجنة وفرح بطاعة الله فهي أحق ما يفرح به، وهي محض توفيق من الله، وهي فضله ورحمته، قال تعالى : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران : ١٣٣].

والغنى عن الخلق

❁ والغنى عن الخلق هو الاستغناء بالخالق عن المخلوقين وهو عين الافتقار إلى الله.

❁ قال ﷺ : «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»(١).

❁ قال ﷺ : «إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ، وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ»(٢).

الزهد والافتقار إلى الله

❁ الزهد والافتقار إلى الله متلازمين لا يفترقان، **فإن الزهد عبادة تركية والافتقار إلى الله عبادة فعلية.**

❁ فمن زهد استغنى عن الدنيا وافتقر إلى الله.

❁ ومن لم يزهد استغنى بالدنيا ولم يفتقر إلى الله والعياذ بالله.

❁ ومن افتقر إلى الله استغنى به واستغنى عن الدنيا.

❁ ومن لم يفتقر إلى الله استغنى عنه والعياذ بالله وافتقر إلى الدنيا وضاع مع هواه.

الافتقار إلى هدايته

❁ ومن الافتقار إلى الله الافتقار إليه في أمر الهداية، قال الله تعالى : ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف : ٤٣].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٢) رواه ابن حبان (٦٨٥)، والطبراني في «الكبير» (١٦٤٣).

❁ وقال تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٦ ـ ٧].

❁ فيجب على العبد أن يشاهد انعدام حوله وقوته وإنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فيفتقر إلى الله في أن :

١ ـ **يوفقه إلى الطاعات**، قال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨] ويفتقر إليه في أن :

٢ . **يثبته عليها**، فهو مقلب القلوب، ويفتقر إليه أن :

قال رسول الله ﷺ : «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**» (١) .

٣ ـ **يتقبلها** منه، قال تعالى مخبرًا عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عند بنائهما الكعبة: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] ، وهو أرجى عمل يعمل في الأرض، ويفتقر إليه أن :

٤ . **يثيبه عليها**، ويشاهد ذلك، فلا ينسب العمل إلى نفسه، بل إلى فضل الله وتوفيقه، فيزول من قلبه الإعجاب بنفسه وبعمله.

❁ ولا يَمُن على الخلق، ولا يرى نفسه فوقهم، ولا يطلب مدحهم على عِلْمِه وعبادته وجهاده ونفقته، فهو لا يرى عمله إلا محض هداية وتوفيق من الله له.

❁ ومن فقد الفقر إلى الله من أصحاب تلك الطاعات، ورأى فعل نفسه، وطلب مدح الناس له، فجاهد ليقال شجاع، وأنفق المال ليقال كريم، وقرأ القرآن ليقال قارئ، فقد افتقر إلى الدنيا وترك الفقر إلى الله، من فعل ذلك أصابه من أمراض القلوب أكثر مما يصيب أهل الدنيا إذا تعلقوا بدنياهم، فيسبقهم بذلك إلى النار.

---

(١) رواه أحمد ١٣٢٠٠.

علاج من لم يشعر بفقره إلى الله

❁ أن يُشعِرَ نفسه بانعدام قدرته على فعل الطاعات وأنه ما فعلها إلا بأقدار الله له، وحتى إن فعلها فلا يستحق بها الجنة، وأنه لن يدخلها إلا بفضل الله ورحمته لا بعمله، فيشعر بالفقر لله في كل شيء في فعل الطاعة وفي نيل ثواب الطاعة.

❁ قال ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**» قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»(١).

أهل الدنيا

❁ ومن أخلد إلى الأرض رأى الدنيا كبيرة جدًا، ورأى أن ما عليها من الأسباب والقوى المادية له قيمة عظيمة، فيتعلق قلبه بها وبمن يملكها، فيخافه ويرجوه ويتبعه ويواليه، كل ذلك من دون الله، فيفتقر إلى الدنيا ويستغني بها عن الله.

أهل الفقر إلى الله

❁ أما من افتقر إلى الله، ذل وخضع له، واقترب منه فأدناه، وافتقر إليه فأغناه، أغناه بحبه عما سواه، وبخوفه عن ما عداه، وبرجائه عما سواه، والرغبة إليه عما عداه، فاستغنى بالله ولم يرى حركة لذرة في الكون إلا بأمر الله، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [يس: ٨٢].

❁ فلم يشهد إلا ملك ربه وغناه، ويشهد أن كل الخلائق عاجزون عن دفع الضر عن أنفسهم لولاه، وكلما اقترب من مولاه صغر الخلائق أمام عيناه، ورأى الدنيا لا تساوي شيئًا إلا ما كان من قدرة الله، ورأى نواصي العباد كلها في قبضة الله، قال الله تعالى مخبرًا عن هود عليه السلام: ﴿ **إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ** ﴾ [هود: ٥٦].

وكل الخلق يقر بذلك، لكن ليس كلهم يشاهده بقلبه كل لحظة.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

الشوق إلى لقاء الله

❁ **وإن مشاهدة ملك الله وغناه ومشاهدة فقر نفسه إلى الله هي التي تدفع العبد للشوق للقاء الله** فإذا رجا لقاء الله، **استعد للقاء، فاجتهد لنيل رضاه.**

❁ فاجتهدَ في الطاعات وسعى إلى المبرات، فسار في طريق العلم والدعوة والجهاد مهما كانت العقبات ومهما كانت التضحيات، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦].

وقال ﷺ: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ**»[(١)].

٢٠ ـ الإخبات لله

❁ هو الطمأنينة بالله، والرضا بالخضوع له، والشعور بالسكينة في قربه، والخشوع بين يديه، وانكسار القلب في العودة إليه.

❁ قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾ [هود: ٢٣].

❁ قال تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥].

❁ فالمخبت هو من فعل الصالحات وأقام الصلاة، وأنفق في سبيل الله ثم خاف ألا يُقبل منه، ورجى ثواب عمله، وهو على ذلك راضٍ بقضاء الله وقدره، قد شاهد الرحمة في بلائه.

❁ والإخبات هو العودة إلى الله بعد الضياع، فإذا لجأ إلى الله وفر إليه اقترب الله منه أكثر مما تقرب هو إليه، فإن شعر بذلك سكنت نفسه واطمأنت بالله، فإذا ذاقت نفسه لذة قربه وحبه وِجِلَت وخافت أن تُطرد عن رحمته وتُبعد عن قربه، فما يزال يطلب قربه من ربه بإقامة الصلاة ليحصل له الإخبات والطمأنينة وقرة العين التي لا يجدها إلا في طاعته.

---

(١) صحيح: رواه النسائي في سننه (١٣٠٥) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٠١).

٢١ - الاستسلام والذل لله

❁ وهو الخضوع والانقياد التام لأمره، والتسليم التام لقضائه، والشعور بأنه لا غنى لك طرفة عين عن الله في أمر دينك ودنياك. قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

فإذا انكسر العبد لربه جَبَره فهو الجبار ورفعه وأعلى قدره وتقبل عمله.

❁ فإن العبادة لا تقبل إلا بكمال الحب مع تمام الذل.

٢٢ - التواضع

❁ التواضع هو الخضوع لله مع محبته وتعظيمه، فينقاد لشرعه ويقبل أمره بلا إباء أو استكبار، ويعتقد أن الله هو العلي الكبير، ويعتقد أن الكبرياء كله لله، وأنه ليس للعبد نصيب منه، فمن تكبر على الله أو على خلقه قصمه الله، قال رسول الله ﷺ: « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ »[(١)]

❁ والتواضع يشمل عدم التكبر على أوامر الله، فلا يرد شيئًا من شرعه فيكون ممن تشبه بإبليس في تكبره عن طاعة أمر الله، فيكفر بذلك، قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١]

❁ فالعبد يجب أن يرى نفسه صغيرًا حقيرًا ضعيفًا أمام عظمة الله وقدرته، فَيُعظِم ربه ويُعَظِمُ شعائر ربه.

❁ والتواضع يشمل الذل على المؤمنين بأن يرى نفسه أقلهم، فيرفق بضعيفهم ويرحم صغيرهم ويشفق على شيخهم، ويشتد تواضعه لوالديه، فيعاملهم معاملة الذليل، لا لذلةٍ في نفسه بل رحمةً بهم.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٣٥٦٧).

❁ والتواضع يشمل عدم المن على العباد بأن لا يرى لنفسه منزلة فوقهم، وسبيل تحقيق ذلك هو إخلاص العبادة لله.

الكبر

❁ قال رسول الله ﷺ: « **لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ** »[1].

فمن كان في قلبه كبر عن قبول أمر الله، لم يدخل الجنة أبدًا كفره، ومن كان في قلبه تكبر على الخلق، فهي تزكية النفس واحتقار الخلق، وهي من أكبر الكبائر، وتحتاج توبة خاصة حتى يغفرها الله تعالى، ومن مات على ذلك كان إلى مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

٢٣ ـ الخشوع

وتحصيل الخشوع لا يكون إلا بستة أركـان: حضور القلب، والتفهم، والتعظيم، والهيبة، والرجاء، والحياء.[2]

١ – حضور القلب

هو اقتران الفعل بالفكر، فلا يفكر المصلي في غير أفعال وأقوال الصلاة، ولا يصل إلى ذلك إلا إذا كانت الصلاة مهمة عنده، فإن كان عنده شيء أهم من الصلاة انصرف فكره إليه.

ـ ولا تكون الصلاة مهمة عنده إلا إذا كان عظيم الإيمان، عظيم اليقين بأن الآخرة خير وأبقى، وأن الصلاة وسيلة لنيل درجاتها.

٢ – التفهم

هو معرفة القلب لمعنى ما ينطق به اللسان، فمن دفع الخواطر عن قلبه وصرف ذهنه لإدراك معنى الآيات فتح الله عليه في كل مرة يقرأ فيها بفهم جديد للآيات يقربه من ربه ويمنعه عن الفحشاء والمنكر.

---

(١) رواه مسلم (٩١).

(٢) قاله الغزالي في الإحياء.

٣ – التعظيم

وهو معرفة جلال من تقف بين يديه وتصلي له.

وأيضًا معرفة ضآلة نفسه وفقرها إلى الله.

فينتج عن ذلك الانكسار والخشوع بين يديه.

٤ – الهيبة

هو خوف ناتج عن معرفة قدرة الله وسطوته ونفاذ مشيئته.

وكلما زاد العلم بعظمة الله، زادت الهيبة والخشية في نفس المؤمن.

٥ – الرجاء

هو الطمع في ثوابه الناتج من معرفة كرمه وإنعامه وبره بعباده وصدقه في وعده بأنه يعطي الجنة لمن خشع في صلاته.

٦ – الحياء

هو إحساسه بالتقصير في أداء العبادة، واستشعاره العجز عن القيام بحق الله، يدفعه إلى ذلك علمه بعيوب نفسه وقلة إخلاصها، وعلمه بإطلاع الله على خطرات قلبه وأسراره.

الغفلة عكس الخشوع

قال تعالى: ﴿ **وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ** ﴾ [طه: ١٤].

❁ ومن غفل في صلاته لم يكن ذاكـرًا لله **ومن غفل في جميع صلاته لم يكن مقيمًا للصلاة،** قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ** ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ** ﴾ [النساء: ٤٣].

❁ والمصلي يناجي ربه، فإن قرأ القرآن بغير حضور قلب أو قرأه وهو غافل عنه **فلا يقال أن صلاته مناجاة لربه.**

أسباب الغفلة وعلاجها

فالغفلة والخواطر التي تسببها لها سببان « خارجي وباطني »

١ – **الخارجي** وهو بسبب ما يراه أو يسمعه، وعلاج ذلك أن يغض بصره ولينظر موضع سجوده ويقترب من السُترة ويبتعد عن المواضع المنقوشة والمزخرفة.

٢ – **الباطني** وهي الهموم التي تطير به من وادي إلى آخر، وعلاج ذلك أن يجدد النية قبل الدخول في الصلاة، وليتذكر الآخرة وعظمة الله، وقيامه بين يديه، وليخشَ عقاب التقصير، وليتذكر أن الله مطلع على كل خافية، وما تحدثه به نفسه.

❁ قال رسول الله ﷺ : «**مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**»[(١)].

❁ قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٢)].

❁ وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه إذا قام في الصلاة كأنه عود خشب من الخشوع، وكان يسجد فيطيل حتى تنزل العصافير على ظهره تحسبه جزع شجرة.

❁ وكان على بن الحسين رضي الله عنهما إذا توضأ اصفر لونه، فَسُئل عن سبب ذلك، فقال: : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟

❁ غفر الله لأقوام أحبوا صلاتهم أكثر من دنياهم وألحقنا بهم عند نيل مُناهم وتحت العرش جمعنا، وإياهم وفي الجنة متعنا بلقياهم، آمين آمين.

(١) رواه مسلم (٢٢٨).
(٢) رواه البخاري (١٦٠)، ومسلم (٢٢٦).

٢٤ ـ اليقين

❁ هي الاعتقاد الجازم أن الله سيجازي بالجنة أهل طاعته، وسيجازي بالنار أهل الأعراض عنه، فيدعوه ذلك للقيام بأمره وطاعته.

❁ وهو الاعتقاد الجازم أن قَدَرَ الله تم بعلمه وتدبيره وخلقه، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فيدعوه ذلك للرضا بقضاء الله وقدره.

❁ وهون الاعتقاد الجازم أن الله سينصر دينه ويعز أولياؤه.

❁ هو كمال التفويض لله حتى لا يختار الإنسان لنفسه فقرًا أو غنىً، ولا صحةً ولا مرضًا، ولا عسرًا ولا يسرًا، فيفوِّض الأمر لله حتى في الحياة والممات، قال ﷺ: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحييني ما علمت أن الحياة خيرًا لي وتوفني إذا علمت أن الوفاة خيرًا لي**»[(١)].

---

(١) صحيح: رواه النسائي (١٣٠٥، ١٣٠٦)، وأحمد (١٧٨٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠١).

٢٥ ـ التفكر في آيات الله

❁ هو إعمال العقل في مخلوقات الله من سماوات وأرض وإنسان، والتفكر في مصير الدنيا وعاقبة الكفران، وتخيل نعيم الجنة وعذاب النيران، وتدبر عظمة الله الواحد الديان.

❁ دعانا الله ﷻ أن نتفكر في مخلوقاته فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]

❁ وقال ﷺ: «وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا، ثُمَّ لَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا»(١).

❁ وقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل فينظر إلى السماء ويتلو الآيات العشر الأخيرة من سورة آل عمران، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أنه رقد عند رسول الله ﷺ فاستيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ

(١) صحيح: رواه ابن حبان (٦٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤٠٠٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٨).

تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٩٠-٢٠٠]، فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين فأطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات، ست ركعات، كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاث، فأذن المؤذن، فخرج للصلاة وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا**»[(١)].

❁ فقد كان يتلو هذه الآيات قبل قيام الليل لكي يدخل في الصلاة بقلب خاشع.

❁ **فإن ركعتين في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه.**

❁ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: « تفكر ساعة خير من قيام ليلة »[(٢)].

مجالات التفكر:

١ ـ يتفكر في خلق السماوات والأرض وعظمة تلك المخلوقات والمجرات مما يدل على عظمة خالقها.

٢ ـ يتفكر في ذات الإنسان، قال تعالى ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، فكيف يتحول من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام إلى خلق سوي، ثم هو فاجرٌ

(١) رواه مسلم (٧٦٣).
(٢) رواه أحمد في الزهد (١٣٩).

أو تقي، وهو فقير أو غني، وضعيف أم قوي، ثم هو طائع أم شقي، ثم يتفكر في طعامه كيف دبره الله في أحشائه فأصبح هني ويتفكر في قلبه كيف ينبض بلا اختلال وهل هو ذكي أو ردي.

٣ ـ يتفكر في بداية الخلق ونهايته وكيف سينتهي هذا العالم وما عليه من خيرٍ أو شر، وكيف سيدمر الله كل زخارف الكافرين وزينتهم ورفاهيتهم، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ [يونس : ٢٤].

٤ ـ يتفكر في قِصَرِ هذه الحياة الدنيا وأنها لا تخلو من كدر ومرض وآفات، فعزيزها ذليل، وغنيها فقير، وقويها هزيل، وخطرها حقير، وأملها طويل، وكثيرها قليل.

٥ ـ يتفكر في عاقبة الكفار وأعداء الرسل ويتفكر في مصارعهم وما أنزل الله من آيات عذابهم.

٦ ـ يتفكر في حسن عاقبة المتقين بالنصر والتمكين في الدنيا، والجنة في الآخرة.

٧ ـ يتفكر في أهوال القيامة، فريق تحت الشمس في حر شديد وعري أكيد، وفريق تحت ظل العرش في روح وريحان ورب غير غضبان، عليهم التيجان، تحتهم اللؤلؤ والمرجان، عليهم حلة الإيمان، فاختر لنفسك يا إنسان فالعمل اليوم في إمكان.

٨ ـ يتفكر في الجنة والنار، ويتفكر في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر، أو غياهب سجنٍ في قعر سقر، ويتفكر في مخالطة الحور الحسان، أو الحيات والديدان، ويتفكر في أطايب المطعوم أو الغِسلين والزقوم، ويتفكر في النظر لوجه أرحم الراحمين، أم العذاب في سجين.

٩ ـ يتفكر في أسماء الله وصفاته وعظمته وحكمته ورحمته وكماله ولطفه بعباده.

❁ وإن الله دعا إلى العلم والتفكر في كثير من آيات القرآن.

❁ وإن التفكر في الله ووحدانيته ليزيد الإيمان.

– على عكس ما ينصح به الرهبان اتباع دين الخسران أن التفكر في أقانيم الصلبان هو السبيل إلى الكفران.

– وصدقوا، فما من أحدٍ منهم تفكر في دينهم إلا كفر بمعبودهم، ورجع إلى الحق المبين واتبع خير المرسلين، محمد نبينا الأمين ﷺ.

١٠ ـ ومن أعظم التفكر: التفكر في مسائل العلم، وفي آيات القرآن، وأحاديث النبي ﷺ.

فإن أول كلمة نزلت من القرآن هي ﴿ اقْرَأْ ﴾ وإن الله أقسم بوسيلة التعلم وهي القلم فقال : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [ن : ١].

❁ وإن الله دعا إلى العلم والتفكر في كثير من آيات القرآن.

❁ وإنك كلما قرأت في كتب العلم لوجدت كل يوم مسألة في هذا الدين القويم تجعلك تقول: وعزة رب العالمين لو لم أكن مسلمًا لكنت أسلمت الحين، حين ترى البرهان المبين والِأحكام المتين، وعظمة هذا الدين العظيم.

عبـادات التروك

٢٦- ترك الشرك والكفر والاستكبار والشك والإباء والجحود والاستحلال.

٢٧- ترك بغض الإسلام والمسلمين.

٢٨- ترك الرياء والعجب.

٢٩- ترك سوء الظن.

٣٠- ترك الغيبة القلبية.

٣١- ترك نسبة النعمة إلى غير المنعم بها ﷻ.

٣٢- ترك الحسد.

٣٣- ترك الإصرار على المعاصي.

٣٤- ترك موالاة الكفار.

٣٥- ترك تعصب الجاهلية.

٣٦- ترك تعظيم غير الله والحلف بغيره.

٣٧- ترك التشاؤم بغير دليل شرعي.

٣٨- ترك الاعتراض على قدر الله.

٣٩- ترك تصديق الكهان والسحرة.

٤٠- ترك الرضا بغير ما أنزل الله.

٢٦ ـ ترك الشرك والكفر « النفاق الاعتقادي »

❁ منها ترك الشرك والكفر وتوجيه العبادة للمخلوق وترك الاعتقادات الفاسدة والبدع، فالواجب اعتقاد بطلان كل ذلك.

❁ وترك **الشك**، سواء كان في الله تعالى أو في النبي ﷺ وبعثته، وترك **الاستكبار** عن اتباع الشرع وعدم **رد** شيء من أحكام الشريعة، وترك **الإباء** عن التزام شيء من أحكام الشريعة.

❁فإن الشك والاستكبار والتكذيب من نواقض الإيمان ونواقض الشهادتين. قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٤] .

❁فالإباء والاستكبار من عمل القلب واعتقاده، وهما من **النفاق الأكبر** ؛ النفاق الاعتقادي الذي يخرج صاحبه من الملة وإن شهد الشهادتين بلسانه.

٢٧ ـ ترك بغض الإسلام والمسلمين « النفاق العملي »

❁ وترك بغض الحق أو بغض الإسلام، أو بغض شيء مما شرعه الله أو جاء به رسول الله ﷺ ، أو بغض المسلمين لأجل إسلامهم، أو بغض المؤمنين لأجل طاعاتهم، أو حب الكافرين لأجل كفرهم، أو حب ملل الكفر وحب عقائدهم، مثل حب الشيوعية أو العلمانية أو حب الطواغيت أو حب من يعبد من دون الله، كل ذلك مناقض لحب الله ورسوله وشرعه، وهو **مخرج من الملة** لأنه ينافي وجود أصل حب الله في القلب، أو زوال حب الله من القلب وزوال حب الله بالكلية يعني زوال الإيمان بالكلية.

❁ فإن كان حب الله من أعمال القلوب لا من اعتقاداتها، أصبح هذا النفاق هو النفاق العملي لا الاعتقادي؛ لأنه نفاق في أعمال القلوب، لكن النفاق في أعمال القلوب

مخرج من الملة عكس النفاق في أعمال الجوارح **فهو غير مخرج من الملة**، مثل قول النبي ﷺ: «**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[(١)].

٢٨ ـ ترك الرياء والعجب

❁ وترك طلب مدح الناس وكراهية ذمهم، فكل هذا مناقض للإخلاص. وكل هذا ذمه النبي ﷺ وسماه الشرك الأصغر، وأخبر أنه أخوف ما يخاف على الأمة منه.

٢٩ ـ ترك سوء الظن بالله

❁ وترك الظنون الفاسدة كلها وأولها سوء الظن بالله وهو ظن الجاهلية قال تعالى: ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

❁ ومن سوء الظن نسبة الصاحبة أو الولد لله أو **نسبة الشريك لله تعالى.**

(١) شريك يدعوه الخلق مع الله كأصحاب القبور.

(٢) شريك يظنون به القدرة على تصريف وتدبير الأمور مع الله كموتى الصالحين.

(٣) شريك يظنون به علم ما لم يعلمه إلا الله، كالكهان والمنجمين.

(٤) شريك يحكم بينهم بغير ما أنزل الله وبغير شرعه كمن يحكم بالقانون الوضعي.

❁ وترك سوء الظن برسول الله ﷺ وبالمؤمنين وسوء الظن بالشرع وبحكمة الله البالغة.

٣٠ ـ ترك الغيبة القلبية

❁ وهي سوء الظن بالمسلمين هو من **الغيبة القلبية**، وهو من الإثم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢]

---

(١) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

٣١ ـ ترك نسبة النعمة إلى غير المنعم بها ﷻ

❁ قال الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣]

❁ فكيف يرزق ويُشكَر غيره؟ وكيف يخلق ويُعبَد غيره؟

❁ وإن الاعتراف بالنعمة لهو أول منازل الشكر.

❁ وإن نسبة النعم إلى المنعم سبحانه لهو أول منازل العبودية والفقر إليه والإقرار باحتياج العبد إليه.

❁ ومن لم يشكر الله جحد نعمته.

❁ ومن لم يشكر الناس على إحسانهم فقد انتقص حقهم.

٣٢ ـ ترك الحسد

❁ ترك الحسد على النعم الدنيوية والأخروية.

❁ والحسد معناه تمني زوال نعمة من يحسده، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤].

❁ والحسد على الإيمان ونعمة الطاعات من الكفر لأنه تمني زوال الإيمان من المحسود وحصول الكفر بدلًا منه، وهو يدل على كراهية الحاسد للإيمان وللمؤمنين فلا يكون هذا الحاسد مؤمنًا أبدًا، كما قال الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة: ١٠٩].

❁ أما الحسد على الدنيا ورخائها وعافيتها وتمني زوال تلك النعم فمُحَرَّم، وسببه مرض القلب وإرادة الفساد وإرادة العلو على الغير والعجب بالنفس.

❁ والحسد دليل على اختلال حب الخير للمسلمين وهو يذهب الحسنات. قال رسول الله ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٠).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : «قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ قَالَ كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ قَالُوا صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ قَالَ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ»(١).

وقال رسول الله ﷺ : «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى آمِينَ فَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ آمِينَ»(٢).

القلب السليم من الحسد

❁ فمن بات ليس في قلبه غشٌ لمسلم، ولا غل لمؤمن، وليس في قلبه كراهية الخير للناس في أمور الدين والدنيا، فهذا من أعظم ما تُنال به الدرجات العالية، وهذا من علامات صاحب القلب السليم.

❁ عن أنس بن مالك رحمه الله قال:«كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللهِ : غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ! إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٠٦).
(٢) رواه ابن ماجه (٨٤٧).

مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ، بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيق»[(١)] .

الغبطة

❁ أما قوله ﷺ : «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[(٢)]، فالحسد هنا معناه : **الغبطة**، وهي أن لا يتمنى زوال نعمة المال والقرآن من أخيه، وإنما يتمنى حصول مثلها لنفسه حتى ينال فضله.

٣٣ ـ ترك الإصرار على المعاصي

❁ الإصرار هو عدم الندم على الذنب، وأن يعزم أن يعود إلى المعصية متى قدر عليها.

❁ قال تعالى : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٣٥].

❁ فلا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار .

❁ وقد يوجد الإصرار مع التكرار للذنب، وقد يوجد الإصرار **ولو فعل الذنب مرة واحدة** وأغلب هذا في العشق، كمن فعل ذنبًا مرة واحدة، وتعلق قلبه به لأعوام كثيرة، يجتهد في طلبه ولا يستطيعه، ولا يستطيع تخليص قلبه من إرادة الفاحشة والعياذ بالله، فيكتب عليه الذنب مرات عديدة كلما تمناه وعزم عليه؛ لأنه في الحقيقة لم يتب ولم يندم ولم يقلع عن الذنب بقلبه، ولكنه عزم على فعله، ولو قدر عليه لأتاه، وإن لم يستطع الوصول إليه كتب عليه وزره لأنه مصرٌ عليه.

---

(١) رواه أحمد (١٢٢٣٦).

(٢) رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٥).

الفرق بين الإباء والإصرار:

❁ **الإباء** هو رد الأمر على الله، وهو قرين الاستكبار عن امتثال أمر الله، وهو كما فعل إبليس، قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، فالإباء هو الكفر الصريح.

❁ أما **الإصرار** فليس بكفر؛ لأنه يقر بأن ما يفعله ذنب ويعترف بذلك لكن يأتيه لغلبة الشهوة على قلبه؛ ولأن شهوة المعصية عنده أكبر من خوفه من الله ـ والعياذ بالله ـ والمصر واقع تحت المشيئة، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]

٣٤ - ترك موالاة الكفار

❁ يجب التبرؤ من الشرك والمشركين وعداوتهم وبغضهم لشركهم بالله وكل هذا عمل قلبي، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥١-٥٣].

فمن يتولهم يصبح مثلهم في شركهم وكفرهم ويصبح بذلك من الظالمين والخاسرين ويحبط عمله، ولا يتولاهم إلا من كان في قلبه مرض النفاق.

❁ وتحرم موالاة الكفار وإن كانوا من أقرب الناس نسبًا.

❁ ويحرم الاستغفار لهم، وتحرم نصرتهم، والسير تحت رايتهم، والانضمام لأحزابهم، وتحرم الاستعانة بهم في الحروب، وتحرم توليتهم للمناصب المهمة، وتحرم طاعتهم على غير ما أمر الله، ويحرم الثناء عليهم وعلى كفرهم، وتحرم معاونتهم على الظلم الذي يفعلونه، ويحرم التشبه بهم في زيهم وكلامهم وأعيادهم، ويحرم حضورها لأنها من الزور، ويحرم التسمي بأسمائهم، ويحرم التواجد في بلادهم وتحت سلطانهم بغير غرض شرعي، وتحرم مداهنتهم ومجاملتهم على حساب أحكام الدين.

٣٥ - ترك تعصب الجاهلية

❁ وهي أن ينحاز الرجل لأقربائه في الخصومات قبل أن يعرف أَهُمْ على الحق أم على الباطل.

❁ وهو أن ينحاز الرجل لأهل بلده وإن كانوا على غير دينه ضد إخوانه في الدين وكل هذا من عمل القلب.

❁ ومنه أن يتعصب المُقَلِدُ لشيخ مذهبه ولا يرى الحق إلا في شيخه ويرى الخطأ ملازم لكل من سواه بغير النظر في الدليل، وهذا يرى أن نصوص الشرع يجب أن تُلوى أو تُأول لكي توافق مذهبه وقول إمامه.

٣٦ - ترك تعظيم غير الله والحلف بغيره

يحرم تعظيم المخلوق ورفعه عن حد العبودية سواء بالحلف باسمه أو بغير ذلك، والتعظيم من أعمال القلوب.

❁ فيحرم الحلف بالآباء والأبناء وبالنبي والكعبة وبالأمانة وبأي مخلوق، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»[1].

❁ والحلف بغير الله صادقًا أكبر إثمًا من الحلف بالله كاذبًا، وإن كان الحلف بالله كاذبًا هو اليمين الغموس، فهو يُغمس فاعله في نار جهنم لأنه لا كفارة له، ومع ذلك فالحلف بغير الله صادقًا أو كاذبًا أعظم إثمًا منه لما فيه من تعظيم المخلوق.

الخاتمة:

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه الترمذي (١٥٣٥)، وأبو داود (٣٢٥١)، وأحمد (٥٣٥٢)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١٨٩).

الفهرس

مقدمة ٣
نـداء ٤
أهمية عبادات القلوب ٥
أنواع القلوب ١٧
العبادات القلبية ٢٥
١ - حب الله ٢٦
٢ - الخوف من الله. ٧٩
٣ - الإخلاص ٩٩
٤ - التوبة ١١٦
٥ - التوكل ١٣٠
٦ - الرجاء ١٤٥
٧ - حسن الظن بالله ١٦٧
٨ - مجاهدة النفس ١٧٨
٩ - المحاسبة ١٩٠
١٠ - المراقبة ١٩٤
١١ - الصبر ١٩٥
١٢ - الحمد والشكر ٢١١
١٣ - الاستعاذة ٢٢٧
١٤ - الاستعانة ٢٢٧
١٥ - الاستغاثة ٢٢٨
١٦ - التقوى ٢٢٨
١٧ - الورع ٢٤٧

١٨ – الزهد ٢٤٨
١٩ – الافتقار إلى الله ٢٥٥
٢٠ – الإخبات لله ٢٦١
٢١ – الاستسلام والذل لله ٢٦١
٢٢ – التواضع ٢٦٢
٢٣ – الخشوع ٢٦٣
٢٤ – اليقين ٢٦٦
٢٥ – التفكر في آيات الله ٢٦٧

عبادات التروك ٢٧١

٢٦ – ترك الشرك والكفر «النفاق الاعتقادي» ٢٧٢
٢٧ – ترك بغض الإسلام والمسلمين «النفاق العملي» ٢٧٢
٢٨ – ترك الرياء والعجب ٢٧٣
٢٩ – ترك سوء الظن بالله ٢٧٣
٣٠ – ترك الغيبة القلبية ٢٧٣
٣١ – ترك نسبة النعمة على غير المنعم بها ﷻ ٢٧٤
٣٢ – ترك الحسد ٢٧٤
٣٣ – ترك الإصرار على المعاصي ٢٧٦
٣٤ – ترك موالاة الكفار ٢٧٧
٣٥ – ترك تعصب الجاهلية ٢٧٧
٣٦ – ترك تعظيم غير الله والحلف بغيره ٢٧٨

الفهرس ٢٧٩